تأسست عام ١٣٨٥ هـ-١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

العدد ٤٤١ ـ السنة ٣٩ - جمادى الأولى ١٤٢٣ هـ - يوليو/ أغسطس ٢٠٠٢ م



الدكتور شوقي ضيف:
الحضارة الإسلامية هي الأكثر عطاءً في تاريخ الحضارات

اليابانيون أقرب الشعوب للإسلام

نحو صناعة سياحية إسلامية

سفينة فضاء تبحث عن سفينة نوح

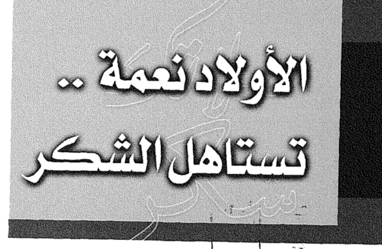
صحافة الحوادث أدوات بناء أم معاول هدم؟

هل الأصولية الإسلامية صورة من الفاشية؟

هدية العدد بوستر غزوات الرسول ﷺ

هديتك مع العدد براعم الإيمان

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية








وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني





رئيس التحرير

نحو صناعة سياحية إسلامية



بقلم: جاسم محمد شهاب

e.mail: alwaei@awkaf.net

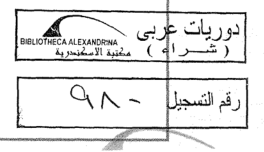
تشكل السياحة اليوم مورداً أساسياً لكثير من دول العالم وهي تسعى جاهدة لتنميتها وتطويرها بشتى الطرق والأساليب حتى تجذب أكبر عدد ممكن من السياح.

ولهذه الأهمية الكبيرة للسياحة دفعت بعض دول العالم المهتمة بالحركة السياحية إلى تشكيل منظمة سياحية عالمية ترصد الحركة السياحية في شتى أرجاء المعمورة، وتقدم الخبرات والدراسات للدول الأعضاء فيها وتبذل كل جهد ممكن لتطوير الصناعة السياحية العالمية

وبلغة الإحصاءات والأرقام يقول المجلس التنفيذي لمنظمة السياحة العالمية في دورته الثامنة والخمسين والتي عُقدت في الأردن خلال الفترة بين ١٨ و ١٩ يونيو الماضي: إن العوائد الناجمة عن قطاع السياحة انخفضت إلى «٤٦٣» مليار دولار بواقع ٢,٦٪ عن العوائد المسجلة في العام ٢٠٠٠م، وذلك بسبب القلاقل الإقليمية وأحداث الحادي عشر من سبتمبر الماضي التي هزت الولايات المتحدة الأميركية، وانعكست آثارها السلبية على العالم بأسره، كما أوضح المجلس أن عدد السياح عبر العالم انخفض في العام الماضي إلى «٦٩٢» مليون سائح بواقع ٦٪ عن عددهم في العام ٢٠٠٠م

إن لهذه الأرقام الكبيرة في عوائد السياحة أو عدد السياح يشكل السياح العرب والمسلمون جزءاً مهماً منها، وهذا ما أكدته مؤسسة (I.P.K) الدولية المتخصصة بشؤون السياحة، حيث كشفت أن مواطني دول مجلس التعاون الخليجي أنفقوا «٢٧» مليار دولار في السياحة الخارجية العام ٢٠٠٠م، ولا شك أن القسم الأكبر من هذه المبالغ أنفق خارج نطاق الدول العربية والإسلامية.

ومن جهة أخرى إذا أضفنا لهذه المبالغ الأموال التي أنفقها العرب والمسلمون عموماً على السياحة الخارجية، لوجدنا أن الرقم في غاية الأهمية والخطورة، الأمر الذي يستدعي من المخلصين في هذه الأمة والمسؤولين المهتمين بشؤون السياحة فيها السعي الجاد إلى إقامة صناعة سياحية إسلامية تستقطب هذه الأموال لصالح شعوبنا العربية الإسلامية وتنمية مواردها ورفع المعاناة عنها، وتضاهي مثيلاتها في شركات السياحة العالمية سواء في الجودة أو الخدمات التي يحتاجها السياح، كما أنه بإمكان هذه الصناعة أن تأخذ من تجارب الآخرين، مستفيدة من إيجابياتها، والنأي عن سلبياتها، كل ذلك في إطار من المفاهيم والقيم الإسلامية الثابتة، وهذا الأمر ليس صعباً إذا ما علمنا أن بلداننا العربية والإسلامية تمتلك من الإمكانات المادية والثروات الحضارية، والمعالم الأثرية ما يؤهلها لنجاح مثل هذه الصناعة السياحية، فهل نلمس في المستقبل القريب مثل هذه الخطوات الجادة... هذا ما نأمله وبالله التوفيق •





إسلامية • شهرية • جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
جاسم مطر شهاب
Jasem M. M. Shehab

العدد 441 - السنة التاسعة والثلاثون - جمادى الأولى 1423 هـ - يوليو / أغسطس 2002 م

e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

المراسلات كافة
باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة
13097 ـ الكويت
هاتف: ٨٤٤٠٤٤ / ٥٣٤٨٩٧٤
فاكس: ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)
al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL.: 844 044 / 5348 974
FAX : (+965) 5348954

كلمة العدد

الصراع الحضاري وعالم اليوم

أعزاءنا القراء:

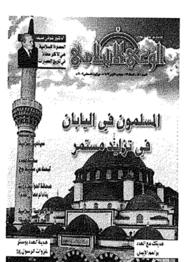
يبقى الصراع الحضاري القائم في عالم اليوم جوهر كل القضايا المطروحة على الساحة العالمية، لذا حاولنا قدر الإمكان التركيز على هذا الموضوع من خلال عدد من المقالات والدراسات التي تجدونها في ثنايا هذا العدد والتي تصب جميعها في هذا الإطار لنصل بكم إلى غاية معينة ونتيجة حاسمة مؤداها:

أين هو موقعنا نحن المسلمين من هذا الصراع؟ وماذا أعددنا له؟ وهل الحوار الحضاري سنة من سنن الله في الكون له مقوماته وآلياته وأدواته وأهدافه وغاياته وأسلحته المتعددة؟

وإذا كان الإسلام ليس عدواً للحضارة الغربية، فكيف نرسِّخ ثقافة الحوار الحضاري معه؟ وهل الحضارة الإسلامية هي الأكثر عطاء في تاريخ الحضارات البشرية؟ وما دور الخطاب الإسلامي المعاصر في تأكيد براءة الإسلام من الإرهاب؟

نرجو أن نكون قد وفقنا في الموضوع ونحن بانتظار أرائكم ومقترحاتكم لإثرائه وترسيخ جسر التواصل الفكري والثقافي معكم، والله الهادي إلى سواء السبيل •





موضوع الغلاف

اليابانيون أقرب شعوب الأرض للإسلام وهم متعطشون لمعرفة المزيد عنه والدعوة الإسلامية هناك في تقدم مستمر رغم المشكلات التي تواجه الجيل الثاني. •

الإشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : **دينار** واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير
- اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٥٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : **دينار** واحد
- اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله. • اميركا ودول العالم : **٣ دولارات** أو مايعادلها.

في هذا العدد

اكتشافات:

سفينة فضاء تبحث عن سفينة نوح



يقف التاريخ عند طوفان نوح على أنه حدث من أهم الأحداث في مسار الحضارة الإنسانية، ترى أين رست سفينة نوح وما المحاولات التي جرت للبحث عن السفينة؟

صفحة 15

اقتصاد:

كيف نحقق الأمن الاقتصادي للمسلمين

لماذا تصنف معظم الدول الإسلامية ضمن مجموعة الدول النامية مع أن ثرواتنا وإمكاناتنا تزيد على ما تمتلكه بعض الدول الغنية؟ ترى ماذا يقول مفكرو وعلماء الأمة تجاه هذه القضية، وكيف يمكننا تحقيق الأمن الاقتصادي؟

صفحة 26

دراسات:

هل الأصولية الإسلامية صورة من الفاشية؟

كيف ينظر الغربيون إلى ظاهرة نشوء الأصولية الإسلامية؟ وهل الفقر والركود الاقتصادي هما السبب كما يزعمون؟ أم أن ظاهرة الأصولية الإسلامية تعبير عن رفض حركة التغريب والاستئصال الثقافي؟

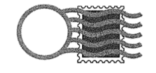
صفحة 30

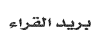
المحتويات

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات - هاتف: ٤٨١٦٨٨٥ - فاكس: ٤٨٣٦٦٨٠ - ٤٨٤١٠٢٦
ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت

• السودان. الخرطوم - العمارات شارع ٣٧ - ص.ب: ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت: ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١). • اليمن. عدن - ص.ب: ٦٤٨ - ت: ٢٥٥٦٩٢ . ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) فاكس: ٢٥٩١٦٣ مؤسسة الأيام للتوزيع • لبنان . طرابلس - ص.ب: ٢١١ - ت: ٧٩٨٢٠٩ (٠٠٩٦١٣) ف: ٤٤١٧٥٣ . ٤٤٠٠٤٢ (٠٠٩٦١٦) - مركز الواحة للفنون الإعلامية • الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب: ٣٧٥ . الرمز البريدي: ١١١١٨ - تلفون: ٤٦٣٠١٩١ . ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦) فاكس: ٤٦٣٥١٥٢ • البحرين. المنامة - ص.ب: ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) فاكس: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع • الإمارات العربية المتحدة. دبي - ص.ب: ٦٠٤٩٩ - تلفون: ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) فاكس: ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع • مصر. القاهرة - شارع الجلاء. الرمز البريدي: ١١٥١١ - تلفون: ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) فاكس: ٣٣٩١٠٩٦ دار الأهرام • السعودية. الرياض - ص.ب: ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - تلفون: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) فاكس: ٤٨٧١٤٦٠ -: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع • المغرب. الدار البيضاء - ص.ب: ١٣٦٨٣ ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء تلفون ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) فاكس: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف • سلطنة عُمان. مسقط - ص.ب: ٤٧٣ العذيبة. الرمز البريدي ١٣٠ - تلفون: ٥٩٧٤٥٦ . ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) فاكس: ٥٩٣٢٠٠ -: مؤسسة العطاء للتوزيع • قطر. الدوحة - ص.ب: ٦٣٣ - تلفون: ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) فاكس: ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

ترحب الوعي الاسلامي
برسائل القراء،
وتنشر منها ما يتوافق
مع سياسات النشر لديها
بما لا يتعارض
مع حقوق الآخرين
وحرية الرأي.
وتحتفظ المجلة
بحق تنقيح الرسائل واختصارها.





امرأة فرعون

نسـاء.. ونسـاء، بل نسـاء ورجال... عندما أنظر إلى النساء أو أقرأ عنهن في زمن الإخلاص.. والعفاف.. والطهر أو الزمن الذي مضى... زمن نساء الرسول أو مريم البتول... أو امرأة فرعون يعجز العقل واللسان عن المقارنة بين نسائنا اليوم وأولئك النساء.

لا أصدق أنهن نساء كنساء اليوم... تلدن كما تلد نساؤنا، والدليل أنهن كن في الماضي... يلدن رجالاً يقفون ويصمدون ويواجهون كسرى... يحاربون في سبيل الله... لا يخافون في الله لومة لائم. ونستطيع القول: إن المرأة في الزمن الماضي غلبت رجال اليوم في الشجاعة والايمان والصبر كامرأة فرعون.

(وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربي ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجِّني من فرعون وعمله ونجِّني من القوم الظالمين) التحريم:١١.

علي سليم - بورسعيد - مصر

من يحمل همَّ أمتنا؟

شبيبتنا الإسلامية باتت نهباً لأعدائنا وتحولنا من أمة غازية إلى أمة مقهورة مغزوة مغلوبة على أمرها، فبعد أن كنا نغزو العالم برسالة الله مخرجين الناس من الظلمات إلى النور، ومن الظلم إلى العدل، ومن الشرك إلى التوحيد ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، إذا بنا نصبح أمة يتوطن الظلم والجهل في ربوعها ويتفلت أبناؤها من تراثهم ويلعنون ما مضى من أسلافهم وحالنا الآن عيش في مآس وأزمات بعد أن سُلِب منّا مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع في الأسر الشيوخ والنساء والأطفال يذبحون صباح مساء. فتشريد شعب وسحق مدن وتهديم مساجد، وآلاف المسلمين لا يجدون مسكناً ولا خبزاً ولا ماء ولا كساء «ولا حول ولا قوة إلا بالله».

إن المطلوب من المسلم أن يعيش لهذه القضايا الكبرى بمشاعره وماله ودعائه وتوعية إخوانه المسلمين أمام الأخطار المحدقة بأمته وأن يكثر من الدعاء في أدبار الصلوات وفي السحر وساعات القبول للمسلمين بالنصر والتمكين في الأرض وأن يدعو إلى تقوى الله عز وجل فما أُصبنا به من كوارث ومصائب ودواهي إلا بذنوبنا وتقصيرنا.

سيد عبدالتواب - مصر

تلك آثارنا تدل علينا

لكل أمة مقدساتها وذكرياتها وأمجادها تفخر بها وتعتز بذكرها، والأمة الإسلامية واحدة من الأمم التي شهد ماضيها سبقاً ثقافياً عظيماً، وصحوة علمية هائلة، حضارة الإسلام فيما مضى كانت مضرب الأمثال عبر عصور خلت، بل كانت مطمعاً للحاقدين عليها، ولم يكن خافياً على الغرب ما حققه العرب من تقدم وازدهار في بناء حضارتهم الإسلامية الزاهرة، في جميع البقاع التي استظلت برايتهم، وفي الدول السامية وبالمدن الجميلة التي شيدوها.

لقد عرف العالم حضارة العرب، تلك الحضارة التي خلدت على مر الزمان والتي لاتزال شامخة للعيان، تفخر وتتباهى بتراثها التليد، حضارة ما فتئت تشهد على مُضي عمر معماري جميل، وكأني بما تقول: تلك آثارنا تدل علينا.

محمد الطوسي - المغرب

ردود خاصة

● محمد أحمد صلح - اليمن:

اقتراحكم تزويد المجلة بالتحقيقات والاستطلاعات والمقابلات، وكل ما من شأنه دعم لمسيرة المجلة الثقافية أمر يسعدنا، علماً بأن ما سترسلونه سيخضع للمراجعة والتقويم، وفي حال صلاحيته سيأخذ طريقه للنشر بإذن الله، وبارك الله فيكم.

● الإخوة الكتّاب الكرام والفائزون في المسابقات الذين أرسلوا إلينا يستفسرون عن سبب عدم وصول المكافآت والجوائز إليهم نقول: ستصلكم المكافآت والجوائز في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى، ومعذرة للتأخير الحاصل والسبب ظروف خارجة عن إرادتنا.

● الأخ محمد العبودي - المغرب:

نحن لسنا جهة خيرية، يمكنكم مراسلة الهيئات والمؤسسات الخيرية لتحقيق طلبك... فرَّج الله عسرتك.

● الأخ إبراهيم عثمان - الكويت:

مشاعركم تجاه المجلة أمر نقدره ونعتز به... يمكنكم زيارتنا في مقر المجلة للحصول على ما تريدونه، وجزاكم الله كل خير ●

إلى القرآن من جديد

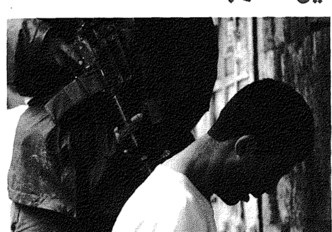
هل فكرتم يوماً بفضل القرآن الكريم على العرب؟ هل فكرتم بما أحدثه القرآن من نقلة عظيمة بين ما كان عليه العرب الجاهليون، وما أصبح عليه العرب المسلمون؟ ولنتساءل، هل كان العرب أمة قبل نزول القرآن؟ هل كان لهم وجود بمعنى كلمة الوجود قبل نزول القرآن؟ وجاء القرآن فإذا بهؤلاء الأعراب الأجلاف الذين يذبح الواحد منهم ابنته بكل وحشية أو يجوع فيأكل ربه المصنوع من التمر... هل كان لهم فكر أو ثقافة أو علوم أو مكانة بين الأمم قبل نزول القرآن؟ جاء القرآن فإذا بالعرب غير العرب، وإذا بالقوم غير القوم، وإذا بالنفوس غير النفوس، وإذا بالعقول غير العقول، وإذا بهم يصبحون خير أمة أخرجت للناس (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران: ١١٠.

لولا القرآن ما كانت العرب أمة، ولولا القرآن لما أصبح العرب أساتذة الدنيا، ولولا القرآن ما كان هناك عمر، وخالد، وعلي، والقعقاع، وطارق، وصلاح الدين، ولولا القرآن لما كان هناك الشافعي، وأبو حنيفة، وابن تيمية، والعز بن عبدالسلام، والإمام الغزالي، ولولا القرآن ما كان هناك الفارابي، والرازي، وابن سينا، وابن رشد، ولولا القرآن لما كانت دمشق، وبغداد، والقاهرة، وأشبيلية وقرطبة، والقيروان، ولولا القرآن ما كان خليفتنا يلتفت نحو السحابة ويقول لها: «أمطري حيث شئت فإن خراجك يُجبى إليّ». هذا ما فعله القرآن بنا أيها الإخوة الكرام، لقد أوجدنا من عدم ونفخ فينا الروح، وأعطانا الحياة... أعطانا الوجود.

فهل نحافظ على العهد؟ هل نأخذه ونعانقه على أنه الحبيب والبلسم والشفاء هل نعود إليه على أنه مصدر العزة والكرامة ومنبع الرقي والتقدم، وموئل القوة والشهامة أم ينطبق علينا قوله صلى الله عليه وسلم فينا (يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) الفرقان: ٣٠، فعودة إلى القرآن أيها الإخوة الكرام ●

محمد السيد عامر - مصر

أين العرب؟



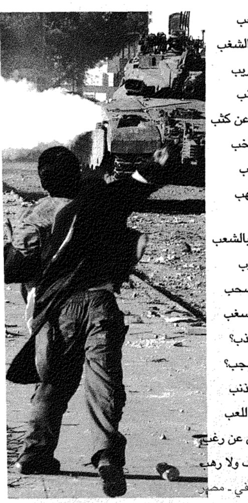
من الواضح أمام أعيننا ومسمع أذاننا أن قضية القدس أخذت حقها من الشعوب العربية بالكلام، ووسائل الإعلام التي تنقل لنا باستمرار صورة الشعب الفلسطيني وبما يمرون به.

لكن الواقع الذي نشاهده يؤكد لنا أن الكلام لن يردُ حقوق هذا الشعب ولن يرجع لنا القدس، لأن القدس لن تعود إلا بالعمل والفعل معاً، وذلك هو دور العرب الذي لابد أن يظهر الآن، فأين اتحاد العرب الذي كنا نسمع عنه منذ زمن بعيد؟

كل الذي نراه هو كلام في كلام، كأن القدس وما يعانيه الشعب الفلسطيني شيء بسيط، ولذلك لابد أن نأخذ قرارات حاسمة نوقف بها تلك الذئاب الذين لا يعملون حساباً لأحد، ونحن نعطيهم الفرصة لذلك بسكوتنا عما يعملون ولا بد أن نقف وقفة واحدة وقفة رجل واحد ونقضي على تلك الذئاب هم وأعوانهم، لأننا مؤمنون والقدس من حق المؤمنين وليست من حق الذئاب اليهودية. والله سبحانه وتعالى يأمرنا بالجهاد والدفاع عن كل مقدساتنا الإسلامية والحفاظ عليها طالما الحق والنصر لنا إن شاء الله.

نشوى عادل شاهين - مصر

زعماء صهيون... وأطفال الحجارة



يا رافعين لواء التيه والعجب
يا قارعين طبول الحرب والشغب
يا زارعين بذور الشك والريب
يا من أتيتم من قرد بلا ذنب
هلا قرأتم سفور الماضي عن كثب
ستعرفون نهايتكم بلا صخب
أتنعتون عطاء الرب بالجدب
تبت يداكم كما تبت أبي لهب

● ● ●

طفل الحجارة ذاك النبت بالشعب
يصرخ.. ينادي.. أمة العرب
إني أتوق لماء الري في السحب
يروي الظمأ ناهيكم عن السغب
أتصدقون وعود الماكر الكذب؟
أرضيتم بقرار الدين والشجب؟
هيا خذوا بزمام النخر والذنب
ولتتركوا النوم والأوهام واللعب
حتى تجيء شعوب الأرض عن رغب
للقدس تدعو الإله بلا خوف ولا رهب

يسري عبدالكافي - مصر




شخصيات

بقلم: عبدالله نجيب سالم

في ذمة الله الشيخ عزالدين محمد توني



أمران ما خطرا ببالي إلا اقترنت صورته بهما: الموسوعة الفقهية، ولجنة الفتوى!!.

إنه المرحوم عزالدين محمد التوني، الرجل الهادئ طبعاً، المليء علماً وفقهاً، الأفندي مظهراً وشكلاً، الشيخ قلباً ومسلكاً، الباحث العلمي الدقيق كتابة وتأليفاً.

وجهٌ مدور تغلب عليه السمرة الخفيفة، وجسم بسيط يميل نحو الصغر، وفم واسع يزينه الصمت، وعينان نافذتان تنظران بعمق، وصوت خفيف يرتفع إذا احتدمت المناقشة، وغزارة في العلم لا حد لها إذا استقصيت، وبساطة في الحياة ظاهرة بارزة، واعتداد بالرأي وتمسك به إذا حسمت الأمور، وطلب للحق وبحث عنه وإذعان له إذا عرضت مسألة جديدة.

أمضيت معه قريباً منه في العمل نحو عشر سنين، زاملته في إحدى لجان الموسوعة الفقهية، وخالطته في الرضا والغضب، واطلعت على علمه وأخلاقه، ولم تخف عليَّ بعض شؤونه الخاصة، وسمعت منه كثيراً عن شبابه وحياته، وتكوَّنت لديَّ صورة واضحة عن فكره وتوجهه واهتماماته.

لا يحب التشدد في الفتوى، ولا تنقصه الصلابة في الحق، ولا يملُّ من كثرة المطالعة والمتابعة، ولا تفوته النكتة إذا تبجح الجالسون في الحديث، ولديه الرغبة الدائمة في العمل والكتابة، قلمه سيال، وفكره ثاقب، ونقله عن الأئمة دقيق، وجَمْعُه للمتفرقات متقن، وعقليته الفقهية، ملكته التصورية متناسقة متسلسلة، ولغته العربية سليمة سلِسة.

وصدق فيه قول صديقنا الشاعر وليد الخطيب أمين سر لجنة الفتوى في أرجوزته التي مطلعها:

قف باحترام أيها المستفتي

أمام خير لجنة ومفتٍ

ثم عدّد أعضاء اللجنة وامتدحهم، حتى إذا جاء إلى الشيخ عزالدين التوني قال:

منهم لطيفُ القول «عبدالحكم»

والشيخ «توني» عنده فاحتكمِ

تجدْ لديه نصَّ كل مسألة محفوظة في صدره، فلتسأله



• الشيخ عزالدين محمد توني •

ولد الشيخ عزالدين محمد التوني في بني سويف سنة ١٩٢٣م، لأبوين صالحين، فقد كان والده من أهل الصلاح والتقوى، وهو الذي لقَّن ابنه عزالدين مبادئ العلم وأصول الدين الأولى، بل إنه هو الذي شجَّعه وشحذ همته ليدخل - بمحبة وشغف - معترك طلبة العلم في الأزهر الشريف، وهو الذي دفعه بقوة وإصرار إلى حفظ القرآن الكريم حفظاً متقناً، ليكون القرآن زاده وحجته ومعتصمه في حياته كلها.

وما كاد يشتد ساعده حتى التحق الشيخ عزالدين التوني بالجامع الأزهر ونهل منه علوم الشريعة، استفاد من تجمع الخبرات العلمية فيه، واطلع عن قرب على حياة العلماء ومدارسهم، وتلقى العلم الشرعي المؤصل على أيدي الفطاحل الكبار، وكان أبرز مشايخه في تلك الفترة الشيخ المدني والشيخ زهير، والشيخ مصطفى عبدالخالق، وغيرهم من المدرسين والأساتذة، وكان لاتصاله بالشيخ الإمام محمد أبي زهرة، والشيخ الفقيه علي الخفيف، والشيخ الداعية محمد الغزالي وآخرين - من كبار العلماء وأعلام العصر - أثر كبير في نضوجه العلمي وتكوينه الاجتهادي وملكته الفقهية.

التزم الشيخ عزالدين بالمذهب المالكي دراسة وتعمقاً وحفظاً وتخصصاً، مع إلمام جيد بالمذاهب الفقهية الأخرى، واطلاع مفيد على أقوالها، وقدرة ظاهرة على التعامل مع نصوصها.... ولذلك فقد كان من النخبة الممتازة في كتابة المصطلحات الشرعية التي اختارتها الموسوعة الفقهية لتكون مفاتيح الفقه الإسلامي...

كانت كتاباته منسقة مرتبة مستوفية للمذاهب والاتجاهات الفقهية، مسلسلة متدرجة في مسائلها، سهلة بسيطة في عبارتها، يكاد قارئها لا يحتاج معها إلى تعقيب أو إضافة، كما لا يجد فيها تكراراً أو حشواً.

حاز الشيخ عزالدين التوني الشهادة العالية في كلية الشريعة «جامعة الأزهر»، كما حاز إجازة تخصص التدريس - وهي تعادل الماجستير - وعين في وظائف دينية كثيرة ابتدأها بإمام وخطيب ومدرّس في جمهورية مصر العربية من سنة ١٩٥٥م ولمدة تزيد على خمسة عشر عاماً، رُقيّ خلالها إلى مفتش عام للمساجد من سنة ١٩٥٩م - ١٩٦٤م، ثم انتقل بعد ذلك إلى الموسوعة الفقهية المصرية التي تصدر في القاهرة عضواً فنياً سنة ١٩٦٤م - ١٩٧٩م، فكتب فيها كثيراً من البحوث والمشاركات، ودرس في المعهد الإسلامي والمعهد الصناعي بالقاهرة، ثم تعاقد مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ليعمل باحثاً في الموسوعة الفقهية التي تصدرها دولة الكويت، وذلك سنة ١٩٧٩م إلى أن توفي - يرحمه الله - سنة ٢٠٠٢م.

وفي وزارة الأوقاف في دولة الكويت مارس النشاط العلمي بأوسع وجوهه، فكان مقرر لجنة الإخراج المطبعي بالموسوعة، كما كان عضو لجنة الاعتماد العلمي لأبحاثها، وشارك في تقويم بعض الأبحاث الواردة للموسوعة الفقهية من خارجها، إضافة إلى كتابة الكثير من البحوث التي لها طابع النظريات العامة، ومن أمثلة ذلك المصطلحات التالية: «أداء - استرداد - إسقاط - التزام - أمانة - بطلان - تطوع - دَيْن الله - صيغة - ظفر بالحق - عجز - غنى - فساد - قتال - قول - وغير ذلك».

شارك الشيخ عزالدين في تأليف الكثير من الكتب الموضوعة لطلاب مدارس وزارة التربية، سواء في نظام المقررات أو في مناهج المعهد الديني، كما شارك في تأليف دليل المصطلحات الفقهية الاقتصادية بناء على طلب بيت التمويل الكويتي، وشارك كذلك في تأليف دليل مصطلحات الوقف للأمانة العامة للأوقاف في الكويت.

وقام الشيخ التوني - يرحمه الله - بتحقيق رسالتين من رسائل التراث هما: «التنبيه بالحسنى في منفعة الخلو» للشيخ أحمد الفرقاوي وقرة العين ببيان أن التبرع لا يبطله الدين» لابن حجر الهيثمي.

وقدم بعض الأبحاث للجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق الشريعة الإسلامية مثل: الدية والجمع بينها وبين التعويض، والحيازة والاستحقاق... والغبن... وغير ذلك.

واختير ليكون عضواً في لجان شرعية لمراجعة القوانين التالية: مشروع القانون العربي الموحد للأحوال الشخصية الذي أقره وزراء العدل العرب، ومشروع القانون العربي الموحد للجنايات «وضع وزراء العدل العرب»، ومشروع قانون الجنايات «بإشراف يوسف الحجي وزير الأوقاف الأسبق»، ومشروع قانون الوقف وزارة الأوقاف الكويتية»، ولجنة مراجعة حجج الوقف في الأمانة العامة للأوقاف - الكويت.

ولا عجب أن يُدعى الشيخ عزالدين التوني إلى الندوات الشرعية والمؤتمرات الفقهية عامة التي شهدتها دولة الكويت خلال الثلاثين سنة الماضية، بل دُعي إلى الكثير من الندوات المنعقدة خارجها، ومن تلك الندوات التي أدلى فيها بدلوه، وكان له فيها مداخلات وأطاريح: ندوة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية الخاصة بالإنجاب، والندوة الثانية لقضايا الزكاة الإسلامية للعلوم الطبية الخاصة بالإنجاب، والندوة الثانية لقضايا الزكاة المعاصرة وقدم فيها بحثاً بعنوان: زكاة المال الحرام، والندوات الفقهية الثانية والثالثة والرابعة، لبيت التمويل الكويتي، وقدم فيها أبحاثاً اقتصادية تخصصية مثل: عقود التعاطي والاستجرار ومجال تطبيقها على عقود التعهدات والتوريدات، وبحث: المرابحة في المنافع والخدمات، وبحث: تطبيقات الإجارة و«الجعالة» على عقود الصيانة... إلخ.

ومما يجب ذكره أن الشيخ التوني شارك في هيئة الفتوى ولجانها في دولة الكويت منذ العام ١٩٩١م وحتى وفاته - يرحمه الله - العام ٢٠٠٢م... وكان عضواً مهماً في تلك اللجان بسعة علمه ودقة فهمه وسداد رأيه... وقد سارعت الهيئة إلى نعيه في الصحف اليومية بعد وفاته.

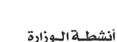
هكذا أمضى الشيخ عزالدين التوني حياته، غافلاً عن تراكم السنين على كاهله، منشغلاً بلذة في البحث والمطالعة والكتابة والتأليف، يواصل الليل بالنهار دون كلل أو ملالة، لا يقطعه عن انغماسه في الكتب وغوصه بحثاً عن دُررها إلا هم الشأن العام للمسلمين، فكان بين الفينة والفينة يلتفت إلى مقال مفيد أو خبر مثير أو ظاهرة شاذة، لينفث زفراته ويعبر عن مواقفه.

عانى في أخريات عمره من تداعي الأمراض عليه، فلم يتركه مرض السكري إلا ليوجعه ألم الربو، فإن سكت عنه هجمت عليه آلام المفاصل... وهكذا تصدى لها صابراً محتسباً يعرض عنها حيناً، ويداويها - دون كبير فائدة - أحياناً، حتى طرحته فوق فراش مرض الموت ثم لم تمهله طويلاً.

وافاه الأجل المحتوم يوم الاثنين الثاني عشر من محرم الحرام سنة ١٤٢٣هـ الموافق للسادس والعشرين من شهر مارس العام ٢٠٠٢م، عن عمر يناهز الثامنة والسبعين عاماً.

يرحمه الله رحمة واسعة وأنزل على قبره شآبيب الرضوان، وأفسح له مكاناً عالياً في فراديس الجنان ●





لمناسبة مرور ٣٠ عاما على إنشاءها

د. الفلاح: الدراسات الإسلامية تستخدم الأساليب المنهجية العلمية لتطوير دور القرآن الكريم

تغطية: احمد توفيق هلال

لمناسبة مرور ٣٠ عاماً على إنشاء دور القرآن، نظمت إدارة الدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حلقة نقاشية في فندق «كراون بلازا الفروانية» على مدى يومين (١١ - ١٢ - ٦ - ٢٠٠٢م) حول تطوير دور القرآن الكريم وتعديل المناهج الدراسية.

وفي كلمة ألقاها الدكتور عادل عبدالله الفلاح الوكيل المساعد لشؤون الدراسات الإسلامية والقرآن الكريم والحج - أكد أن هذه الحلقة النقاشية تعد ثمار جهود متواصلة استمرت نحو عامين عقد خلالهما ما يفوق المئة اجتماع، وأن هذه الحلقة النقاشية تُعد بمثابة وقفة مع الذات من قبل إدارة الدراسات الإسلامية لتقويم أعمالها ومنجزاتها سعياً وراء تطوير برامجها.

وأضاف: أن إدارة الدراسات الإسلامية تبذل قصارى جهدها في كل الأساليب المنهجية للوصول إلى أفضل النتائج، فاستخدمت البحث الميداني وأجرت دراسات مسحية على جميع الدارسين، حيث أخذت «عينة عشوائية تشمل كل الدارسين والدارسات في دور القرآن الكريم» للتعرف إلى رأيهم في كل الخدمات التي تقدم بدور القرآن الكريم، كما شملت الدراسات الميدانية المدرسين والمدرسات والإداريين والمشرفين والموجهين فلم تترك أي شريحة إلا وتحاورت معها وحاولت التوصل إلى رأيها وخبرتها لتأتي هذه الثمرة التي نناقشها اليوم.



• الدكتور عادل عبدالله الفلاح يتوسط الندوة •

• د. محمد العمر •

وقد دارت الحلقة النقاشية حول محاور رئيسة عدة منها:

١ - الدورات التدريبية للعاملين في الإدارة والدور: وقد انتهى فريق هذا المحور إلى التوصية بإنشاء مركز متخصص لتأهيل وتدريب العاملين في إدارة الدراسات الإسلامية في السنوات الثلاث المقبلة، وتشكيل فريق دائم يتولى الإشراف على الخطط التدريبية في الإدارة لحين إنشاء مركز تأهيل وتدريب متخصص، وتكوين قاعدة بيانات للدورات التدريبية يتم ربطها بأنظمة الحاسب الآلي بمراكز القرآن الكريم، وتأهيل المدربين تأهيلاً عالياً.

٢ - تدريس العلوم الشرعية باللغة الإنكليزية: وتتضح أهمية هذا المحور من وجود قوة عاملة غير عربية من الوافدين من الجنسيات الآسيوية والأوروبية والأميركية، ومما لا شك فيه أن هذه الجنسيات تشمل الكثير من المسلمين الجدد أو غير المسلمين، فكان لابد من توافر ما يلبي الحاجة من معرفة الأمور التي يتحتم معرفتها شرعياً، معرفة صحيحة خالية من المغالاة ومن

التساهل وفقاً لكتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد قامت لجنة التطوير بدراسة هذا المشروع المقدم من المدرسة «ميراموريس باشا» والمشرفة «إلهام الدوسري» من مركز الفحيحيل الصباحي.

٣ - النظام التعليمي: اجتمع فريق العمل وقام بمناقشة ودراسة النقاط المرتبطة بهذا المحور وبعد البحث والمراجعة وطرح وجهات النظر وتبادل الآراء توصل الفريق إلى مجموعة من القضايا أهمها تقليص مدة الدراسة في مرحلة التمهيدي، استحداث نظام خاص كنظام الدورات لإعداد وتأهيل خريجات التمهيدي للدخول في المطور، تخصيص فصول دراسية لمن يحملون شهادة أقل من رابعة متوسط، ومنح خريجات مرحلة التمهيدي «شهادة تخريج» كنوع من التكوين الأدبي والمعنوي، وقضايا أخرى كثيرة.

٤ - التواصل الاجتماعي: لا يتقصر دور مراكز القرآن الكريم على تحفيظ القرآن الكريم وعلومه فقط، بل يعد الآن مركز القرآن شبه منتدى اجتماعي وثقافي وإعلامي لتعليم الدراسية مهارات التعامل مع الآخرين والعمل على توثيق العلاقات الاجتماعية وتعزيز الحقوق والأخوة الإسلامية من خلال المناشط التربوية والبرامج الثقافية والأسابيع الاجتماعية، لتحقيق رسالة دور القرآن الكريم من جميع جوانبها المختلفة، ليس قصراً على تحفيظ القرآن الكريم فقط، وقد تم تناول هذا المحور من أربعة مجالات «المجال الإعلامي، مجال العمل والتنسيق، مجال المناشط العامة، مجال الاقتراحات العامة».

٥ - جائزة التميز: وبعد مناقشة هذا المحور انتهى فريق العمل إلى مجموعة من التوصيات أهمها تشكيل لجنة مختصة بالتقويم تتكون من متخصصين «مالي - إداري - فني» وتعيين موظف مختص ليتولى مسؤولية ملف الجائزة، وليكن على اتصال دائم بالمراكز لمعرفة الجديد من الأنشطة والأعمال، وتأكيد الاهتمام بالأنشطة الثقافية والإعلامية، وإعداد جدول زمني للزيارات الميدانية، ومضاعفة الجائزة الكبرى لتصبح واحدة للرجال وأخرى للنساء.

٦ - المباني والتوزيع الجغرافي للدور: نتيجة لما تتعرض له دور القرآن المقامة في مدارس وزارة التربية لمزاجية المسؤولين في المدارس برغبتهم من عدمها بوجود دار القرآن الكريم في مدارسهم وكذلك أسلوب إدارة المنشأة، فضلاً عن المشكلات التي تنشأ بين الطلبة والدارسين، ارتأت الإدارة في البحث عن بديل آخر هو إنشاء دور القرآن التابعة لها، وقد وافقت بلدية الكويت على تخصيص خمسة مواقع موزعة على مناطق الكويت.

٧ - المناهج: وتوصل فريق العمل بعد البحث والمناقشة إلى مجموعة كبيرة من الاقتراحات ووجهات النظر فتناول تطوير المناهج الشرعية التي تدرس من دور القرآن الكريم.

٨ - تطوير دور القرآن الكريم في السجون: يرى فريق العمل أن المقررات الدراسية لا تصلح لمن هم نزلاء في المؤسسة الإصلاحية، لذا فإنه يقترح أن تكون المواد التي تدرس في هذه المؤسسات مختارات من العلوم الشرعية، كما يرى ضرورة فتح أقسام للغة «الأوردو» لكثرة الناطقين بها، وإنشاء مبنى جديد لمركز الرشاد «رجال ونساء»، كما أكدوا على ضرورة تخصيص ميزانية خاصة لهذا المركز نتيجة لظروف المكان وطبيعة الدارسين، ودعا إلى إنشاء قسم خاص للخدمة الاجتماعية منفصل عن إدارة السجن لتقوم بمتابعة مشكلات الدارس متابعة سرية خاصة.

٩ - الهيكل التنظيمي والتوصيف الوظيفي: أوصى فريق العمل بإدراج شبكة الحاسوب الآلي بين دور القرآن الكريم ببعضها بعضاً، وبين دور القرآن والإدارة، كما أوصى بأن تدرج العلوم الشرعية تحت ثلاثة أقسام «القرآن الكريم والتجويد - أصول الدين، الفقه وأصوله»، أما عن التوصيف الوظيفي، فقد أوصى ألا تقل خبرة المدرس الأول عن «٥» سنوات، وحامل الماجستير عن «٤» سنوات، وحامل الدكتوراه عن «٣» سنوات، ويشمل هذا الأمر جميع الوظائف القيادية في الدور.

وقد تقدمت لجنة تطوير أنشطة وخدمات إدارة الدراسات الإسلامية بمقترح مشروع دورات في العلوم الشرعية والإنسانية بدور القرآن الكريم، وتشمل العلوم الشرعية «الفقه، أصول الفقه، التفسير، علوم القرآن، العقيدة، النحو، الإملاء، البلاغة، الصرف، السيرة والتاريخ، الفرائض»، أما العلوم الإنسانية فتشمل «تنمية مهارات التفكير الإبداعي، فن الخطابة والتحدث للناس، فن الحوار والإقناع، البيوت السعيدة، مذاهب معاصرة، فن إدارة الوقت، كسب الأصدقاء، كتابة البحث العلمي، تربية المراهق».

كما تقدم السيد أحمد غيث بمشروع «اقرأ للناشئة» وهو عبارة عن دورة مدتها ثلاثة أشهر فقط في الفصل الدراسي الواحد، يتم اختيارها بحيث لا تتعارض أو تعرقل أحوال الناشئة الدراسية ●



● جانب من الحضور ●

دورات تدريبية لـ١٢٢ إماماً وخطيب مسجد

أقام مكتب الشؤون الفنية في قطاع المساجد برنامجاً تدريبياً لعدد ١٢٢ إماماً وخطيباً من محافظات الكويت الست وذلك من خلال ١٦ دورة تدريبية للعام ٢٠٠٢م من منطلق العمل على تنمية وتطوير قدرات ومهارات الأئمة والخطباء، وقد رعى الصندوق الوقفي لرعاية المساجد هذه الدورات التي تهدف إلى تنمية الأئمة والخطباء في العلوم الشرعية التخصصية مثل «علم المواريث وعلم أصول الفقه» حتى يتسنى لهم التأصيل العلمي للمسائل الفقهية والشرعية وتنميتهم في اللغة العربية لتجنب العثرات اللغوية، ورفع مستوى اللغة عندهم وذلك بعد أن لوحظ كثرة الأخطاء اللغوية في خطبة الجمعة لكثير من الأئمة والخطباء.

وبدأ الموسم التدريبي من أول شهر أبريل الماضي، وسينتهي مع نهاية شهر ديسمبر المقبل، وأنجز حتى الآن ٦ دورات هي: دورة في اللغة العربية، ودورة في فن التعامل مع الجمهور، ودورة في المواريث، ودورة في أصول الفقه، ودورة في فن الحوار والإقناع، ودورة في أدب الخطبة والخطيب ●

يتضمن خدمة الفتوى وطباعة المادة المنشورة ومسابقات للزائرين

وزارة الأوقاف تطرح على شبكة الإنترنت موقعاً متطوراً لمجلة الوعي الإسلامي»



● الدكتور عبدالعزيز بدر القناعي ●



● الموقع الجديد للمجلة ●

أعلن وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المساعد للشؤون الثقافية الدكتور عبدالعزيز بدر القناعي أن مجلة الوعي الإسلامي، قامت بتطوير موقعها على شبكة الإنترنت، حيث تم تحويله من «ستاتيك إلى بروفيشنال سايت» ما أضاف نوعاً من الحيوية على الموقع، مبيناً أن عنوان الموقع الجديد على شبكة الإنترنت هو: (alwaeiawakaf.net).

وعن محتويات الموقع أوضح القناعي أنه يحتوي على الأبواب الثابتة والمتغيرة في المجلة وهي:

- الصفحة الرئيسة: وتتضمن مقدمة لأهم الموضوعات التي نشرت في العدد في كل الأقسام، ويمكن من خلالها الدخول إلى تفاصيل الموضوعات المنشورة مباشرة من دون الحاجة في الدخول للأقسام الفرعية.

والافتتاحية وتتضمن كلمة رئيس تحرير المجلة، بالإضافة إلى كلمة - أسرة التحرير - الاقتصاد الإسلامي - مواد العدد وتتضمن المادة التحريرية الحية داخل العدد سواء كان الحوار أو التحقيق - فقه - بصائر دعوية - الوعي نت - نافذة على العالم - ترجمات - في واحة الشعر - حديقة الوعي - ثمرات الفكر - الفتاوى - البيت المسلم- النافذة الأخيرة.

وأضاف القناعي: أن «الموقع الجديد يقوم بعمل مسابقة دورية وتقديم جوائز قيّمة للفائزين من خلال الموقع ويتيح الموقع للزائر إمكانات المشاركة في تحريره، بإضافة مشاركات من الجمهور «مقالات تحقيقات... إلخ»، مباشرة إلى الموقع، مشيراً إلى أنه لا يتم السماح للمادة أن تظهر على الإنترنت إلا بعد مراجعتها من قبل أسرة التحرير في المجلة.

وذكر أن الخدمات التي يمنحها الموقع كثيرة، منها وصلة مباشرة مع الموسوعة الفقهية لدى الوزارة، ووصلة لسماع القرآن الكريم بقراءات وروايات متعددة، ووصلة مع منتدى الفتاوى الشرعية للوزارة، ويمكن للجمهور التواصل المباشر مع الوصلات السابقة، إلى جانب خدمة الفتوى، حيث يقدم الموقع خدمة الرد على فتاوى وزائري الموقع وعرضها في قسم الفتاوى في الموقع بالتنسيق مع لجنة الفتاوى في الوزارة، وكذلك يقدم الموقع إمكانات طباعة المادة المنشورة للزائرين، ويتيح لهم إمكانات إرسال المقالات مباشرة من الموقع إلى الأصدقاء دون الحاجة للذهاب إلى «إيميل شخصي» مشيراً إلى أن الموقع مزود بمحركات للبحث على ثلاثة مستويات هي البحث باستخدام عنوان المقال، والبحث باستخدام اسم المؤلف، والبحث باستخدام المادة، لافتاً إلى أنه ستتم إمكانات التراسل مع المجلة من داخل الموقع مباشرة ●



إعلام

فضائياتنا: ما لها وما عليها وما هو المأمول منها؟

بقلم: سمير أحمد الشريف. الأردن



مع تنامي الهجمة الإعلامية الغربية التي صاحبت الترويج للعولمة بشتى الأساليب والأدوات والآليات، أصبح لزاماً على إعلامنا العربي والإسلامي أن ينهض بدوره لمواجهة التشويه المقصود الذي يخطط له أصحاب نظرية العولمة، فهل أخذت فضائياتنا حتى الآن هذا الدور على محمل الجد والاهتمام؟، وهل قامت بدورها لدحض الافتراءات وصد الهجوم وعكس وجهة نظرنا تجاه ما يجري؟!

الانتفاضة الفلسطينية تكاد تكون نقطة الإجماع الوحيدة التي تبارت الفضائيات في تصويرها وإن ظلت بعض الفضائيات خلال الأزمة تحلم بدورها الترويحي التطنيشي الذي يلامس أخبار الانتفاضة على استحياء.

إن بعض الآراء باتت تشير بأصابع الاتهام إلى تلك الفضائيات التي كرّست وقتها للانتفاضة، رغم

أن هذه الفضائيات نجحت وإلى حد بعيد في تأليب الشارع، وإلهاب مشاعره وإذكاء حميته، ولكن السؤال: ماذا بعد أن خرج الناس في مظاهرات وارتفع صراخهم وحرقوا الأعلام! ماذا بعد؟!.

من هنا يغمز بعضهم من دور الفضائيات التي خدمت الانتفاضة باعتبار دورها يندرج فقط في «التحريض التنفيسي».

الجانب الآخر يتمثل في أن هذه الفضائيات تبيع علينا بضاعتنا، فمن من شعوبنا العربية لا يعرف جرائم اليهود وغطرستهم وأساليبهم اللاإنسانية في التعذيب والتآمر والقتل والتدمير؟

دور الفضائيات اقتصر على الشارع العربي وكان المأمول أن تنبري بعض القنوات التي أظهرت حرمتها ولوعتها على شعب فلسطين وتوجه رسالتها الإعلامية لأوروبا وأميركا، تطرح قضيتنا بأسلوب علمي تحليلي غير انفعالي، فشعوبنا تحفظ تفاصيل مأساة فلسطين وليست بحاجة إلى مزيد من الملح يضاف إلى جراحها والنتائج ستكون أفضل كثيراً لو وُجهت ساعات من بث تلك القنوات إلى الآخر المتعاطف مع إسرائيل، ولا يعرف عن قضيتنا شيئاً، ويغرق في أوحال الإعلام الصهيوني الموجه المنافي للحقيقة.

على الفضائيات مجتمعة أو منفردة أو تحت مظلة الجامعة العربية والمنظمات الإسلامية أن تعكف على دراسة هذا الجانب ووضع الخطط والبرامج لما له من خطورة وأهمية وبشكل خاص مواجهة الافتراءات ضد ديننا الحنيف وحضارتنا الإسلامية العالمية الإنسانية، وكشف زيف تلك الأباطيل التي يروجها الإعلام الصهيوني الغربي من مقولات أمثال: إن إسرائيل تدافع عن نفسها ضد الإرهاب.

يجب أن تخرج رسالتنا الإعلامية «فضائياً» عن مجرد جمع التبرعات



الانتفاضة الفلسطينية تكاد تكون نقطة الإجماع الوحيدة التي تبارت الفضائيات في تصويرها

والمشاركة بالبكاء والتضامن الوجداني، وألا تكتفي بهدف وحيد هو دغدغة المشاعر رغم أهمية ذلك، أين البرامج الموجهة التي تعتمد الحوار الثقافي الرصين الجاد مع الآخر؟!.

أين صورتنا النهضوية ورسالتنا الوجودية للآخر، بل أين مهمتنا في إخراج الناس كل الناس إلى رحابة الإسلام وعدله؟!.

أليس من المفترض في الإعلام أن يكون أداة لرسم توجهات الأمة وإبراز عوامل كينونتها ورؤيتها للإنسان والكون والحياة؟

نريد إعلاماً ينافس الإعلام الصهيوني ويتخطى حدود دولنا وعواطف شعوبنا لمقارعة عدونا بالعلم والتحليل بعيداً عن السباب والصراخ والقذف الذي يصك أسماعنا باسم الحوار.

لماذا لم نشاهد على فضائياتنا مثلاً أي مادة تخدم المقاطعة للإنتاج الغربي الداعم لإسرائيل، ولماذا نجد على العكس مساحات على المنابر الإعلامية التي تدَّعي الحرقة إعلانات تروّج لمثل تلك المنتوجات؟! «وللإنصاف صحفنا أيضاً مارست الخطيئة نفسها».

نحن قادرون إن تخلصنا من الوهن وأخلصنا النوايا على إيجادة قناة فضائية لمخاطبة الآخر ومواجهته بما نريد وبما يحقق مصالحنا ويعكس رؤيتنا فالإمكانات المادية متوفرة والخبرات البشرية تزيد على الحاجة فقط تحتاج إلى الإرادة.

إن ما يضاف إلى سلبيات بعض الفضائيات استضافة شخصيات صهيونية باسم الحوار، فهل هذا حق يُراد به باطل باسم التعرف إلى وجهة النظر الصهيونية التي يعتقد بعضهم أنها غير معروفة حتى الآن؟!.

أم إن هذه الاستضافات هدفها كسر الحاجز النفسي الباقي والتدرج لقبول الصهاينة على جرعات تمهيداً للتطبيع الأوسع والأشمل؟!.

تميل إلى قول إن إعلامنا الفضائي تحديداً لم يتغير، ولكن ركوب الموجة هو الذي اضطر بعض القنوات أن تزيد من مساحة الصراخ قليلاً وأخشى ما أخشاه أن يكون ذلك ليس بهدف تصوير وحشية العدو، بل بهدف زرع بذور اليأس في نفوسنا من خلال مقولات أصبحت مكشوفة أمثال «إلى متى يواجه الشعب الأعزل آلة البطش الصهيونية المدمرة؟ حرام هذا، لابد من حل يُنهي هذه الأزمة؟».

لكن أي حل يريدون؟! (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الأنفال: ٣٠ صدق الله العظيم ●



اكتشافات

سفينة فضاء تبحث عن سفينة نوح

بقلم: المهندس سعد شعبان



تحتل رسالة نوح ـ عليه السلام ـ مكانة مميزة بين رسالات التوحيد، باعتبارها فارقة بين عهدين يفصل بينهما الطوفان، وقبل نوح كانت الصدارة لآدم أبي البشرية، الذي هبط على الأرض وهي خلو من البشر، ولذلك تشكك بعض المسلمين وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هل كان آدم رسولاً ولمن حمل رسالته؟ فقال: «نعم. كان رسولاً إلى أبنائه».

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن «إدريس» ـ عليه السلام ـ كان نبياً بعد آدم، وقبل نوح، ولم يرد في القرآن أي تفاصيل عن إدريس سوى أنه كان نبياً رفيع المنزلة، كما لم يذكر اسم قومه، في قوله تعالى: (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً. ورفعناه مكاناً علياً) مريم: ٥٦ ـ ٥٧.

لذلك يقف التاريخ عند طوفان نوح، على أنه حدث من أهم الأحداث في مسار الحضارة الإنسانية، وقد ذهب كثير من العلماء إلى الظن بأن نوحاً ـ عليه السلام ـ كان أول الرسل، وكل من بعث قبله كانوا أنبياء، وخصوصاً أن كل من كفروا برسالته أغرقهم الله في الطوفان، ومن بقوا معه في السفينة كانوا البداية المؤمنة للبشرية، استجابة لدعائه عليه السلام: (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) نوح: ٢٦ ـ ٢٧.

لذلك تعتبر رسالة نوح ذات خصوصية فريدة جعلته يتبوأ المكانة الأولى بين أولي العزم من الرسل الخمسة الأساسيين: «نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد» عليهم الصلاة والسلام، الذين أرسوا قواعد التوحيد في الأرض.

الطوفان الذي أغرق الذين كفروا برسالة نوح، كان كارثة من الكوارث، لم يحدث للبشرية حدث مماثل له، من حيث هوله وشدته ونتائجه.

ولقد نجا نوح ومن أمنوا معه، من هذا الهول العظيم بسفينة لم يكن لها مثيل، لأنها كانت بإيحاء من المولى عز وجل: (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا...) هود:٣٧.

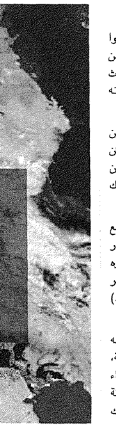
ووجه الغرابة أن نوحاً أخذ يصنع السفينة في منطقة ليس فيها بحار ولا أنهار، ولذلك سخروا منه، ورموه بالجنون: (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه...) هود:٣٨.

كما سخروا أيضاً من تابعيه والعاملين معه في بناء السفينة، وكان أغلبهم من الضعفاء والفقراء أصحاب الحرف، والذين لا مكانة لهم في المجتمع: (قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) الشعراء: ١١١.

وصنع نوح للسفينة يعكس إلى جانب الإيمان ركائز عدة أهمها:

- ضرورة التخطيط للعمل، فبعدها أوحى الله إليه الاستجابة لدعائه بهلاك الكافرين من قومه، بدأ يخطط لتنفيذ ما أمر به، إذ أخذ يغرس الشجر وينميه على مدى أجيال، ليكون عنده رصيد الخشب اللازم لبناء السفينة. ولابد أنها كانت مختلفة عن السفن المعروفة في عصره شكلاً وطولاً وعرضاً وارتفاعاً، إذ كان من اللازم أن تكون متعددة الطوابق، وأن يكون بها جدران فاصلة وأقفاص مغلقة ليفصل الحيوانات المستأنسة عن الوحوش وعن الطيور، وسائر المخلوقات التي أوحي إليه بحملها، والتي قال المؤرخون إنها كانت ثمانين زوجاً، وهذا ما جعله مدعاة لمزيد من السخرية، لأنه ترك النبوة وأصبح نجاراً.

كما أن انتظاره للعلامة الدالة على بداية الطوفان، كانت تستلزم منه أن



• خريطة توضح المنطقة المحتملة لوجود سفينة نوح عليه السلام •

لا خلاف بين القرآن والانجيل بالنسبة لموقع سفينة نوح

يتحلى بفضيلة «الصبر» وخصوصاً أن الانتظار استمر لأجيال عدة، فقد امتد عمر نوح ٩٥٠ سنة، وربما كانت أعمار البشر قبل الطوفان طويلة بهذا القدر، أو ربما كان هذا العمر المديد معجزة خاصة بنوح وحده: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً...) العنكبوت:١٤.

وكان على نوح أن يكون على أهبة «الاستعداد» دائماً حتى يرى العلامة التي وعده الله بها، ليركب السفينة مع المؤمنين من قومه، وخصوصاً أنها علامة غريبة وغير مألوفة، وهي خروج الماء من نار فرن منزله: (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك...) هود:٤٠.

وقد ذهب أغلب المفسرين إلى القول: إن المقصود من «فوران التنور» هو خروج الماء من فرن المنزل، بينما انصرف بعض المجتهدين إلى تفسير ذلك بأنه «فوران بركان» في المنطقة بقذف الحمم، فهذه علامة طبيعية ويمكن أن يستتبعها خروج الماء من باطن الأرض، وخصوصاً أن العرب تسمي «وجه الأرض» تنوراً وهو لفظ معرب، كما ورد في مختار الصحاح.

وكذلك اختلف المفسرون في طريقة جمع (٨٠ نوعاً) من الحيوانات والطيور، وانصراف أغلبهم إلى القول: إن جبريل - عليه السلام - نزل بها وأحضرها لنوح، فحملها إلى السفينة، ولابد أن الحيوانات والطيور والهوام والحشرات قد اختيرت بعناية إلهية وتخطيط رباني، لكي تشكل بعد غرق الأرض بالطوفان بيئة متكاملة صالحة لنمو حياة جديدة.

أين رست السفينة

بدأ الطوفان بغرق اليابسة في مياه سقطت من السماء في صورة أمطار منهمرة، كأنها من أفواه القرب، وفي الوقت نفسه، انفجرت مياه أخرى من باطن الأرض، فارتفعت مستويات الأمواج حتى صارت أعلى من الجبال، واكتسحت كل ما أمامها في طوفان عارم: (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر. وفجّرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قُدر. وحملناه على ذات ألواح ودسر) القمر: ١١، ١٢، ١٣.

وهناك خلاف بين المفسرين، فبعضهم يرجح أن الكرة الأرضية

أُغْرِقت بكاملها في الماء، أي غطى الماء كل سطحها، وآخرون بأن الماء غطى المنطقة التي كان يعيش فيها نوح وقومه، وتحركت بهم السفينة بعيداً عنها.

وبعدما نفذ أمر الله وغرق الكافرون، ومنهم زوجة نوح وابنه، صدر أمر إلهي بتوقف ماء الأمطار والعيون: (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين) هود:٤٤.

وبعد ذلك بدأت على الأرض مرحلة تعمير قادها الناجون مع نوح، فأطلقوا سراح الطيور والوحوش لتتفرق في الأرض: (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك...) هود:٤٨.

ويهمنا أن نتوقف عند المكان الذي رست عليه السفينة فوق جبل «الجودي»، ولقد شغف كثير من الناس في شتى العصور بالبحث عن سفينة نوح أو موقعها، أملاً في العثور على بعض من بقاياها.

و«الجودي» سلسلة جبلية طولها ٥٠ كيلومتراً وعرضها بين ١٥، ١٧ كيلو متراً، وأعلى قممها ارتفاعها ٢٠٩٠ متراً، وهي تمتد حالياً عبر الحدود السياسية لسورية والعراق وتركيا، ويمر عبرها نهر دجلة.

ومن الدلائل المؤيدة لحدوث الطوفان في هذه المنطقة، أنه توجد آثار قديمة في منطقة كردستان التركية على مقربة من سلسلة جبال «الجودي» التي تغطيها الثلوج على مدار السنة. وحتى وقت قريب كان السكان المحليون يذهبون سنوياً للمنطقة تبركاً بوجود ضريح لنوح بها، قبل أن تتحول المنطقة في الثمانينيات من القرن الماضي إلى منطقة عسكرية تركية مغلقة.

وقد أشار الإنجيل إلى أن سفينة نوح استقرت فوق جبل «أرارات»، على قمة بركانية بالقرب من الحدود التركية - الأرمينية ارتفاعها (٥١٦٥ - ٥١٧٢)متراً، وتغطيها الثلوج طوال العام، وتوجد بقربها بحيرة «وان» التي تفصل بينها وبين جبل «الجودي»، ومعنى ذلك أن جبلي «الجودي، وأرارات» متقاربان ويقعان في منطقة واحدة، ولذلك لا خلاف بين ما ورد في الإنجيل والقرآن.

وتوجد آثار تاريخية قديمة حتى اليوم في هذه المنطقة، أهمها: مدينتان في جنوب تركيا، الأولى اسمها «شرنج» وباللغة الكردية تسمى «ستاري نوح» ومعناها «مدينة نوح»، أما المدينة الثانية واسمها «هشتيان» ومعناها باللغة الكردية «قرية الثمانين»، وهو عدد ما حملته سفينة نوح من أزواج الحيوانات والطيور.

كما يوجد في مدينة الجزيرة بجنوب تركيا بالقرب من جبل «الجودي»، مسجد يطلق السكان المحليون مسجد نوح، ويفخر أكراد المنطقة بأن كلمة نوح في اللغة الكردية شقها الأول «نو» معناها الجديد، وهذا ما حققته رسالة نوح بعد الطوفان.



• صورة فضائية للشقوق في كثبان الجليد •

محاولات البحث عن السفينة

تعدد محاولات البحث عن سفينة نوح، كونها من علامات التحول الجذري في تاريخ البشرية، وستشير إلى عمر الحضارة المؤمنة بالله على الكرة الأرضية، وكان وراء هذه المحاولات دوافع دينية أو علمية واختلطت بها بعض الخرافات أو الادعاءات، وأهم هذه المحاولات في العصر الحديث:

- قيام رائد الفضاء الأميركي «جيمس إروين» بعد تقاعده، بثلاث محاولات لتسلق جبل «أرارات» في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، باءت كلها بالفشل لقسوة الطقس وعدم توافر معدات الحفر في الجليد.

- في العام ١٩٩٤م تمكن خبير أميركي من اكتشاف موقع على بعد ٢٧ كيلو متراً من جبل «أرارات»، وعلى ارتفاع قدره (٢٠٠٠) متر يشبه شكله وأبعاده شكل سفينة، ولكنه لم يجزم بوجود شيء تحت كثبان الجليد.

- في العام ٢٠٠٠م أعلن فريق من علماء الحفريات الأميركيين عن اكتشاف منشآت على بعد ١٠٠ متر تحت مياه البحر الأسود تشير إلى وجود حضارة قديمة تعرضت للغرق منذ ٧٥٠٠ سنة، وقد فسَّروا الاكتشاف تفسيراً غريباً ونسبوه إلى طوفان نوح الذي تصوروا حدوثه نتيجة ارتفاع مستوى مياه البحر الأبيض المتوسط، فاجتاحت أمامها السد الصخري الطبيعي الذي يمثله مضيق «البوسفور»، فتدفقت المياه في صورة طوفان إلى منخفض البحر الأسود، ومن الواضح أن الأمر افتعال غريب لاعلاقة له بطوفان نوح وبعيد عن المنطق، والآثار المغمورة تحت مياه البحار موجودة في كل بقاع الدنيا.

- في منتصف العام ٢٠٠١م منحت أكاديمية التكنولوجيا في أرمينيا درجة العضوية الفخرية لباحث إيطالي، تقديراً لبحوثه عن تحديد مكان سفينة نوح على جبل «أرارات»، وتحديد حجمها من فحص آثارها فوق الجبل. وتعتز أرمينيا بوجود جبل «أرارات» داخل حدودها السابقة، وتعتبره أحد رموزها التاريخية رغم أنه يقع حالياً داخل حدود تركيا.

سفينة نوح من الفضاء

لسبب المشكلات السياسية التي في منطقة جبلي «الجودي وأرارات»، ولصعوبة الوصول إلى قمتها لرداءة الطقس وسمك كثبان الجليد، انصرفت الجهود إلى استخدام تكنولوجيا الفضاء.

لذلك أطلق القمر الصناعي الأميركي «الطائر السريع - ٢»، وقد صمم مداره ليمر فوق جبل «أرارات» لتصوير الموقع المحتمل لسفينة نوح في جنوب تركيا، وذلك بناء على ما أوضحته صور فضائية

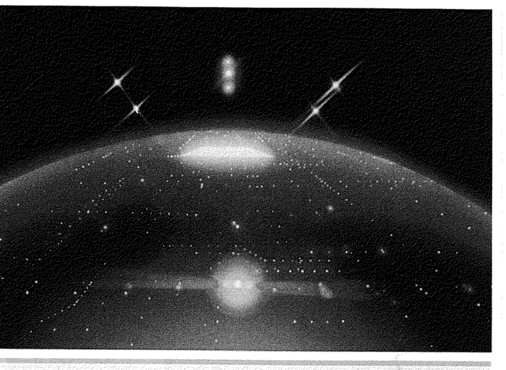
التقطت العام ١٩٩٤م، وأظهرت جسماً يبلغ طوله ٦٠ متراً به خطوط يحتمل أن تكون أضلاع سفينة.

لذلك يحمل القمر كاميرا للتصوير ذات درجة وضوح عالية تبلغ ١,٥ متر، لتبين تفاصيل الموقع وبدقة وتوضح تفاصيل كل ما تزيد أبعاده على متر ونصف المتر.

ومعروف أن الأقمار الصناعية المستخدمة للتصوير بدأت في أواخر الستينيات من القرن الماضي، وأظهرت أدق تفاصيل المرتفعات والمنخفضات فوق شعاب الجبال ومجالي السيول وروافد الأنهار، والأراضي الغارقة بالسيول والفيضانات، ولقد أطلقت أميركا والاتحاد السوفييتي السابق أرتالاً من هذه الأقمار تحت مسمى «أقمار اكتشاف الموارد الأرضية».

ثم اختصر الاسم بعد ذلك إلى «الأقمار الأرضية»، ومع تطور صناعة العدسات تطورت مهام هذه الأقمار المدنية تحت مسمى «الاستشعار من بعد»، وأصبح التصوير الفضائي قاصراً على الدول الكبرى وحدها تمارسها من دون استئذان من الدول التي تصورها، نظراً لغياب التشريعات الدولية، وفرضت الولايات المتحدة في أول الأمر عرفاً دولياً، هو ألا تتجاوز عدسات أقمار التصوير معامل تحليل «توضيح» يقل عن (١-٣٠) متراً، بمعنى عدم توضيح تفاصيل المعالم الأرضية التي تقل عن (٣٠) متراً، وبالطبع لم تخضع الأقمار الصناعية التي تطلق للأغراض العسكرية «أي التجسس» لهذا القيد.

ولكن فرنسا كانت الدولة الأولى التي كسرت القيد المفروض على معامل التحليل، عندما أطلقت في فبراير العام ١٩٨٦م قمرها من طراز «سبوت - ١»، للتصوير الفضائي بمعامل تحليل (١-١٠). ونظراً لأنه أصبح أجود من الأقمار الأميركية في توضيح تفاصيل المعالم الأرضية، فقد زاد الإقبال على شراء صوره بوساطة الدول



آثار حضارة قديمة جنوب تركيا تشير إلى موقع السفينة

الأخرى، ولقد أحرز «سبوت» نصراً عالمياً، عندما كان أول قمر يكشف حدوث انفجار «تشيرنوبل» في الاتحاد السوفييتي رغم التكتم عليه.

ولقد حذت حذو فرنسا دول أخرى بعد ذلك، باستخدام معامل تحليل (١-١٠) منها: الهند، واليابان، والبرازيل، والمنظمة الأوروبية للفضاء «إيسا» وفي التسعينيات من القرن الماضي هبط معامل التحليل حتى أصبح (١-١) متر.

ولقد ساعد التقدم في فن تكبير الصور الفضائية، وتجسيمها وتحليل معالمها وألوانها، بالحواسب الإلكترونية على توضيح تفاصيل الصور بدقة كبيرة. ولم يعد هناك غنى عنها لكل أغراض التنمية، وأصبحت تباع للدول الأخرى بالثمن للاستفادة من دقة تفاصيلها.

ولقد نجحت صور الأقمار الصناعية في تحديد أماكن آبار للمياه الجوفية في سلطنة عمان وتنزانيا، كماكشفت عن روافد قديمة مطمورة لنهر النيل في جنوب مصر، وبعض مستودعات المياه الجوفية في الحدود الفاصلة بين مصر والسودان، وأمكن الكشف عن كثير من الآثار القديمة في واحة «سيوة» المصرية، وعن آثار لحضارة الآراميين «إرم ذات العماد» في الربع الخالي بين الكويت والمملكة العربية السعودية.

لذلك فإن الأمل كبير في أن تُفصحَ صور القمر «الطائر السريع» عن مكان سفينة نوح، إن لم تكن على أعماق كبيرة تحت كثبان الجليد. وقد تستخدم تقنية «التصوير الراداري» وتقنية «الإشعاعات تحت الحمراء» للنفاذ إلى أعماق محدودة ●

المراجع:

١ - القرآن الكريم.
٢ - أحمد بهجت: أنبياء الله - دار الشروق - القاهرة - ١٩٨٧م.
٣ - محمد متولي الشعراوي: قصص الأنبياء - الدار العالمية - ١٩٩٨م.
٤ - بيوار خنيس: باحث جيولوجي كردي يعيش في هولندا، بحث نشر موجزه في جريدة الشرق الأوسط - لندن أغسطس ٢٠٠٠م.
٥ - مجلة العلم: عدد أغسطس ٢٠٠١م - القاهرة.
٦ - سعد شعبان: حدث في الفضاء - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٣م.
٧ - سعد شعبان: نافذة على الفضاء - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٧م.
٨ - سعد شعبان: الفضاء عصرنا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٠٠م.
٩ - حسنين مخلوف: صفوة البيان لمعاني القرآن - دولة الإمارات العربية - ١٩٨٢م.
١٠ - شبكة الإنترنت.

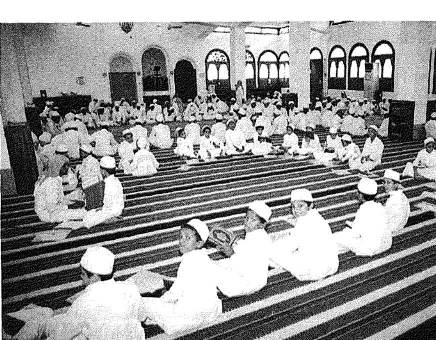




فكـر

أما آن للأمة أن تزحف بمبادئها؟

بقلم: د. أبويحيى أحمد العمراني . كلية الآداب والعلوم الإنسانية . المغرب



ما أُثر عن بعض المفكرين الكرام: «من لم يزحفْ بمبادئه زُحف عليه». كلمة يسعى كل الناس اليوم إلى تطبيقها، بل كل الجماعات والدول، إنها ديدن الناس في هذا العالم، فكل من يعتنق مبدأ ما يراه صحيحاً يسعى جهده للزحف به. وأمة الإسلام أمة عظيمة بمبادئها، عظيمة بدينها وخلوده، والأصل أن تسود بما تملك وتزحف بما تؤمن.

لكن المتأمل في واقع هذه الأمة الخيرة يلاحظ تغيراً كبيراً في حاملي هذه المبادئ، وفي واقع أصحاب هذه المبادئ، مع أنها مبادئ أعزت أصحابها وحامليها: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمن ابتغى العزة في غيره أذله الله»، واقع يبين عن وهن كبير وضعف خطير وانحراف كبير وذلك فظيع.

فماذا حصل لأمة المبادئ والقيم؟ ولماذا هذه الذلة؟

عن هذه الأسئلة وغيرها يجيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يقول فيه: «ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلمَّ، فيُقال: لأنهم قد بدَّلوا بعدك فأقول سحقاً «بعداً» سحقاً». وفي رواية: «إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»(١).

إنه تشخيص للداء الذي أصاب الأمة، الداء العضال الذي أخرج الأمة من الوضع الذي ارتضاه الله لها، من الخيرة العظيمة التي خصت بها، حيث قال الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم: «أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل»(٢).

وللأمة أن تسائل نفسها هل تستحق هذا التقدير من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم أنها فعلاً بدَّلت وغيَّرت، وأصبح الحكم النهائي الذي سيصدر في الآخرة، والذي لا استئناف فيه، هو البعد والسحق ـ والعياذ بالله ـ وأضحى المصير في الدنيا هو ما تعيشه الأمة اليوم في واقعها الحياتي، من تمزق لراياتها، وتفرق لكلمتها، وتشتت في صفوفها، إضافة إلى الدرك الأسفل الذي وصلت إليه مجتمعاتها بين أمم الأرض قاطبة. فالمسلمون بدَّلوا وغيَّروا، وما طبقوا، أساءوا فهم الإسلام مع الأسف الشديد أساءوا لأنفسهم.

فما تخلف المسلمون إلا بسبب هذه الإساءة، وما حصل التخاذل في نصرة بعضهم بعضاً إلا بسبب هذه الإساءة، وما الانحرافات الأخلاقية التي سادت الواقع الإسلامي إلا بسبب هذه الإساءة.

مع أن الأمة تملك كل وسائل القيادة، فالعدد أكثر من مليار وربع المليار ـ وإن كانت العبرة ليست بالكثرة ـ والأمة أمة «سورة إقرأ» ولكنها لا تقرأ،

والأمة أمة «سورة القلم»، ولكنها تخلت عن القلم، والأمة أمة «سورة النور»، ولكنها تعيش في الظلام، والأمة أمة «سورة الصف»، ولكن صفها ممزق، والأمة أمة «سورة الحديد»، ولكنها لا تملك الحديد، والأمة أمة «سورة طه»، ولكنها تخلت عن منهج طه، والأمة أمة «سورة القتال»، ولكنها اختارت الاستكانة والاستسلام، والأمة أمة «سورة النصر»، ولكنها رضيت بالهزيمة، والأمة أمة «سورة الإخلاص» ولكن الإخلاص بعيد عنها.

اقتصاد الأمة متكامل وكاف لو حصل التضامن، فموقعها الجغرافي تحسد عليه من قبل كل الأنام، ورسالتها حضارية تصل الأرض بالسماء، تجمع بين العقل والنقل، تعطي الآخرة ولا تحرم من الدنيا، تفور القلب ولا تحجر على العقل، تعطي الإيمان والعلم، تلك الوثيقة الإلهية التي تتضمن كلمات الله الأخيرة للبشرية، الوثيقة الأخيرة التي لم تُحرَّف.

هذا ما تملكه الأمة، وهو باختصار دين الإسلام، الذي يشمل كل هذا، إنه المنّة الكبرى والنعمة العظمى، والدين المرتضى للبشرية ولأهل السماء، فكل الأنبياء والرسل بعثوا بالإسلام، كما أخبر الحق تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه...) الشورى:١٣.

دين الأنبياء والمرسلين

فنوح عليه السلام أمر بالإسلام، وأُمر به كما أخبر بذلك القرآن: (وأُمرت أن أكون من المسلمين) النمل:٩١.

وهو دعوة يعقوب عليه السلام الذي يقول: (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) البقرة:١٣٣.

وهو ملة إبراهيم الذي قال فيه المولى الكريم: (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) البقرة: ١٣٠ ـ ١٣١.

وهو رسالة نبي الله إسماعيل، وإسحاق، ويوسف، وسليمان، وموسى، وعيسى على الجميع السلام. وما بُعث لبنة التمام ومسك الختام إلا بالإسلام: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) المائدة:٣.

نعم، بعثوا بالإسلام، وعاشوا الإسلام وللإسلام، وتمثلوا مبادئه وضحوا من أجلها بكل غال ونفيس.

تضحية الأولين من أجل المبادئ

فكل الأمم والأفراد يحملون مبادئ بها يحيون وعليها يموتون، وبإطلالة على كتاب ربنا وسنَّة نبينا التي وصلتنا والتي تخلينا عنها نتبين هذه التضحيات الرائعة والعجيبة التي فرطنا فيها.

فمن أجل المبدأ ضحى هابيل بنفسه أمام أخيه قابيل ولم يمد عليه يديه قال: (لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط إليك يدي لأقتلك) المائدة:٢٨.

ومن أجل المبدأ صبر نوح (٩٥٠ سنة) وهو يدعو ولم يمل ولم يتقاعس.

ومن أجل المبدأ نفذ إبراهيم أمر ذبح ابنه وفلذة كبده، (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى...) الصافات:١٠٢.

ومن أجل المبدأ استجاب إسماعيل لأمر الذبح (قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) الصافات:١٠٣.

ومن أجل المبدأ فرَّ أصحاب الكهف بدينهم واختلوا بكهفهم، (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً) الكهف:١٦.

ومن أجل المبدأ قبل غلام الأخدود أن يضحي بنفسه ويقتل بسهمه.(٣)

ومن أجل المبدأ قبل أصحاب الأخدود الرمي في النار.(٤)

ومن أجل المبدأ رفض يوسف الوقوع في المعصية: (معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي) يوسف:٢٣.

ومن أجل المبدأ نشر الأنبياء بالمناشير وصبروا واحتسبوا حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه فيشق اثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»(٥)

ومن أجل المبدأ رفض محمد صلى الله عليه وسلم كل المغريات فقال: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الدين لا أتركه حتى يظهره الله أو أهلك دونه» (٦).

المسلمون يملكون مبادئ أساسية وعظيمة لو طبقت وأحسن تقديمها للبشرية لكانوا أصحاب المبدأ الوحيد المنقذ للبشرية

وقال: «ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم، والملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليَّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم»(٧).

ومن أجل المبدأ ضحى الرواحل الأول، فهذا بلال مؤذن الرسول يشتد عليه أذى الكفار حتى إنهم ليطرحونه على ظهره في رمضاء مكة الملتهبة بالحرارة، ويضعون الصخرة الثقيلة على صدره يريدون منه أن يترك هذا الدين، فيصمد ويثبت على دينه ويقول: أحد أحد.(٨)

وهذا حبيب بن زيد الأنصاري يقول له مسيلمة الكذاب: قل: لا إله إلا الله، فيقول: لا إله إلا الله، فيقول له: قل: أشهد أن مسيلمة رسول الله، فيقول: لا أسمع، ثم يقطعه مسيلمة عضواً عضواً، ويأبى أن يقول: مسيلمة رسول الله، حتى لقي ربه صابراً محتسباً.(٩)

وهذا عبد الله بن حذافة السهمي يأخذه ملك النصارى أسيراً عنده، ويقول له: اتبعني وأشركك في ملكي فيأبى ويقول: لا أبغي بدين محمد بديلاً، ثم يحمي ملك الروم النحاس بالنار، ويغلي القدور لتعذيبه، وعند ذلك يبكي عبدالله بن حذافة فيطمع ملك الروم برجوعه عن الإسلام، ويقول: تتبعني وتترك دينك، فيرد عليه عبدالله بقوله: ما بكيت خوفاً على نفسي، ولكن وددت أن لي نفوساً عدد شعري تعذب في سبيل الله فتدخل الجنة بغير حساب»(١٠).

ومن أجل المبدأ جلد الأئمةُ وعُذبوا وصبروا واحتسبوا، وما غيَّروا وما

بدّلوا، وعلى منهجهم صار القلة من الدعاة والصالحين: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) الأحزاب:٢٣.

الأشرار والمبادئ

وعلى المبدأ الخاطئ نافح الأشرار وينافحون ويضحون ويموتون.

فإبليس نافح عن مبدئه وضحى بالنعيم المقيم: (قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك. قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) الأعراف:١٢.

وابن نبي الله نوح عليه السلام نافح عن مبدئه ورفض الركوب مع أبيه في السفينة فقال: (سآوي إلى جبل يعصمني من الماء...) هود: ٤٣.

ومثلهم فرعون وهامان وقارون: (وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين) العنكبوت:٣٩.

وكذا صنع أبو جهل فرعون هذه الأمة، وهكذا كل الأشرار وكثير من الناس في زمننا من أبناء الأمة الغافلين المستغربين، أو من غير هذه الأمة، يدافعون عن مبادئ خاطئة، أو لا يعرفون خطأها، نافحوا عنها وقاتلوا وقتلوا من أجلها.

والأكثرون يدعون مبادئ معتقدين حسنها كمبدأ السلام وحقوق الإنسان والمساواة والعدالة ومحاربة الإرهاب، ولكن في الحقيقة مأربهم واحد هو الوصول عبرها إلى تحقيق أهدافهم بتشويه هذه المبادئ وإفراغها من محتواها الحقيقي واستغلالها لتحقيق مقاصد لهم.

المسلمون ومبادئهم

نحن المسلمين نملك مبادئ أساسية وعظيمة لو طبقت وأحسن تقديمها للبشرية، لكنا أصحاب المبدأ الوحيد المنقذ للبشرية. لأنها طبقت قروناً ومازالت هي الحل، والحل لا يعني التنديد والبكاء على هذا الواقع الأليم، وإنما في تجديد العهد وإعادة البيعة مع الله المتمثلة في اعتناق الدين مبدأ بتصفية معتقداتنا من كل الدخيل والشوائب. واعتناقه منهجاً وعملاً: بتمثل الإسلام عقيدة وانتماء وسلوكاً.

بهذا وحده نوصل الإسلام إلى الآخر، ويصل الإسلام إلى القلوب فتتغير المبادئ الفاسدة والمنحرفة ويقبل الناس على المبادئ الصحيحة النافعة، وليس عيباً أن يغير الإنسان مبدأه إذا اكتشف خطأه، وعدم صوابيته، وهو فعل حصل لسحرة فرعون كما أخبر القرآن الكريم: (قال للملأ من حوله إن هذا لساحر عليم. يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون. قالوا أرْجِه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين. يأتوك بكل سحَّار عليم. فجُمِعَ السحرة لميقات يوم معلوم. وقيل للناس هل أنتم مجتمعون. لعلنا نتَّبع السحرة إن كانوا هم الغالبين. فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إنْ كنا نحن الغالبين. قال نعم وإنكم إذاً لمن المقربين. قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون. فألقوا حبالهم وعِصيِّهم وقالوا بعزة فرعون إنَّا لنحن الغالبون. فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون. فأُلقي السحرةُ ساجدين. قالوا آمنا برب العالمين. رب موسى وهارون. قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علَّمكم السحر فلسوف تعلمون. لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنَّكم أجمعين. قالوا لا ضير إنَّا إلى ربنا منقلبون) الشعراء:٣٤ ـ ٥٠.

إن ما ينقص الأمة اليوم هو اعتزازها بمبادئها، لأن اعتزاز أمة بمبادئها وإن كانت خاطئة قد

من أجل المبدأ نشر الأنبياء بالمناشير وصبروا واحتسبوا

يحييها سنوات، ولكن صحة المبدأ وسلامته هو الذي يجعلها تعيش وتخلَّد إلى قيام الساعة، فحال الأمة المسلمة اليوم كحال موسى وهو يحمل العصا، ويخاف من الحبال، فعار على أمة تحمل مثل هذا الدين أن تخاف أو تجبن أو تصبح قصعة يأكل منها الخاص والعام. إن هذا الدين محتاج إلى من يحمل همَّه، فأعظم حمل له أن نحمله في سلوكنا وأخلاقنا. لكن الناس اليوم مع الأسف الشديد تركوا حمل همِّ الدين وانشغلوا بهمِّ الطين.

أبناء المسلمين اليوم أصابهم غرور الانتماء الفارغ، فهم مسلمون بإعلان الشهادة، وبعيدون عن حقيقة الشهادة. إنه كمال زائف، وشعور بالطمأنينة الزائفة، ولِمَ لا، والكل يدَّعي تأدية الفرائض، ويتمسك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أفلح إن صدق»(١١)، فماذا يلزمه؟. متجاهلاً سنَّة الله في الكون التي تتطلب الجد والعمل وبذل الجهد لصالح الأمة في شتى الميادين.

كما أصابتهم حمى العائق الوحيد، فالكل يشتكي من وجود مشكلة قائمة يلزم حلها، فإذا تيسر وجود الحل، ظهرت مشكلة أخرى وجب حلها، فإذا وجد حلاً ظهرت مشكلة ثالثة وهكذا... والإنسان يدور مع المشكلات دون شعور بمرور الزمن وحلول الأجل.

كما أصابت بعضهم حمى تجزيء الإسلام، لتبرير أحوال معينة، وتتمثل في إقناع المسلم نفسه بشرعية انحرافه عن الإسلام، فيأخذ مثلاً من الإسلام مظهره، ويترك الباقي، ويتخذ آخر من أخلاق الإسلام دينه، ويترك الباقي، وهكذا لو بحثنا في الناس لوجدناهم يبغضون الإسلام تبعيضاً (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) البقرة:٨٥، وهذا هو الأخطر على الدين وعلى المسلمين، حين يسوء الفهم للإسلام ويُعتقد بصحة الأفعال.

فهذا يهتم بالجانب الاقتصادي، وآخر بجانبه السياسي، والثالث بجانبه الأخلاقي، وهي كلها مفاهيم جزئية، تشمل بعضاً من الدين وليس كل الدين. إذ إن دين الأمة المحمدية دين شامل ومتوازن في كل المجالات.

هكذا نكون قد وضعنا أيدينا على مكمن الخلل، إنه التغيير والتبديل الذي انحرفنا بسببه عن هذا الدين، إنه البعد عن المبادئ وعدم التضحية من أجلها، إنه الوهن الذي عبَّر عنه المصطفى صلى الله عليه وسلم في حديث القصعة.(١٢).

فما أحوج الأمة إلى أن تعود إلى دينها وتعض على مبادئها، وتسلم أمرها إلى بارئها ●

الهوامش:

١ ـ فتح الباري رقم الحديث: ٦٥٨٤.
٢ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، ج: ٩٤/٤، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر فضائل هذه الأمة على سائر الأمم، رقم الحديث: ٦٩٨٧/ ٢٥٨٥، وقال الذهبي فيه: صحيح.
٣، ٤ ـ صحيح مسلم ١٠٢/١٨، وكتاب الزهد والرقائق، رقم الحديث: ٣٠٠٥/٧٣.
٥ ـ فتح الباري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث: ٣٦١٢، ج: ٧٦٨/٦، وتكرر أيضاً تحت رقم: ٣٨٥٢/ و٦٩٤٣.
٦ ـ السيرة النبوية ١٠١/٢، والروض الأنف: ٧/٢.
٧ ـ السيرة النبوية: ١٣٣/٢، البداية والنهاية لابن كثير: ٥٠/٣.
٨ ـ السيرة: ١٦٠/٢، وصفوة الصفوة: ٤٣٥/١.
٩ ـ السيرة ٣١٢/٢ وتفسير ابن كثير: ٥٨٩/٢.
١٠ ـ سير أعلام النبلاء: ٢٠٤/٣ ـ ٢٠٥.
١١ ـ خاتمة الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري في صحيحه (انظر فتح الباري رقم الحديث ٤٦، كتاب الايمان باب الزكاة في الإسلام).
١٢ ـ سنن أبي داود كتاب الملاحم ٢٧٢/١١.

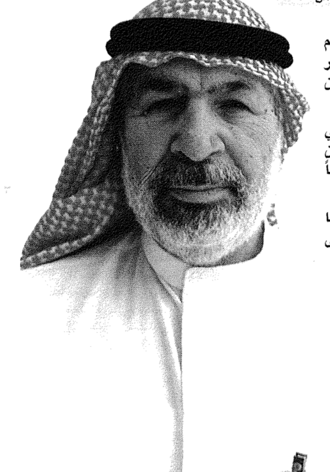


حـوار

د. صالح مهدي رئيس المركز الإسلامي في اليابان لـ الوعي الإسلامي

الحكومة اليابانية تؤكد أن المسلمين أهدأ الجاليات وأقلها إثارة للمشكلات

أجرى الحوار: عبدالرحمن سعد



ينشغل كثير من الباحثين بقضايا وهموم المسلمين في الغرب، ولا سيما أحداث ١١ سبتمبر العام ٢٠٠١م في الولايات المتحدة... فماذا عن أحوال المسلمين في الشرق، وتحديداً في اليابان؟

الدكتور صالح مهدي السامرائي رئيس المركز الإسلامي في اليابان يؤكد في هذا الحوار مع «الوعي الإسلامي» أن المسلمين في اليابان بألف خير، وأنهم يلقون احتراماً فائقاً، ورعاية كبيرة من الشعب والحكومة معاً.

بل إن اليابانيين أقرب شعوب الأرض للإسلام، بما تؤهلهم له ثقافتهم وعاداتهم الاجتماعية، مشدداً على أن اليابانيين متعطشون لمعرفة المزيد عن الإسلام، وأن الإقبال على الإسلام في اليابان في تزايد مستمر، وأن أبرز مشكلة تواجه المسلمين حالياً هي كيفية تعليم وتنشئة أفراد الجيل الثاني من المسلمين هناك في ظل عدم وجود مدارس إسلامية، واختلاف البيئة المحيطة.

وإليكم نص الحوار:

● بدءاً: كم عدد المسلمين في اليابان ونحن في العام ١٤٢٣هـ؟ وما نسبة المسلمين اليابانيين بينهم؟

ـ ليس هناك إحصاء محدد لهم، ففي اليابان أكثر من مئة جمعية، وتجمع إسلامي، وعشرات إن لم يكن مئات من المساجد والمصليات، ويدخل يومياً عن طريق هذه الجمعيات والمساجد والمصليات عدد كبير من اليابانيين في الإسلام.

كما يسافر سبعة عشر مليون ياباني سنوياً للسياحة إلى خارج البلاد، فمنهم من يعتنق الإسلام في البلاد الإسلامية، ومنهم من يدخله في أوروبا والولايات المتحدة، وحسب الوسائل التي تصل إلينا في المركز الإسلامي بالبريد الإلكتروني، فإن هناك آلاف اليابانيين ممن يرغبون في التعرف إلى الإسلام، ويطلبون إمدادهم بالكتب الإسلامية باللغة اليابانية.

وإجمالاً: تقول الإحصاءات إن عدد المسلمين اليابانيين يقارب المئة ألف أو يزيدون، والمسلمون الأجانب «أي من غير اليابانيين» يبلغون ثلاثمئة ألف أو يزيدون، وهذه أرقام تقديرية ينظر إليها المراقبون من زوايا مختلفة، ويعطون أرقاماً متعددة.

● كيف يتعامل الشعب الياباني مع المسلمين؟ وما نظرته تجاه الإسلام؟

ـ الشعب الياباني أقرب شعوب الأرض للإسلام، إذ يحترم مواطنوه هذا الدين، ويرون فيه تأكيداً لمثلهم، وتقاليدهم العريقة.

كذلك فإن الشعب الياباني تتمثل به الأخلاق العالية والصفات الكريمة، مجتمعة، ينال الاسلام استحسانه، وإذا أراد الله له الهداية فإنه يعتنق هذا الدين الذي أُعجب به، ولا سيما أن الشعب الياباني يتمتع بصفات أصيلة ورثها عن زعمائه الفرسان المعروفين تاريخياً بـ«الساموارئي».

فصفات الفارس الياباني «الساموارئي» تتفق مع كثير من تعاليم الإسلام، ومبادئه ومن ذلك أن «الساموارئي»: لا ينسى المعروف، ويبتعد عن الخمر والنساء، وكثرة الأكل، واحترام الوالدين، وطاعتهم، وعدم إظهار أي امتعاض مهما فعلوا له، كما أن «الساموارئي» يغسل يديه ورجليه ليلاً وصباحاً، وكذلك يأخذ حماماً دافئاً، ويحب المحافظة على نظافة جسمه ومظهره، ويصرف النظر عما لا يعنيه، ولا يتحدث عنه أو فيه.

كذلك من صفات «الساموارئي» عمل الخير، وما هو مقبول، والابتعاد عن الخطأ والقبيح، وأن يكون أميناً ـ لا خوف من أن يُكتشف، ولا خوف من الناس ـ وعليه أيضاً الاهتمام بالدرس والتحصيل والاستفادة من كل أوقاته، والعيش بعزة وعدم إيذاء الآخرين، وعدم العيش عالة عليهم، وعدم اختياره أصدقاء السوء.



● مسجد طوكيو المركزي ●

الإسلام ينتشر بين اليابانيين بمعدلات كبيرة... والشعب الياباني أقرب شعوب الأرض للإسلام

والواقع أن اليابانيين من أكثر الشعوب تعطشاً لمعرفة المزيد عن الإسلام، حتى إن المركز يعاني حالياً من نقص كبير في الكتب والنشرات الإسلامية باللغة اليابانية، نتيجة الطلبات المتزايدة، باستمرار على الكتاب الإسلامي من قِبَل أبناء الشعب الياباني.

شعب يحترم الإسلام

● كيف ترون إقبال الشعب الياباني على الإسلام واعتناقه وذلك على المستوى الفردي؟

ـ إنه إقبال رائع، وهناك أمثلة كثيرة تواجهنا لمواطنين يابانيين يتحرقون شوقاً لمعرفة الإسلام، فمثلاً: كتب لنا شخص أنه درس الإسلام ويريد اعتناقه، فهل عليه أن يتعلم الصلاة قبل النطق بالشهادتين أم يقول الشهادتين ثم يتعلم الصلاة؟ وهل الختان لازم؟! وإن كان كذلك فهل يجب أن يقوم به طبيب مسلم؟، وإلا فهو على استعداد لعمله بأي مستشفى مجاور لمكان وجوده.

يابانية أخرى كتبت لنا تقول: إنها درست الإسلام استعداداً لتقديم بحث في جامعتها فأعجبها وتريد أن تدعو طلبة جامعتها إلى الإسلام بطريقة علمية، وتقول: إني أعرف أن تحريم الخنزير أمر له علاقة بالصحة... أليس هناك أشياء في الإسلام أثبتها العلم أستطيع بها أن أدعو أبناء جامعتي إلى الإسلام؟!

مواطن ياباني آخر زار القدس وغزة قبل سنتين، فأحب الإسلام، وعندما رجع إلى بلده «مدينة كيوتو» اليابانية اتصل بالأخت الداعية اليابانية، «زيبا كومي»، وتعلم منها الإسلام.

طالب ياباني في السنة الثانية بالجامعة في مدينة «كيوتو» أيضاً، زار تركيا مدة أسبوع، فأحب الإسلام، ورجع وقرأ كتب المركز، وطلبها من الأخت «زيباكومي» وأسلم... «فاطمة ناكاسوني» شابة يابانية، تدرس في «بردفورد» في بريطانيا، كانت نصرانية، وصادقت فتاة من أصل باكستاني فأسلمت،

وهي تضع النقاب مع أنها في بريطانيا، وستعود إلى اليابان لمجرد انتهائها من دراستها.

«فكتوريا» الروسية، كتبت لنا من داخل اليابان تريد بنكاً إسلامياً لإيداع نقودها تحاشياً للربا، وهي متزوجة بياباني مسلم، وقلتُ: «بعد سبعين سنة من الحكم الشيوعي نرى روسية تعتنق الإسلام، وتحرص على أن تضع ما تملك في بنك غير ربوي؟!، هذه معجزة الإسلام». أما الرسالة التي كتبتها لنا جارة مسجد «طوكيو» بعد أن دعاها أحد دعاته ذات صباح إلى الإسلام فهي دليل على طيبة مشاعر الشعب الياباني فقد قالت: نشأت وأنا طفلة في بيت مجاور لمسجد طوكيو... وقد كان منظر قبته الزاهية قبيل غروب الشمس يأخذ بالألباب... وكلما نظرت إليه أشعر بغاية الفرح والسرور.

إن مثل هذه النماذج تتكرر - يومياً - بفضل الله - سواء في المركز، أو في المعهد العربي الإسلامي، أو في مسجد طوكيو، أو مسجد كوبي، ومع الجمعيات الإسلامية كلها.

والواقع أن وجود التجمعات الإسلامية الكثيرة في اليابان يهيئ فرصة للمسلمين الجُدُد أن يلتفوا حولها، ويتعلموا الحياة الإسلامية منها.

المسلمون متنوعون

● ما وضع المسلمين في اليابان حالياً وما تقسيماتهم ونوعياتهم وتوزيعاتهم عبر البلاد؟

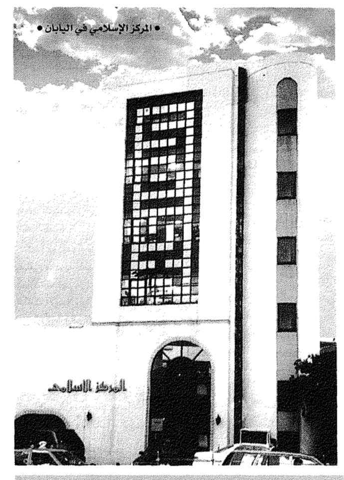
- وضع مسلمي اليابان أشبه ما يكون بالعهد المكي، حينما كان المسلمون الجدد أفراداً موجودين في مدن وقرى وواحات الجزيرة العربية، كل يقيم دينه في محل إقامته، منهم من يخفي دينه، ومنهم من يظهره، ويؤذى بسببه، ومنهم من يدعو إلى الله برغم الإيذاء إلى أن أذن الله بالهجرة إلى المدينة المنورة.

ويتوزع المسلمون في اليابان حالياً ما بين أقصى جزيرة في شمال اليابان «هوكايدو» إلى أقصى جزيرة صغيرة في جزر «أوكيناوا» جنوباً قرب «تايوان»، ومن أقصى الشرق في «طوكيو» إلى أقصى الغرب في «كانا زاوا» و«شمياني توتوري».

ويمكن أن نصنف المسلمين في اليابان إلى فئات:

أولاً: مسلمون يابانيوني: يتوزعون بين جمعيات خاصة بهم كجمعية «مسلمي اليابان» التي تأسست في العام ١٩٥٣م، أو جمعيات مندمجة مع جمعيات تضم الطلبة المسلمين، والمسلمين الأجانب المقيمين، وهذا الصنف منتشر في جميع أنحاء اليابان وأعدادهم كبيرة؛ وافرة، والواحد منهم يعادل أمة في نشاطه الإسلامي، وهم الأكثرية الساحقة من المسلمين اليابانيين، وهؤلاء يديرون أكثر من خمس عشرة صفحة إلكترونية باللغة اليابانية، يدعون فيها للإسلام.

ثانياً: المسلمون المهاجرون: كانت طلائع المسلمين المهاجرين إلى اليابان من شبه القارة الهندية قبل الاستقلال، إذ جاؤوا لليابان في أواخر القرن التاسع عشر، واشتغلوا بالتجارة... وتُعتبر الجالية الأندونيسية هي أكبر الجاليات بين هؤلاء، ولهم مدرسة ومسجد في طوكيو، وقد تزايد عدد هؤلاء المهاجرين منذ الثمانينيات من مختلف الجنسيات، والكثير منهم استقر بعد زواجه بيابانية... ويُوجد اتجاه جديد، وهو زواج اليابانيين بعد إسلامهم لامسلمات، وأكثرهن من إندونيسيا وماليزيا والفلبين، ومن العربيات المسلمات، ومن آخر الزيجات زواج ياباني بعد إسلامه بمسلمة روسية.



● المركز الإسلامي في اليابان ●

٤٠٠ ألف مسلم في اليابان والعدد في ازدياد وهناك مئة جمعية إسلامية وعشرات المساجد في البلاد

ثالثاً: الطلبة المسلمون القادمون من البلدان الإسلامية: أكثرهم من الإندونيسيين ثم الماليزيين ثم من باكستان وبنغلاديش ثم من العرب والترك والإيرانيين والأفارقة.

هؤلاء شكلوا مع المسلمين اليابانيين والمسلمين المقيمين تجمعات مشتركة في كل مدينة يقيمون مصلى مؤجراً، وبدأوا بإقامة مساجد ثابتة مملوكة، إضافة إلى ثلاجات لبيع اللحم الحلال، وأخيراً أقام الطلبة العرب، وأكثرهم مصريون، مصلى في مكان إقامتهم في ضواحي «شت ميساتو»، وأدى ٢٥ شخصاً منهم، ومن الطلبة الآخرين فريضة الحج العام ١٤٢١هـ، إضافة إلى أعداد كبيرة من الطلبة من الجنسيات الأخرى التي حجت هذا العام.

رابعاً: المتدربون من البلدان الإسلامية: إذ يأتي إلى اليابان أعداد كبيرة من المتدربين من البلدان الإسلامية لفترة تمتد من أسابيع إلى سنة، وهؤلاء لهم حاجاتهم منها: التعرف إلى الأطعمة الحلال، ومواقيت الصلاة، كما أن الكثير منهم يتعرضون لأسئلة عن الإسلام. ولهؤلاء المتدربين دور كبير في التعريف بدين الإسلام، ومحض وجودهم كمسلمين يعلم اليابانيين شيئاً عن الإسلام، خصوصاً حينما يتحرى هؤلاء المسلمون العيش ضمن تعاليم الإسلام.

خامساً: التجار والسياح المسلمون: فالعلاقات التجارية بين العالم الإسلامي واليابان قديمة ومستمرة، ويؤم اليابان سنوياً عدد من التجار وكذلك السياح، ولهؤلاء دور في التعريف إلى الإسلام.

مشكلتنا الجيل الثاني والقبور

● في رأيك... ما أهم مشكلة تواجه المسلمين في اليابان حالياً؟

ـ أهم مشكلة هي أبناء وبنات الجيل الثاني، وأكثرهم من الزواج المشترك: أجانب بيابانيات، وبالمثل: مسلمات أجنبيات بيابانيين مسلمين، وكذلك أبناء المسلمين اليابانيين.

كذلك فإن التعليم إجباري وأساسي، وللأسف لا توجد مدرسة إسلامية واحدة في اليابان، ويُوجد الآلاف من الأبناء المسلمين، وما لم نهيئ لهم وسيلة لتعليمهم الإسلام، فلا شك أنهم سيذوبون في المجتمع غير الإسلامي.

والذي يحدث أن المسلم الباكستاني أو البنغلاديشي يرسل زوجته اليابانية، وأولاده إلى بلدانهم للتعلم، ومع وجود الفوارق الاقتصادية والاجتماعية بين اليابان وهذه البلدان، فإن مشكلات كثيرة تظهر، وقد تؤدي إلى هدم الحياة الزوجية، ولابد من حل جذري لهذه المشكلة.

إننا إذا اعتنينا بأبناء الجيل الثاني، فإن هؤلاء هم الذين سيقدمون الإسلام للشعب الياباني بكفاءة أعلى منا، فهم يابانيون، ولغتهم يابانية، وهذان عاملان مهمان.

وفي هذا الصدد، فإن المركز الإسلامي بصدد إقامة أول مدرسة إسلامية في اليابان، واشترى لذلك أرضاً مجاورة لمسجد طوكيو المركزي، ويعتزم إقامة مدرسة عليها ليكسر حاجز التردد في إقامة المدارس الإسلامية عند المسلمين في اليابان، كما كسر حاجز التردد في بناء المساجد في هذا البلد.

● بالنسبة لمستوى المعيشة... هل هناك هموم معينة يعاني منها المسلمون في اليابان؟

ـ من أكبر الهموم المعيشية في اليابان كيفية دفن موتاهم على الطريقة الشرعية وفي مقابر شرعية، وخصوصاً بعد أن أصبح وجود المسلمين كثيفاً... إذ إن كلفة الحصول على قبر في المقبرة الحالية «إينزان»، وهي تحت إشراف إخواننا بجمعية مسلمي اليابان، تبلغ أكثر من «مليون ين ياباني» «أكثر من عشرة آلاف دولار»... وهو مبلغ كبير، ولكن هناك حرص من المسلمين حالياً على شراء أراض أخرى يُدفن فيها موتى المسلمين مجاناً، وقد بدأت حملة لجمع التبرعات من أبناء الجالية لهذا الغرض أخيراً.

● وأخيراً: كيف تتعامل الحكومة اليابانية مع المسلمين هناك؟

ـ حكومة اليابان تعطي الحرية الكاملة للمسلمين في اليابان، وتحرص على رعايتهم وتعميق التفاهم مع العالم الإسلامي، بدءاً من وزير الخارجية، حتى البوليس الياباني بمختلف أشكاله ورتبه، فهو أول من يحرص على التعاون مع المسلمين أفراداً وجماعات، وقد أجرت الحكومة اليابانية دراسات على الأجانب، أشارت إلى أن المسلمين هم من أهدأ الجاليات وأقلها مشكلات.

إن اليابانيين ـ حكومة وشعباً ـ يستحقون كل تقدير واحترام، فما أن يسمعوا كلمة «الإسلام» حتى يعبِّروا عن عميق احترامهم، وارتياحهم لهذا الدين... بل يعربون عن أسفهم ـ مسلمين وغير مسلمين ـ من تأخر وصول الإسلام إلى بلادهم، حتى أواخر القرن التاسع عشر، في الوقت الذي كان قد وصل فيه إلى الصين والفلبين ●

كيف دخل الإسلام إلى اليابان؟

انبثق نور الإسلام من الجزيرة العربية شرقاً وغرباً في العالم، لكن وصوله تأخر إلى اليابان حتى أواخر القرن التاسع عشر، وتحديداً في بداية عصر النهضة اليابانية، وعصر «ميجي» الذي بدأ العام ١٨٦٨م.

ففي ذلك الوقت كانت الدولتان العثمانية واليابانية تقيمان علاقات ودية بينهما، وتتبادلان الزيارات، ومن ذلك بعثة أرسلها المرحوم السلطان عبدالحميد الثاني إلى اليابان العام ١٨٩٠م على الباخرة «آل طغرل»، وعلى متنها أكثر من ستمئة ضابط وجندي عثماني، وبعد أن أدت البعثة مهمتها، وقابل رئيسها الأميرال «عثمان باشا» أمبراطور اليابان عادت أدراجها، إلا أنها وهي لا تزال على الشواطئ اليابانية، ليس بعيداً عن «أوساكا»، هب عليها إعصار شديد، أدى إلى تحطمها، واستشهاد ٥٥٠ شخصاً بمن فيهم أخو السلطان العثماني، وقائدها «عثمان باشا».

هزت الحادثة الطرفين، ودُفن الشهداء عند الموقع الياباني، وأقيم متحف بجانبهم، وإلى يومنا هذا: يحتفل اليابانيون والأتراك بهذا الحادث كل خمس سنوات، ما يدل على إخلاص اليابانيين.

بعد سنة من الحادث، تصدى صحفي ياباني شاب اسمه «أوشتا رونودا» لجمع تبرعات من اليابان لأسر الشهداء العثمانيين، وتوجه إلى «اسطنبول»، وسلم التبرعات للسلطات العثمانية، وقابل السلطان عبدالحميد الثاني، وفي أثناء إقامته في اسطنبول التقى بأول مسلم إنكليزي هو «عبدالله غليام»، وهو من مدينة «ليفربول»، وبعد حديث معه، قبل دين الإسلام، وتسمى «عبدالحليم»، وهكذا يُعتبر «عبدالحليم نودا» أول مسلم ياباني.

ثم تبعه «يامادا» الذي وصل إلى «اسطنبول» العام ١٨٩٣م حاملاً التبرعات لعوائل الشهداء، فطلب إليه السلطان عبدالحميد تدريس اللغة اليابانية للضباط العثمانيين، واتخذ اسم «خليل أو عبدالخليل»، وكان ثاني مسلم ياباني.

أما ثالث مسلم ياباني فهو «أحمد أريخا»، وكان مسيحياً يعمل في التجارة، زار مدينة «بومباي» الهندية العام ١٩٠٠م، وجذب نظره مسجد فيها فدخله، وهناك أسلم، ثم عاد داعية، وشارك في إحدى ترجمات القرآن لليابانية.

وفي غضون ذلك، سكن تجار مسلمون من الهند في كل من: «طوكيو» و«يوكوهاما»، و«كوبي»، وبهذا اعتبروا أول جالية إسلامية تقيم في اليابان.

ثم توالت هجرات المسلمين على اليابان طوال العقود التالية وحتى اليوم من شتى دول العالمين العربي، والإسلامي، حتى انتشر الإسلام في أرجائها، وبين أهلها، كما نلمس اليوم ●

● وثيقة توضح أول ياباني أسلم عام ١٨٩١ على يد أول مسلم إنجليزي وهي من المرحوم بكر برق أحد زعماء جماعة النور في تركيا ●

كيف نحقق الأمن الاقتصادي للمسلمين؟

بقلم : محمود بيومي - القاهرة

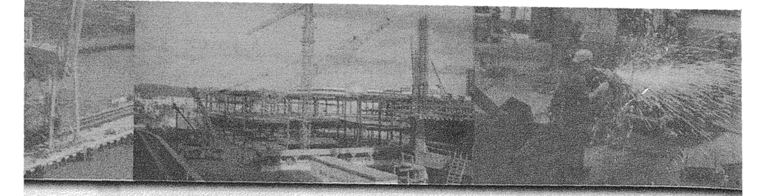
ينقسم العالم الذي نعيش فيه انقساماً اقتصادياً حاداً... أسوأ من الانقسام بين الأغنياء والفقراء... أو الانقسام بين الدول المتطورة والدول النامية... وهذا الانقسام الاقتصادي له مدلول واضح... فالدول الغنية تمثّل نحو ربع سكان العالم وهي تملك أكثر من ثلاثة أرباع إجمالي الدخل العالمي.

في حين أن الربع الباقي من الدخل العالمي... يعيش عليه ثلاثة أرباع سكان العالم... ومن بين دول العالم النامي تُوجد دول شديدة الفقر... تعيش على «حدّ الكفاف» وهي قطاعات واسعة من دول أفريقيا وبعض دول آسيا... ولا شك أن أغلب الدول الإسلامية تعتبر من الدول النامية... والكثير منها من الدول الأشد فقراً... فالذي ينظر إلى خريطة العالم يجد الدول الإسلامية كلها في آسيا وأفريقيا، وهي من دول العالم الثالث... حيث يعيش ٣٧٪ من سكان العالم الإسلامي تحت خط الفقر وهو ما يعادل ٥٠٤ ملايين نسمة من المسلمين.

ونحن نجد أن قسماً كبيراً من الدول الإسلامية قد تمتلك من مصادر الثروات الطبيعية ما يزيد على ما تمتلكه بعض الدول الغنية... لذا يجب أن تخوض الدول الإسلامية جهاداً اقتصادياً للخروج من دوائر التبعية والتخلف الاقتصادي... ما يجعلنا نفكر في كيفية توافر الأمن الاقتصادي للمسلمين.



• فقر وتشرد تعاني منه معظم دول أفريقيا •



هذه هي جوهر القضية التي نعرضها على بساط البحث والمناقشة على عدد من كبار مفكري الأمة الإسلامية

الجهاد الاقتصادي

● **في البدء يقول الدكتور جعفر عبدالسلام - أمين عام رابطة الجامعات الإسلامية وأستاذ الاقتصاد بجامعة الأزهر:**

- لا شك أن التخلف الاقتصادي الذي تعاني منه أغلب الدول الإسلامية... يفرض عليها جهاداً للخروج من دوائر التبعية والتخلف الاقتصادي... وعلى المجتمع الدولي أن يساعد الدول الإسلامية - النامية - كي تأخذ بأسباب التنمية الاقتصادية... ونحن ندرك أن الدول النامية ينقصها كي تحقق التنمية المرجوة... عنصر رأس المال لأن المال عنصر أساس لتمويل أي نشاط اقتصادي... مثل استغلال الثروة أو إصلاح الأراضي أو إقامة المصانع وغير ذلك... كما تفتقد هذه الدول عنصر الخبرة الفنية أو التكنولوجيا... لأن ذلك العنصر هو الذي أتاح للدول الغنية أن تتقدم وتسبق غيرها... وتحتاج الدول الإسلامية النامية إلى هذين العنصرين - المال والتكنولوجيا - حيث تقصر مواردها الذاتية عن تحقيقه... لذا تحتاج إلى مساعدة المجتمع الدولي في هذا المجال.

إزاحة المعوقات

وأضاف: لا شك أن القانون الدولي للتنمية يركز على محورين أولها: إزالة الهيكل القانوني المعوّق للتنمية والذي وضعته دول الغرب خلال الحقبة الاستعمارية لتحقيق مصالحها...

وثانيها: يتمثل في تأسيس قواعد إيجابية للقانون الدولي لتعمل على تدعيم التعاون وتقريب الدول... وتأكيد مساعدة القوي للضعيف والغني للفقير.

ومن هنا كان الجهاد المرير الذي تخوضه الدول الإسلامية - أو دول العالم الثالث - لوضع إطار قانوني يحكم عمليات المساعدة الاقتصادية... ومما يدعو للأسف أن تقديم المساعدات من الدول الإسلامية الغنية إلى الدول الإسلامية الفقيرة... يتم في إطار التنظيم الدولي المالي... ولا يعبِّر عن الفهم الكامل لمفهوم الأمة الإسلامية الواحدة... ولو أن المسلمين طبَّقوا أحكام وتعاليم وهدايات الدين الإسلامي الحنيف... لما برزت المشكلة الاقتصادية في ديار المسلمين، ونحن ندرك أن الشريعة الإسلامية لا تفرض تكاليف المساعدة على «الدولة» للدولة... لأن الشريعة الإسلامية لا تعترف إلا بدولة إسلامية واحدة... يقول تعالى: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم) الحجرات:١٣، فالمتعمق في التاريخ الإسلامي يستخلص أن الإسلام ربط الأمة الإسلامية بروابط متينة للغاية.

الزكاة... لها آثار اقتصادية مهمة في المجتمع الإسلامي

التقنية الإسلامية

● **ويقول الدكتور عبدالعزيز الخياط وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأسبق بالأردن:**

- إذا نظرنا إلى مسيرة التقدم الحضاري العالمي... وجدنا أن المسلمين كانوا يمتلكون على الدوام زمام الريادة والقيادة في هذا المجال... كما أن بلدان العالم الإسلامي زاخرة بكل ما يلزم لدفع مسيرة التقدم العلمي والتكنولوجي وتحقيق التكامل الاقتصادي... كما ندرك أن الأمة الإسلامية تغلَّبت عليها أطماع الطامعين... فتم تقسيم العالم الإسلامي إلى كيانات متفرِّقة... تمكّن خلالها خصوم الأمة من إحالة الخصوبة الإسلامية في معظم المجالات إلى جدب واضح... ولا شك أن الدور المأمول لاسترداد أمجادنا أن يعمل كل مسلم في موقعه وفي موطنه على تعزيز اقتصادات وطنه... وأن نسعى دائماً لتعزيز التعاون بين الدول الإسلامية في المجالات التكنولوجية والاقتصادية مرتكزين على هدايات وتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف.

وأضاف: الحقيقة أن التعاون والتضامن والوحدة بين المسلمين أوامر ربانية... زخرت بها الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة... ولا يمكن اعتبار تعاليم الإسلام لمجرد شعارات... ولكن المشكلة تكمن في أن الأمة وهي تردد هذه التعاليم... يعوزها الصدق والنوايا الطيبة والعمل الإيجابي في مجال التطبيق... فمثلاً لمواجهة المشكلات الاقتصادية... طرحت على بساط البحث مشروع إقامة السوق الإسلامية المشتركة... لتوسيع دائرة التبادل السلعي بين المسلمين... ومع الاعتقاد الصحيح والاقتناع التام بأن إنشاء هذه السوق الإسلامية المشتركة سوف يعزز اقتصادات المسلمين... إلا أنها لم تخرج بعد إلى حيِّز الوجود.

وقال الدكتور عبدالعزيز الخياط: ولكن هناك في حقل العمل الإسلامي الواقعي... مؤسسات اقتصادية إسلامية مثل البنك الإسلامي للتنمية - التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي - ويعمل هذا البنك بالفعل على دفع مسيرة التنمية في الكثير من الدول الإسلامية، وتعزيز التضامن الاقتصادي وإقامة مشروعات ذات أهداف حيوية في بعض ديار المسلمين... ولا شك أن المطلوب لتحقيق الأمن الاقتصادي للمسلمين... هو زيادة جرعات التعاون الاقتصادي والتقني إلى جانب إبراز ملامح التضامن الإسلامي في كل النواحي... حتى تتحقق ا لاستقلالية الاقتصادية للأمة الإسلامية.

٥٠٤ ملايين نسمة من المسلمين يعيشون تحت خط الفقر !!

النمو الاقتصادي

● **ويقول الدكتور محمد**



الاجتهاد في المجال الاقتصادي ضرورة لتنمية المجتمعات المسلمة

شوقي الفنجري - أستاذ الاقتصاد بالجامعات المصرية:

- لا شك أن التنمية في ديار المسلمين تتطلب وجود رؤوس أموال حتى يمكن استخدامها في الاستثمار وزيادة الإنتاج، فيرتفع دخل الفرد ويكون منه إدخار بعد ترشيد الاستهلاك الشرعي في حدود الضرورات والحاجات الشرعية... وفائض الدخل أو المدخرات تدور دورته في الاستثمار وفي المشروعات الإنتاجية... وبالتالي يزداد الإنتاج ويقوى الفرد... وهكذا تتسع دوائر الإنتاج والاستثمارات والمشروعات الإنتاجية.

وأضاف: الإسلام يعتبر التنمية حقاً مشروعاً من حقوق الإنسان... فدعاه إلى استثمار كل عناصر الإنتاج المشروعة في العمل ورأس المال والموارد الطبيعية... يقول تعالى: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) الملك:١٥، وقد وضعت الشريعة الإسلامية ضوابط للتنمية في مقدمها... أن يكون المال من مصدر مشروع... فالمال لا يجوز أن يكون محرماً... مع البعد عن الإسراف والتبذير... والبعد عن اكتناز المال وحبسه عن التداول.

وقال: ونحن ندرك أن التنمية لا تقوم بلا علم... لذا فإن الأمة الإسلامية في سبيل تحقيق التنمية الاقتصادية عليها استخدام التنمية الملائمة لظروفها الاجتماعية والاقتصادية... ولا غبار من الحصول على التقنية من الدول غير الإسلامية... ما دامت تتلاءم مع ظروف المجتمع الإسلامي ولا يترتب عليها ضرر للمسلمين أو الانتقاص من سيادتهم.

التكتل الإسلامي

واستطرد قائلاً: إن التعاون والتكتل الإسلامي كفيل بأن يساعد على تعزيز القدرة التكنولوجية للأمة الإسلامية، إضافة إلى ابتكار التكنولوجيا الإسلامية الملائمة لحاجات المجتمع الإسلامي الاقتصادية... فذلك يؤدي إلى حماية الدول الإسلامية من التبعية لسوق الدول الصناعية... كما يساعد على اتخاذ موقف موحد وقوي للدول المسلمة في تفاوضها مع الدول المتقدمة صناعياً.

وأضاف: ونحن ندرك أنه لا يمكن عزل التنمية الاقتصادية عن التنمية الاجتماعية والثقافية... كما أن النمو الاقتصادي ضرورة لكفالة حقوق الإنسان في جميع المجالات.

ضد الكوارث الاقتصادية

● **وتقول الدكتورة نعمت مشهور - الأستاذة بكلية التجارة - بنات - جامعة الأزهر:**

تضم مصارف الزكاة الثمانية أسهماً تقوم بتأمين المسلمين ضد الكوارث الاقتصادية... فالزكاة تغيث المسلم وتُبعد عنه خطر التشرّد والجوع... والآثار الاقتصادية للزكاة تُلقي بظلالها على كل من الفرد والمجتمع... فإذا نظرنا إلى مصرف «ابن السبيل» نجد من أمثلته في العصر الحاضر... الطلاب الذين يحتاجون إلى بعثات للخارج للتخصص في علم نافع أو دراسة علوم الإسلام واللغة العربية بإحدى الجامعات الإسلامية... وكذلك من يُجبر على مغادرة وطنه ومفارقة ماله وأملاكه... فالإسلام لا يترك المسلم يتعرض للكوارث الاقتصادية... لذا تعتبر الزكاة نظاماً فريداً يقوم بتأمين المسلمين ضد الكوارث الاقتصادية وآثارها المتعددة.

وأضافت: تمر الأمة الإسلامية في وقتنا المعاصر بمحنة عدم اكتمال هويتها الاقتصادية - للأسف الشديد - مما يجعلنا نفكر في كيفية الإفادة من نظام الزكاة لمواجهة النقص الذي قد يعتري جانب الموارد الإسلامية... حيث طُرحت في الساحة فكرة إنشاء مصرف تنمية إسلامي... تُجمع فيه أموال المسلمين... ويتم تشغيلها واستثمارها وفق المبادئ الإسلامية... وإنشاء صندوق الزكاة من أموال هذا المصرف... فيتكون منها رأس مال تجاري... وتتعدد الاقتراحات التي تحاول الاقتراب من التطبيق لفريضة الزكاة حتى تُؤدي دورها في تأمين أفراد المجتمع الإسلامي ضد الكوارث الاقتصادية.

واستطردت الدكتورة نعمت مشهور قائلة: وتتوقف الصور المقترحة على مدى قُرب المجتمع من مبادئ الشريعة الإسلامية ومدى تطبيق أصول الفقه الإسلامي وعدد أفراد المجتمع ومستوى المعيشة السائد بينهم... فالزكاة تعمل على مواجهة الفقر في ديار المسلمين... بعلاج أسبابه علاجاً جذرياً وليس لمجرّد مُسكّن وقتي محدود النطاق والمفعول.

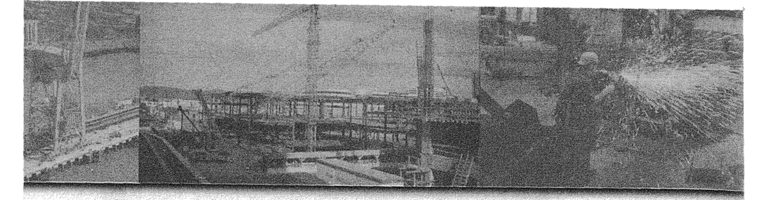
القيم الاقتصادية

● **ويقول الدكتور نصر فريد واصل - مفتي مصر السابق:**

- إن الغرب يركّز على القيم المادية والاقتصادية، ويُهمل القيم الدينية والمعنوية... فضعفت مكانة الدين كما ضعف تأثيره في حياة الناس في المجتمعات الغربية... ولا شك أن نقل هذه الأفكار إلى البلاد الإسلامية... يُعتبر من التيارات الفاسدة الوافدة التي يجب التصدي لها بكل حسم وقوة... لأن الإسلام يحتفظ بنقاء الإيمان وصفاء العبادة وقوة التأثير... فلا تزال الفضائل التي دعا إليها الإسلام فضائل مقدسة... والرذائل التي نهى عنها الإسلام أعمالاً بغيضة ينفر منها الإنسان المسلم.

وأضاف: ففي مجال الاقتصاد في ديار المسلمين يجب على علماء الإسلام أن يؤصّلوا موقف الإسلام من الاقتصاد... بما ييسِّر على المسلمين معاملتهم ويفتح لهم طرق الاستثمار المشروع لأموالهم... وأن تتوسع الأمة الإسلامية ومؤسساتها في مباشرة تجميع أموال الزكاة.

وقال الدكتور واصل: وفي يقيني أن الأمة الإسلامية في حاجة إلى فتح باب الاجتهاد في المجال الاقتصادي من أجل نشوء نهضة اقتصادية علمية تشمل كل بلدان العالم الإسلامي... وتستوعب كل ما استجد من حاجات العصر



الذي نعيشه... وينبغي أن ندرك أن الاجتهاد في المجال الاقتصادي يحتاج إلى التعاون الوثيق بين فقهاء الإسلام ورجال الاقتصاد والتجارة... بحيث تتوازن قواعد العبادات التي تنظم صلة الإنسان بربه سبحانه وتعالى، وتتجسّد المعاملات والسلوكيات الإسلامية... التي تنظّم صلة الأفراد ببعضهم بعضاً وبالمجتمع الذي يعيشون في نطاقه... وأن يتمّ ذلك من خلال تعاليم الإسلام... التي تعتبر المصدر الأول لتنظيم هذه العلاقات لتتفق مع الشريعة الإسلامية السمحة.

واستطرد: إن الاجتهاد في المجال الاقتصادي ضرورة من ضرورات تطور المجتمعات البشرية... وعموم الإسلام وخلوده لأنه اشتمل على عناصر الكمال والتمام التي استوعبت حاجات الناس جميعاً في العقائد والسلوك، وتواكبت مع رقي العقل البشري وتطور المجتمع الإنساني... فالعمل الإسلامي المعاصر يتجه إلى ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في مختلف صور النشاط الإنساني... سواء كان ذلك متصلاً بالقضايا الطبية المعاصرة أو في المجالات الاقتصادية... فلا شك أن تعزيز التضامن الاقتصادي والتكنولوجي بين المسلمين ضرورة ملحة من أجل الارتقاء بالمسلمين.

الارتقاء باقتصاد الأمة

● **ويقول الدكتور أحمد محمد علي - رئيس البنك الإسلامي للتنمية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي:**

- إن السبيل الأمثل للنهوض بالأمة الإسلامية وباقتصادات المسلمين... هو إجادة الاستغلال والاستثمار لمواردها الطبيعية والبشرية... وتوظيفها التوظيف الأمثل في تعزيز وتطوير العلاقات الاقتصادية والتجارية بين الدول الإسلامية... تمهيداً لتحقيق الوحدة الاقتصادية المنشودة في ديار المسلمين... فنحن في مرحلة يجب أن تركز فيها الدول الإسلامية... على تعزيز قنوات التضامن وتقوية جسور التعاون وذلك لربط اقتصادات الدول الإسلامية بعضها بعضاً... والتعاون أيضاً في مجالات التقنية والتكنولوجيا... لأن ذلك من الأمور المهمة والأساسية في المحافظة على المصلحة الإسلامية... التي تمكّن الأمة الإسلامية من الوقوف بقوة أمام التكتلات الاقتصادية الدولية الكبرى.

وأضاف: ويتم ذلك بإجادة استثمار كل موارد العالم الإسلامي البشرية والطبيعية وتوظيفها التوظيف الأمثل لتحقيق الوحدة الاقتصادية للأمة الإسلامية.



علاقات غير متوازنة

● **ويقول الدكتور محمد عبدالسلام بنيعيش - رئيس غرفة التجارة الأوروبية الإسلامية:**

- لا شك أن العالم الإسلامي يعمل على إيجاد علاقات متوازنة مع دول الغرب... ونحن ندرك أنه لا توجد محظورات شرعية تحول دون قيام هذه العلاقات في المجال الاقتصادي... بما يحقق المصالح المشتركة لجميع الأطراف... ولكن الملاحظ أن الاستثمارات الإسلامية في قطاعات المال والاقتصاد في أوروبا مثلاً... تفوق كثيراً أي استثمارات أوروبية في العالم الإسلامي... وأن الأمة الإسلامية تتطلع إلى تحرك أوروبي فعّال في اتجاه إيجاد التوازن في العلاقات الاقتصادية... التي تحقق المطالب المشروعة للدول الإسلامية.

وأضاف: لقد عقدت في دول أوروبا الكثير من المؤتمرات الاقتصادية... التي أوضحت المبادئ المقررة في الشريعة الإسلامية للعلاقات الاقتصادية الدولية... وبحث هذه المؤتمرات في المعوّقات التي تحول دون نمو علاقات اقتصادية متوازنة بين العالم الإسلامي والغرب... والأساليب الكفيلة بتدعيم هذا التعاون... وقد تأكد في هذه المؤتمرات أن تجارة الغرب ومعاملاته الاقتصادية مع الدول الإسلامية - وإن تطورت - إلا أنها ترجح فيها مصلحة الغرب بوجه عام.

واستطرد قائلاً: نحن نريد أن تتوازن المصالح... فالعالم الإسلامي يتطلع إلى تحرك أوروبي مثمر في مجال التوازن المطلوب في العلاقات الاقتصادية بين العالم الإسلامي والغرب... بما يعزز فرص التنمية والرخاء للطرفين... ولا شك أن الواقع الاقتصادي يُوجب على دول أوروبا أن تعتمد سياسات اقتصادية أكثر إيجابية ومحققة للمطالب المشروعة للدول الإسلامية... وأن تحظى هذه العلاقات بالرعاية الكافية والتكافؤ المقبول... بعيداً عن أي سياسات تنأى بها عن تحقيق التوازن المنشود أو تهدد بالتراجع الذي ينشأ عن الشعور بضرورة ترجيح مصالح الغرب على حساب مصالح المسلمين ●

استثمارات المسلمين في الغرب أكثر من استثمارات الغرب في العالم الإسلامي

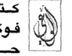


دراسات

قراءة في مقال فوكويوما الأخير:

هل «الأصولية الإسلامية» صورة من الفاشية أم هي تعبير عن الوحدة الثقافية للأمة؟

بقلم: غازي التوبة



كتب «فرانسوا فوكويوما» مقالاً حول العالم الإسلامي والأحداث الأخيرة التي وقعت في ١١ سبتمبر العام ٢٠٠١م في مجلة «نيوزويك» الأسبوعية في طبعتها العربية بتاريخ ٢٥ ديسمبر العام ٢٠٠١م تحت عنوان «هدفهم: العالم المعاصر»، والمقال جدير بالتعليق والمتابعة والتحليل، لأن كاتبه ذو مكانة علمية وعملية في الولايات المتحدة الأميركية من جهة، ولأن المقال يرصد آخر تطورات عالمنا الإسلامي من جهة ثانية.

حلّل «فوكويوما» علاقة العالم الإسلامي بالحضارة الغربية، وانتهى إلى أن المشكلة ليست محدودة مع عدد من الإرهابيين كما يتصور بعض سياسي الولايات المتحدة، بل هي مع مجموعة أكبر كثيراً من «الراديكاليين» الإسلاميين ومن المسلمين الذين ينضوون تحت ظاهرة سمّاها «الأصولية الإسلامية»، وأنا سأستخدم في مقالي المصطلح عينه الذي استخدمه «فوكويوما» كعلم للإشارة إلى الظاهرة التي يدور حولها الكلام، مع ضرورة الانتباه إلى عدم الاستسلام لكل المعاني التي ينطوي عليها هذا المصطلح الذي يعبِّر عن جانب من الحياة الفكرية في الحضارة الغربية.

قرَّر «فوكويوما» في مقاله أن حل مشكلة العالم الإسلامي تكون بتعميق الحداثة والعلمانية، ولكنَّه جهل أو تجاهل أن الحداثة والعلمانية ليستا أمرين جديدين على العالم الإسلامي، بل كانتا أمرين مطروحين منذ قرن على الأقل، وجرت محاولات كثيرة لترسيخهما في المنطقة، وحمل رايتهما شخصيات وأحزاب وهيئات وفئات متعددة، وأبرز من حملهما الحركات القومية على اختلاف أنواعها: العربية، والسورية، والفرعونية، ويمكن أن نمثِّل بعلمانيين وحداثيين بارزين في نطاق كل من الحركات القومية السابقة، ففي المجال القومي العربي كان ساطع الحصري، وفي مجال القومي السوري كان أنطون سعادة، وفي المجال الفرعوني كان سلامة موسى، وقد اعتبر الخديوي إسماعيل القرن التاسع عشر مصر قطعة من أوروبا، كما دعا طه حسين في القرن العشرين إلى أخذ الحضارة بكل ما فيها من حلو ومر، ولم تبق العلمانية والحداثة في نطاق الدعوة، بل انتقلت إلى التطبيق عندما استلمت بعض الحركات القومية العربية قيادة دول عدة من العالم العربي في فترة مبكرة من القرن العشرين، وقد لعب ساطع الحصري دوراً بارزاً في كل من النظامين العراقي والسوري من أجل ترسيخ القومية العربية ذات التوجه



العلماني الحداثي منذ العشرينيات حتى الخمسينيات من القرن الماضي، ثم ارتبط الفكر القومي العربي بالاشتراكية في الستينيات، وتعمّقت الدعوة إلى الحداثة والعلمانية في معظم أقطار العالم العربي: مصر، سورية، العراق، الجزائر، اليمن، السودان... إلخ، وحاولت القيادات القومية العربية الاشتراكية أن ترسِّخ الحداثة والعلمانية في المجتمعات العربية التي حكمتها ومع ذلك لم تفلح في ذلك، والسؤال الآن: لماذا لم تنجح محاولات تلك القيادات القومية العربية الاشتراكية في ترسيخ الحداثة والعلمانية وجعلهما جزءاً من كيان المنطقة؟ ولماذا كانت «الصحة الإسلامية» التي جاءت بعد كل هذه المحاولات في ترسيخ الحداثة والعلمانية؟ السبب في ذلك واضح: أن تلك المحاولات لم تراع خصوصية المنطقة، لذلك فإن أي محاولة لتطبيق الحداثة والعلمانية في المستقبل ستكون مصيرها الفشل إن لم تراع خصوصية المنطقة وشخصيتها الحضارية التاريخية.

رجّح «فوكويوما» تشابه الدين الإسلامي مع الأديان الأخرى الكبرى مثل المسيحية، والهندوسية، والكونفوشية... إلخ، وتصوُّر كل الأديان عبارة عن نظام شديد التعقيد تطور بطرق متعددة، لا أريد أن أناقشه في نظريته الخاطئة التي تضع كل الأديان في سلّة واحدة وعلى صعيد واحد ومسار واحد، لكني أريد أن أشير إلى نقطة خلاف رئيسة بين الدين الإسلامي والمسيحية، وهي أن الإسلام استطاع أن يكوِّن أمة مسلمة منذ اللحظة الأولى التي نجح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة، وامتد وجود تلك الأمة الإسلامية إلى وقتنا الحاضر، في حين أن المسيحية لم تستطع أن تكوّن تلك الأمة، بل قامت الأمم الغربية بعد سقوط المسيحية كالأمة الفرنسية، والإنكليزية، والألمانية، والهولندية... إن تجاهل قيادات الفكر والرأي والسياسة في الغرب

تصور فوكويوما كل الأديان عبارة عن نظام شديد التعقيد تطور بطرق متعددة

لهذه الحقيقة وهي أن هناك أمة إسلامية ذات وجود مادي على أرض الواقع جعلهم لا يتعاملون تعاملاً سليماً مع منطقتنا، بل يتعاملون تعاملاً خاطئاً، فهم يتعاملون مع منطقتنا كشرق أوسط أي كجهة خالية من أي مضمون، وعليها أن تتقبل، وتتكيَّف مع كل ما ينقل إليها، وعندما تأتي النتائج على عكس ما يتوقّعون يتهمون المنطقة بأنها تفرز «أصوليات» متعددة على غير ما وقع في المناطق الأخرى. إن التعامل السليم مع المنطقة يكون من الانطلاق بأن هناك أمة موجودة ذات تشكل حضاري خاص هو الذي يحدد الأفكار والقيم المناسبة التي يجب أن تتفاعل معها.

علل «فوكويوما» نشوء «الأصولية الإسلامية» هو الفقر والركود الاقتصادي، إن هذا التعليل قاصر وغير صحيح، والتعليل الأصح لنشوء ظاهرة «الأصولية الإسلامية» أنها تعبير عن رفض حركة التغريب والاستئصال الثقافي التي مارستها الأنظمة القومية الاشتراكية في منتصف القرن العشرين، وتعبير عن الانتماء إلى الأمة الإسلامية ذات الثقافة الواحدة، وما يؤكد هذا التعليل وجود ظاهرة «الأصولية الإسلامية» على امتداد العالم الإسلامي، فوجدت في بلدان غنية وفقيرة وذات تركيبة اجتماعية متنوعة مثل تركيا والجزائر ومصر والخليج وفلسطين... إلخ.

أشار «فوكويوما» إلى أن «الأصولية الإسلامية» تعتبر الغرب فاسداً بسبب الإباحية، وبسبب المثلية الجنسية، ووضع المرأة فيه... إلخ، لكن الحقيقة أن مشكلة «الأصولية الإسلامية» مع الغرب ليست إباحيته بالدرجة الأولى، لكن المشكلة الأولى تكمن معه في نسبية الحقيقة التي يقوم عليها والتي تتصادم مع بعض الجوانب الثابتة في الدين الإسلامي: كالعقائد، والعبادات، والحدود، والتشريعات المتعلقة بالأسرة مثل أحكام الزواج والطلاق... إلخ.

شبّه «فوكويوما» «الأصولية الإسلامية» بالفاشية التي برزت في أوروبا في الثلاثينيات من القرن العشرين، والتي قادت العالم إلى الحرب العالمية الثانية، وبيَّن «فوكويوما» إلى أن الجامع بين الأصولية والفاشية هو عدم التسامح مع الآخرين، ولا أريد الخوض مع «فوكويوما» إلى أن الجامع بين الأصولية والفاشية هو عدم التسامح مع الآخرين، ولا أريد الخوض مع «فوكويوما» في مدى صحة تشبيه «الأصولية الإسلامية بالفاشية والفوارق بينهما، لكن أشير إلى تناقضه عندما امتدح الخلافة العثمانية التي كانت تطبق نظام الملل الذي يحقق التسامح الديني الذي امتد من القرون الوسطى إلى القرن التاسع عشر في حين أن أوروبا كانت غارقة في اضطهاد الفرق الدينية لبعضها بعضاً في تلك الفترة التاريخية.

لام «فوكويوما» الدول العربية جميعها بأنه لم يحدث فيها تطور نحو الديموقراطية خلال القرن الماضي، وأشار إلى أنه لم تتطوع أي حكومة عربية للتخلي عن السلطة لمصلحة الديموقراطية، ليس من شك بأن لوماً كبيراً ومؤاخذة واسعة توجه إلى كثير من ممارسات الحكومات العربية السلبية في مختلف المجالات الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والعسكرية... إلخ، لكن لوماً آخر وبشكل أكبر يوجّه إلى الولايات المتحدة التي كان تدخلها في العالم الإسلامي من أجل ترسيخ ديكتاتوريات عسكرية، أو ممارسة سياسية ضارة بالمنطقة، ويمكن أن نمثّل على الأمر الأول بالانقلاب العسكري الذي قادته المخابرات المركزية الأميركية (C.I.A) وأوصلت فيه حسني الزعيم إلى حكم سورية العام ١٩٤٩م، والذي افتتحت به سلسلة الانقلابات في منطقة الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية، ويمكن أن نميّل إلى الأمر الثاني بالحرب العراقية الإيرانية التي كانت أميركا وراء إطالة أمدها مدة ثماني سنوات، وكانت نتيجة ذلك تدمير المنطقة، واستنزاف طاقاتها، وترسيخ ديكتاتورية صدام حسين، وتضخيم آلته العسكرية التي كانت سبباً رئيساً في نشوب حرب الخليج الثانية، حيث أكملت هذه الحرب تدمير المنطقة.

لام فوكويوما الدول العربية لأنها لم يحدث فيها تطور نحو الديموقراطية خلال القرن الماضي

امتدح «فوكويوما» نظام تركيا الديموقراطي، لكن ألا يحس معنا «فوكويوما» أن الديموقراطية لا تعدو كونها عنواناً وليس حقيقة؟ ألا يشعر معنا بأن نظام تركيا أقرب إلى الديكتاتورية منه إلى الديموقراطية؟ كيف يمكن أن يكون نظام تركيا ديموقراطياً وهو الذي انقلب جيشه على برلمانات منتخبة؟ كيف يمكن أن يكون نظام تركيا ديموقراطياً وهو الذي حل مجلسه العسكري عشرات الأحزاب؟ كيف يمكن أن يكون نظام تركيا ديموقراطياً وهو الذي أبطل جنرالاته عشرات القرارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عن مجلسي الوزراء والنواب الشرعيين؟ وفي النهاية: كيف يمكن أن يكون نظام تركيا ديموقراطياً وهو الذي يمارس كل هذه الممارسات المعادية لرغبات الشعب؟

إن المتفحِّص لمقال «فوكويوما» يرى أن الغرب مازال يريد أن يفرض أنموذجه الحضاري الذي فشل في فرضه خلال القرنين الماضيين، فهل ينجح في المستقبل القريب فيما فشل في تحقيقه منذ الماضي البعيد؟ أشك في ذلك ●



أحكام

تعويض المتهم السجين عند ظهور براءته

د. حسن عبدالغني أبوغدة. أستاذ الفقه المشارك - كلية التربية. جامعة الملك سعود



الحبس بتهمة أمر مقرر في الشرائع والأنظمة القديمة والحديثة، وهو ما تدعو إليه الحاجة حال تعيّنه للكشف عن الحقيقة موضوع الدعوى وإيصالها لأصحابها، ولمنع المتهم من الاستحواذ على حقوق غيره والفرار بها بعيداً عن هيمنة العدالة.

معنى الحبس بتهمة

هو عند القانونيين: إسناد السلطة إلى المتهم فعلاً يعاقب عليه القانون بعد إجراءات قضائية، وهذا يلتقي في المعنى مع تعريف الفقهاء الذين أطلقوا عليه أيضاً: حبس الاستظهار، وقالوا عنه: إنه تعويق ذي الريبة عن التصرف بنفسه حتى يبيّن أمره فيما ادُّعي عليه من حقوق يعاقب على تعديه عليها.

مشروعية حبس المتهم

أجاز الإسلام حبس المتهم، واعتبره من السياسة العادلة والتصرف الحكيم، وذلك إذا تأيدت التهمة بقرينة قوية أو ظهرت علامات الشك والريبة على المتهم، أو كانت له سوابق في الانحراف والجريمة..

روى أبو داود والترمذي والنسائي بإسناد حسن: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حبس رجلاً في تهمة بدم «دعوى قتل» يوماً وليلة.

وروى الشيخان أن النبي - صلى الله عليه وسلم - حبس يهودياً اتهم في قتل فتاة، فلم يزل به حتى أقر أنه قتلها، فقتله.

أجاز الإسلام حبس المتهم، واعتبره من السياسة العادلة والتصرف الحكيم، وذلك إذا تأيدت التهمة بقرينة قوية أو ظهرت علامات الشك والريبة على المتهم

وقد أجازت القوانين المعاصرة عامة حبس المتهم، على خلاف بينها في تحديد طبيعة الأفعال المبررة لهذا الحبس: هل هي جنائية، أم جنحية، أم متلبس بها، أم مهيئاً لها؟.

مدة الحبس بتهمة

يرى بعض الفقهاء: أن مدة حبس المتهم لا ينبغي أن تزيد على ثلاثة أيام، وأجازت جماعة أخرى أن تبلغ شهراً، وقال آخرون: ليس لها حد أعلى، بل هي حسب اجتهاد القاضي وتقديره لظروف التهمة، والمدة التي يمكن أن ينكشف فيها حال المتهم، واتفقوا جميعاً على أنه لا يجوز تأخير حبس المتهم عن الحد اللازم، بل يجب التعجيل قدر الإمكان في التحقيق معه والكشف عن الحقيقة، وإظهارها دون تأخير ولا مماطلة.

وقد أشار بعضهم إلى أن المدة التي تكفي في التحقيق في تهمة قتل، ربما لا تكفي في التحقيق في تهمة تزييف أو سرقة أو غير ذلك، والعكس صحيح أيضاً.

هذا، وقد ذهبت بعض القوانين إلى أنه لا يُزاد على ثلاثة أيام في استنطاق المشتبه فيه، ولا يُزاد على عشرين يوماً في توقيف ومساءلة المظنون به، وأجازت قوانين أخرى حبس المتهم مدة خمسة عشر يوماً، يمكن تمديدها - حسب الحاجة - على فترتين إلى خمسة وأربعين يوماً... مع ملاحظة عدم جواز التباطؤ في التحقيق حتى لا يترتب على ذلك بقاء

المتهم في الحبس ظلماً دون حاجة إلى ذلك.

كتابات فقهية سابقة تصلح في موضوع التعويض عن الضرر

إن المتأمل في كتابات الفقهاء السابقين تتحصل لديه مسائل عدة يمكن اعتمادها مقدمة تأسيسية لما نحن بصدده، ومن هذه المسائل ما يلي:

١ - إذا نُفِّذ حدّ أو قصاص في شخص ثم رجع الشهود عن شهادتهم لظهور خطأ، فعليهم الدية، وتروى في ذلك قصة عن عليّ - رضي الله عنه.

٢ - إن بدا للشهود خطأ فرجعوا عن شهادة بمال بعد الحكم به واستيفائه، غرّموه في قول كثير من الفقهاء، وفي معاقبتهم تعزيراً قولان.

٣ - إن أخطأ القاضي وبنى حكماً على شهادة فاسقين أو كافرين «ونحوهم ممن لا تصح شهادتهم» ضمن آثار ذلك الخطأ، وللفقهاء قولان في الجهة التي تلزم بالتعويض «عن خطأ القاضي» هل هي بيت المال «الخزانة العامة» أم العاقلة «قرابة القاضي أو النقابات المهنية التي ينتمي إليها»؟.

٤ - يرى فقهاء الشافعية: أن ما يحدث في التعزير من تلف وضرر فيجب ضمانه على القاضي، لأن علياً أشار على عمر بأنه يضمن جنين التي أجهضت خوفاً منه «عمر» حين بعث إليها يطلبها للحضور إليه.

إن هذه المسائل وأمثالها تدل بوضوح على أن تضمين المخطئ أو المقصِّر التعويض عن الأضرار الناشئة من تصرفاته المشروعة ابتداء، هو أمر مقرر في الإسلام، سواء في العقوبات أو في الأضرار المالية.

تعويض المتهم المحبوس حال ظهور براءته

إن المبدأ السابق المستخلص من المسائل الآنفة يدعو إلى القول: إن على الدولة معاقبة أو تضمين من يتسبب في حبس المتهم، أو يتأخر في الإفراج عنه بغير قرينة مقبولة أو موجب شرعي، وكذا تعويض المتهم عن الأضرار الواقعة عليه في مدة حبسه، وخصوصاً إذا تجاوزت الحد اللازم المشروع عرفاً للكشف عنه واستبراء حاله بحسب ما سبق بيانه.

هذا، ومما يمكن اعتماده دليلاً مؤنساً لما نحن بصدده ما رواه عبدالرزاق في «المصنف» وأبوعبيد في «الأموال»، وابن حزم في «المحلى» وغيرهم: أن رجلين من قبيلة غفار نزلا بمياه حول المدينة، وعليها ناس من قبيلة غطفان معهم ظهر «إبل» لهم، فأصبح الغطفانيون قد أضلوا بعيرين من إبلهم، فاتهموا الغفاريين بهما، فأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا أمرهم فحبس أحد الغفاريين، وقال للآخر: اذهب فالتمس «البعيرين» فذهب وعاد بهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمحبوس: استغفر لي، فقال: غفر الله لك يا رسول الله، فقال النبي: ولك، وقتلك في سبيله، قال الراوي: فقتل يوم اليمامة.

ووجه الدلالة: أن الرجل حبس بتهمة ثم ظهرت براءته، فأطلقه النبي صلى الله عليه وسلم وعوَّضه بدعائه له بالشهادة في سبيل الله، وأعظم بهذا الدعاء النبوي وبهذه الشهادة ذات المكانة العظيمة عند الله تعالى، قال تعالى: (ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون...) آل عمران: ١٦٩.

وقائع أخرى تؤكد مبدأ التعويض عن الضرر

مما يمكن اعتباره منسجماً مع هذا المبدأ: ما رواه النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم شيئاً بين أصحابه، فأقبل رجل وأكبَّ عليه، فطعنه النبي بعرجون «عود» كان معه فجرحه، فقال: تعال فاستقد «اقتص»، قال: بل عفوت يا رسول الله.

ومن هذا القبيل أن عمر - رضي الله عنه - نهى عن طواف الرجال مع النساء ثم رأى رجلاً يفعله فضربه بالدرة، ولما علم أن نهيه لم يبلغه عزم عليه أن يقتصّ منه أو يعفو عنه، ومن المنقول عنه قوله: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقصّ من نفسه» رواه النسائي.

التعويض يشمل الأضرار المادية والمعنوية

قد يتبادر إلى الذهن أن التعويض عن الأضرار المادية يسلّم به في ضوء النصوص السابقة، بخلاف التعويض عمّا يعرف بالأضرار المعنوية أو الأدبية؟.

والجواب على هذا: أن استسماح النبي صلى الله عليه وسلم المحبوس من الغفاريين - في القصة الآنفة - يصلح في التعويض عن الأضرار المعنوية، ويضاف إليه ما يلي:

١ - ما رواه أحمد والحاكم وابن ماجه وغيرهم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»، ومن المعلوم أن الضرر يكون مادياً ومعنوياً، وقد يكون المعنوي أفظع وأشد من المادي، قال الشاعر:

جراحات السنان لها التئام

ولا يلتئم ما جرح اللسان

٢ - من المقرر عند علماء المسلمين: وجوب إزالة

اتجهت بعض الدول إلى وجوب تعويض المتهم المحبوس عند ظهور براءته عن عامة الأضرار التي لحقت به، سواء كانت مادية أو معنوية

الضرر شرعاً، وذلك اعتماداً على القاعدة الفقهية المتفق عليها: «الضرر يزال». وإزالة الضرر تكون بإزالة آثاره وتداعياته.

٣ ـ ذكر المالكية: أن من سجن غيره بقصد تفويت منفعة عليه يضمن ذلك، ويعلم قصده بقوله أو بالقرينة.

٤ ـ نص الحنابلة على أن من غصب حراً وحبسه فعليه أجرته.

سوابق ظالمة منكرة في الأضرار المعنوية والأدبية

لا يخفى أن الحبس من العقوبات البليغة، وقد قرنه الله تعالى بالعذاب الأليم، وقد عدَّ النبي يوسف ـ عليه السلام ـ خروجه منه إحساناً عظيماً أكرمه الله تعالى به، جاء في القرآن الكريم: (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم) يوسف:٢٥، وفيه أيضاً: (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن) يوسف:١٠٠.

هذا، ومن السوابق في الحبس بتهمة ظلماً ما يلي:

١ ـ ما ذكره أهل التفسير: أن النبي يوسف ـ عليه السلام ـ مكث في السجن اثنتي عشرة سنة في تهمة لا أساس لها من الصحة.

٢ ـ ذكر في كتاب: «قصة الحضارة» أن بعض المسجونين بتهمة مكثوا في سجونهم مدة ستة عشر عاماً، ولم تنته محاكمتهم خلال تلك المدة، وقد نسوا الاتهامات الموجهة إليهم ومات الشهود، ولم يفرج عنهم بعدئذ إلا بأمر خاص من رئيس الدولة حين سمع بقضيتهم.

٣ ـ ذكر في جريدة الوطن الكويتية: أنه أطلق سراح رجل حبس بتهمة قتل بعد أن قضى ٣٤ عاماً في السجن، وظهرت براءته.

هذا، وهناك الكثير من مثل هذه الحوادث والتجاوزات الظالمة، ولنا بعدئذ أن نتصور: كم من الضرر يقع على المتهم إذا أطيل حبسه ثم ظهرت براءته؟. كم تتضرر أسرته وذووه من ابتعاده عنهم دون وجه حق؟. وفضلاً عن هذا، كم يلحق السجين أهله من أضرار في أنفسهم وأعمالهم ومصالحهم ومكانتهم الاجتماعية بين الناس.

ماذا يغني عقاب المتسبب عن تعويض المتضرر؟

إن إنزال العقاب بالجهة المقصرة في هذا الصدد لا يغني المحبوس المتضرر شيئاً، وإنما يغنيه رد الاعتبار الأدبي إليه، وتعويضه عن الأضرار المادية والنفسية والاجتماعية التي لحقت به ونزلت بأسرته.

إن قواعد العدالة تقتضي إسناد جميع المسؤوليات إلى أصحابها ومحاسبة المتهاونين والمتسببين بالأضرار، كما تقتضي التعويض عن الأضرار أياً كانت: مادية أو معنوية، وخصوصاً أن عصرنا الحالي يشهد نمواً مطرداً في مفاهيم حقوق الإنسان، وهي لا تتعارض مع تعاليم الإسلام وتوجيهاته في كثير من صورها ومجالاتها، ومنها الحقوق المعنوية والأدبية.

المدة التي تكفي للتحقيق في تهمة قتل، ربما لا تكفي للتحقيق في تهمة تزييف أو سرقة أو غير ذلك. والعكس صحيح أيضا

مواقف إيجابية

من الجدير ذكره هنا الإشارة إلى بعض المواقف الإيجابية في هذا الصدد، حيث اتجهت بعض الدول إلى وجوب تعويض المتهم المحبوس عند ظهور براءته عن عامة الأضرار التي لحقت به، سواء كانت مادية أو معنوية، ومن هذه الدول: بلجيكا، وسويسرا، والولايات المتحدة، وفرنسا.

كما صدرت أحكام قضائية في بعض البلدان العربية منها: المملكة العربية السعودية، والكويت فيها تعويض متهمين ـ كانوا قد حبسوا ـ عن أضرار معنوية لحقت بهم، وتعتبر هذه المواقف خطوات إيجابية في الطريق الصحيح.

وزيادة على ما سبق رأت بعض الدول وجوب إعلان براءة المتهم في الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى، وذلك من أجل العمل على رد الاعتبار الأدبي والاجتماعي إليه، وتصحيح وضعه وصورته في أذهان الناس.

الخاتمة

وهكذا يتضح مما سبق: أن الحبس بتهمة أمر مقرر في الشرائع والأنظمة عامة، وذلك لمحاصرة الجريمة والكشف عن الفاعلين والوصول إلى الحقيقة، غير أنه من الأهمية بمكان التعجيل في التحقيق مع المتهمين وعدم التمادي في حبسهم من غير قرينة قوية مقبولة ولا موجب مشروع.

فإذا تجاوزت جهة ما تلك المسلمات الإجرائية، فأطالت حبس المتهم من غير مسوّغ، توجب عليها أن تعوضه عما لحقه من أضرار مادية ومعنوية، وتسائل الأشخاص الذين باشروا هذه التجاوزات وتنزل بهم الجزاءات المناسبة، وبذلك يمكن ضمان ورعاية حرية كل إنسان وأمنه الفردي، وهذا في مجمله يلتقي مع تعاليم الشريعة الإسلامية والاتجاهات القانونية المعاصرة ●



التقدم والتخلف في صراع الحضارات

بقلم: المستشار سالم البهنساوي



وصف بعض الكتاب مجلس الأمة بالتخلف لتوصيته بإيجاد آلية لمواجهة الانحرافات الأخلاقية ومن ثمَّ وصف الحكومة بالتخالف لأنها استجابت لذلك.

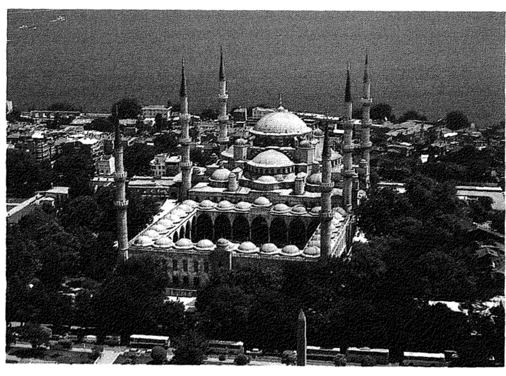
كما وصف بعضهم رئيس اللجنة التشريعية بمجلس الأمة بالسذاجة والطفولية، واعتبر أغلبية مجلس الأمة من رموز التخلف والرجعية!، لموافقتهم على التصدي للظواهر السلوكية الغريبة على المجتمع، ولعدم معارضتهم مشروع قانون العقوبات الشرعية، لأنه في نظره ينطوي على اعتداء على الحريات التي كفلها الدستور.

ولقد كتب آخرون في مصر وسورية والأردن مؤيدين من كتبوا مساساً بالله وكتبه ورسله.

إن الصراع الناشب حالياً في المجتمعات العربية والإسلامية، منذ احتلال بريطانيا وفرنسا لهذه المجتمعات.

فقد عمل الاحتلال الأجنبي على تغريب المجتمعات العربية والإسلامية، حتى تفقد هويتها ومقوماتها وتقبل التبعية للأوروبيين.

ولقد قام الاستعمار بتربية فئات من المثقفين العرب والمسلمين وغرس القيم الأوروبية في نفوسهم، فاقتنعوا بما يردده الأوروبيون: أن تخلف العالم العربي والإسلامي يرجع إلى تمسكه بالقيم الدينية التي هي من سمات القرون الوسطى، وأن سبيل التقدم هو الأخذ بالحضارة الأوروبية حلوها ومرها.



ولقد تصدى لهذا التيار فئة من الوطنيين، لكن المعركة بين الطرفين لم تكن متكافئة، ذلك أن المحتل الأجنبي مكَّن لأنصاره حتى أصبحوا هم نجوم الثقافة والأدب والفن وساسة الحكم.

والسبب الآخر هو أن بعض رواد الفكر الإسلامي لا يحسنون عرض الإسلام، بل منهم من لا يحسن فهمه، كما قرر الدكتور محمد البهي أحد علماء الأزهر في كتابه: «الإسلام ومشكلات الحكم».

لقد بُهر أتباع الحضارة الأوروبية بالتقدم العلمي في أوروبا والتفوق

التكنولوجي وظنوا أن تخلف العرب في هذا المجال يرجع إلى القيم الدينية التي يتمسكون بها، مع أنه لا يوجد في الإسلام ما يحول دون الاستفادة بهذا الجانب من الحضارة المادية، بل إن الواقع التاريخي يكشف أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد احتفظوا بالتكنولوجيا التي كانت لدى الفرس والروم وحافظوا عليها، واعتبروا ذلك من أمور دينهم، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أولى الناس بها».

• الإسلام دائما مع الحضارة والتقدم •

ولقد غاب عن أتباع الحضارة الأوروبية أنه يوجد لدى الأوروبيين سبب للثورة على دينهم الذي قدَّمه لهم البابوات، والذي حرَّم على الناس البحث في الطب والهندسة والفلك وسائر العلوم زاعمين أنها نوع من السحر والهرطقة.

وهذا السبب لا وجود له في الإسلام، لأن القرآن الكريم قد نزل في القرن السابع الميلادي وكانت أوروبا تعيش قرونها المظلمة وأمر بإخراج الناس من هذه الظلمات إلى نور الإسلام وأحلّ ما حرمه علهيم البابوات، ففي وصف الرسالة والرسول يقول الله تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلُّ لهم الطيبات ويحرِّمُ عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) الأعراف:١٥٧.

إن الثورة على الدين في أوروبا لها أسباب لا وجود لها في العالم العربي والإسلامي.

لقد كتب «ديورانت» أن «مجمع نيقية الكنسي» الذي عقد العام ٣٢٥م قد أدخل على الدين المسيحي «صكوك الغفران والحرمان»، التي خوَّلت البابوات حق التحريم والتحليل، وحق احتكار العلم، وأنهم المصدر الوحيد للمعرفة في أمور الدين والدنيا، الأمر الذي جعل رجال الدين يحاكمون كل من بحث في العلم البشري التجريبي، فعندما قال «جاليليو» بدوران الأرض، حوكم أمام سبعة من «الكرادلة»، وحكموا عليه بالسجن مدى الحياة، رغم أنه أنكر القول بدوران الأرض، وركع أمام رئيس المحكمة معلناً أنه بلغ السبعين عاماً، وقد كفر بكل قول سمعه عن دوران الأرض.

كانت الكنيسة من أكبر الملاك، حيث كان لها خمسة عشر ألفاً من القصور، وأحد رجال الدين كان يملك عشرين ألفاً من العبيد.

فهذه الانحرافات وغيرها ليس لها مثيل في العالم العربي والإسلامي، وبالتالي فتقليد حركة التنوير في أوروبا هو عين التخلف ورأس الجهالة والجهل.

المعركة ليست جديدة، فهي في الواقع ليست إلا استئنافاً للقضية التي فتح بابها قاسم أمين في مستهل القرن العشرين، وبعدها أخذت الأمور تتطور تطوراً سريعاً حتى إن دعوة قاسم أمين قد استنفدت في وقت وجيز كل أغراضها: فقد خلعت المرأة الحجاب، ثم أخذ المقص يعمل في هذه الثياب: في الذيول والأكمام وفي الصدر، بل إنها تجاوز ذلك كله إلى الظهور على شواطئ البحر بما لا يكاد يستر شيئاً.

ولم تعد عصمة النساء في أيدي أزواجهن، بل في أيدي صانعي الأزياء في باريس من اليهود وصانعي الفجور في العالم.

لقد خرجت مظاهرة النساء العام ١٩١٩م هاتفة بالحرية في طريقها إلى دار المعتمد البريطاني وكانت مؤلفة من ٣٠٠ امرأة على رأسهن صفية زغلول حرم سعد زغلول، وكريمة مصطفى فهمي باشا، وهدى شعراوي حرم علي شعراوي باشا.

وتزعمت هدى شعراوي الحركة النسوية، وتجرأت هذه المتزعمة على ما لم تتجرأ عليه امرأة مسلمة من قبل، فسافرت إلى باريس وأميركا لدراسة شؤون المرأة وأخذت تلقي التصريحات والأحاديث.

وقد لعبت الصحف دوراً حاسماً في هذه المعركة بما كانت تنشر من صور للجمعيات النسائية عن تطورات الانقلاب الكمالي في تركيا وأثره في المجتمع العربي عامة والنسوي خاصة.

أما صحيفة السياسة الأسبوعية فقد كتبت مقالاً عن فتاة تركيا، وذلك في ١٧ يوليو العام ١٩٢٦م والتي تصف سفر باخرة اتخذتها وزارة التجارة التركية، معرضاً عاماً في رحلة على نفقة الحكومة، تجوب موانئ أوروبا الشهيرة لفتيات جميلات متبرجات لا يكاد يميزهن العربي عن فتاة لندن وباريس، وتروي الصحيفة بعض ما صرحت به الفتيات: من لبس أحسن الأزياء الأوروبية والأميركية، والرقص، والتدخين، والسفر من دون أزواجهن، ويعلق المراسل بأن هذا أظهر الآثار التي تدل على تقدم المرأة التركية ومجاراتها لأختها الغربية، ثم يقول: لا

رفع بعض الطلاب المصريين التماسا العام ١٩٣٧م في الجامعة، للفصل بين الطلبة والطالبات كما كان سائدا من قبل

يسع كل محب لتركيا إلا أن يغبطها على هذه الخطوات.

أما صحيفة «المقتطف» فكتبت مقالاً عن تركيا المعاصرة في أبريل العام ١٩٢٦م أشادت فيه بمصطفى كمال، وتقربه إلى واشنطن زاعمة أنه أكبر زعيم معاصر وتثني على قيامه بفصل الدين عن الدولة، وجعل الدين أمراً شخصياً بين المرء وخالقه، وتشيد بتطور المرأة وسفورها.

ومن أسلحة المعركة: استفتاءات صحيفة الهلال التي كانت لا تفرغ من أحدها حتى تبدأ في غيره وتعرض إجابات مشاهير الكتاب والمفكرين للتأثير على القارئ وتوجيهه: كاستفتائها عن زواج الشرقيين بالأوروبيين «كان ذلك في عدد ديسمبر العام ١٩٢٢م».



• إفساد المرأة هدف من أهداف الحضارة الغربية •

وكتب رفقي بك، وكان كاتباً عند جمال باشا الحاكم التركي السوري: أنه مادامت الفتاة التركية لا تقدر أن تتزوج بمن شاءت ولو كان من غير المسلمين، بل مادامت لا تسعى إلى رجل تعيش وإياه كما تريد مسلماً أو غير مسلم فإنه لا تعد تركيا قد بلغت رقياً بسبب هذا التخلف.

وكتب إبراهيم المصري في الهلال عدد فبراير العام ١٩٢٨م عن وجوب السماح بالاختلاط بين الرجل والمرأة للحب كما هو في غير دائرة الحب الاختياري هو انحطاط بالكرامة البشرية وإسفاف بالعلاقات الجنسية والاعتقاد الشرقي الشائع بأن الرجل والمرأة متى التقيا، فلابد أن ينهض الشيطان بينهما وينفث في نفسيهما سموم الرذيلة والشر هو سر تأخرنا وهو من بقايا عصور الجهل والخوف والظلام.

لقد كان رد الفعل لأضرار واختلاط الطلبة بالطالبات، أن رفع بعض طلبة الكليات التماساً إلى مديريها وعمدائها وأساتذتها العام ١٩٣٧م يطلبون إدخال التعليم الديني في الجامعة، كما يطلبون الفصل بين الطلبة والطالبات كما كان سائداً من قبل.

إن المعركة بين القديم والجديد، أوالتقدم والتخلف، قد وفدت إلينا من أوروبا منذ أن أرسل محمد علي باشا البعثات إلى أوروبا، واشتدت في عصر إسماعيل باشا الذي كان ينادي أن تصبح مصر قطعة من أوروبا.

لقد تلقى الخبراء الأوروبيون الطلبة المبعوثين ولقنوهم أن كل ما في أوروبا حسن وجميل، وهم رمز التقدم والتجديد، وما لدى العرب تخلف وقديم، ورمز للتخلف والرجعية.

وأصبح من التقدم أن يجاهر المسلم بالفطر في نهار رمضان ويشرب الخمر على قارعة الطريق، ولهذا كتب سلامة موسى مقالات عدة الأعوام ٢٥ و٢٦ و١٩٢٧م عنوانها: اليوم والغد طبعها بعد ذلك في كتاب، وكان يطالب فيها، أن تكون مصر أوروبية، لأن المصري يكره آسيا وأفريقيا ويحب أوروبا، وأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب ولقد طالب بمنع الطلاق على المسلمين، ولم يخجل من أنه مسيحي ليس له حق التدخل في عقائد المسلمين، وطالب بتعديل قانون الأحوال الشخصية للسماح للمسلمة بالزواج بغير المسلم.

وكتب أن الأزهر جامعة أوروبية، لأن الذي أنشأه هو جوهر الصقلي، وهو أوروبي وليس مصرياً، لهذا، فالمصري في حاجة إلى الارتباط بأوروبا، وطالب بجمعية مصرية تضم الفرنسي والإنكليزي والنرويجي والسويسري.

وتابعه في ذلك كتّاب مسلمون منهم سامي الجريدلي، حيث كتب في مجلة الهلال عدد مايو العام ١٩٢٥م، أن السبيل للوصول إلى ما وصلت إليه أوروبا أن نأخذ بحضارتها في المادة والروح والقيم، بل إن الكاتب الإسلامي أحمد أميل قد كتب في مجلة الرابطة الشرقية تحت عنوان وحدة العالم بالعدد الثاني السنة الأولى يوم ٣ رجب ١٣٤٧هـ الموافق ١٥ ديسمبر ١٩٢٨م، أن العالم لا يتحمل إلا مدنية واحدة، هي الحضارة الأوروبية، لأن المدنية الشرقية أخذت في الزوال والاضمحلال.

وهكذا يتفق هؤلاء المسلمون مع سلامة موسى الذي قال لنا... نحن في حاجة إلى ثقافة حرة، أبعد ما تكون عن الأديان، وكان يرى أن نرتبط بأوروبا وأن يكون رباطنا بهم قوياً فتتزوج بناتنا بأبنائها ويرون أن الأجانب يحتقروننا بحق ونحن نكرههم بلا حق، فإذا أخلصنا النية مع الإنكليز، قد نتفق معهم إذا ضمنا لهم مصالحهم وهم في الوقت نفسه إذا أخلصوا النية لنا فإننا نقضي على مراكز الرجعية في مصر، وننتهي منها حتى تكون وجهتنا شطر أوروبا بلا رواسب مثل وزارة الأوقاف والمحاكم الشرعية التي تؤخر تقدم البلاد على المسلمين لتكون لنا جامعة تبعث بيننا ثقافة العالم المتمدن، ولكن كلية جامعة الأزهر تقف إلى جانبها تبث بيننا ثقافة القرون المظلمة، فهم لا يزالون يسمون الأقباط واليهود كفاراً، كما كان يسميهم عمر بن الخطاب، قبل ١٣٠٠ سنة، كما يرى سلامة موسى أن تعليم العربية في مصر لا يزال في أيدي الشيوخ الذين ينقعون أدمغتنا نقعاً في الثقافة العربية أي ثقافة القرون المظلمة، والخلاصة أن الرابطة الدينية وقاحة.

إن سلامة موسى لا يعبر عن جميع نصارى مصر، بل يعبّر عن المارقين من الأديان والكارهين للدين والمتدينين، ويستوي أن يكون لهؤلاء جذور مسيحية مثل سلامة موسى أو جذور إسلامية مثل لطفي السيد، وطه حسين.

بقي أن نشير إلى أن القرآن الكريم أرسى منهجاً في التعامل في الدنيا مع اليهود والنصارى، هذا المنهج هو «أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا» وأن التعامل معهم كمؤمنين بالله وليسوا كمشركين، لهذا اختار لهم مصطلح أهل الكتاب.

الثورة على الدين في أوروبا لها أسباب لا وجود لها في العالمين العربي والإسلامي

أما وصفهم في الآخرة فهم قد كفروا برسالة خاتم النبيين، وزعموا

أنه دجال وكاذب وأنكروا القرآن الكريم، ولم يؤمنوا مع أن المسلمين لا ينكرون التوراة والإنجيل ولا يكذبون رسل الله موسى وعيسى ولا يفرقون بين أحد من رسل الله.

وسار طه حسين على المنهج نفسه، بل خلع ثوب الحياء في كتابه «في الشعر الجاهلي»، حيث أنكر ما ورد في التوراة والقرآن عن إبراهيم وإسماعيل، لهذا حاكمه الأزهر، وأصدر قراراً بمصادرة كتابه.

ولما تولى الشيوعيون التوجيه الإعلامي في أكثر الدول العربية قدموا «طه حسين» في كتابه هذا على أنه كان يدعو إلى إعمال قول الله تعالى: (أفلا تعقلون) (أفلا تبصرون) (أفلا تعلمون).

وزعم الشيوعيون - أن الملك فؤادا استجاب للمعارضة السياسية في مصادرة كتاب طه حسين من القصر والملك والإنكليز.

لقد قدم الشيوعيون ومن معهم من الحكام الأزهر وكأنه استخدم صكوك الغفران والحرمان رضوخاً للملك والإنكليز، وكل ذلك تزوير للتاريخ وافتراء على الله وعلى كتبه ورسله.

لهذا نوجز بعض الحقائق التي تكشف هذا التضليل والدجل والتزوير.

١ - يقول في هذا الكتاب: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن، لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي»، وقد علق الدكتور محمد حسين في كتابه «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» على ذلك بقوله: «كلام لا يوصف بأقل من أنه كفر بكتب الله ورسله» (ص ٧٨ ج٢).

٢ - وقد كتب طه حسين في جريدة كوكب الشرق العام ١٩٣٣م فقال: «إن المصريين قد خضعوا لضروب من البغض وألوان من العداوات جاءتهم من الفرس واليونان وجاءتهم من العرب» انظر: (تحولات الفكر العربي للدكتور محمد الأنصاري عن عالم المعرفة ص ١٣٩).

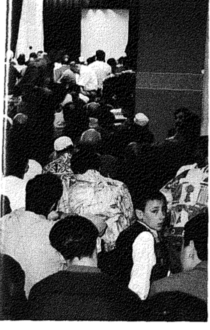
والجدير ذكره، أن مصر في هذه الفترة كانت ترزح تحت ظلم الاستعمار البريطاني، وكان الإنكليز في شوارع القاهرة يعيثون فساداً وإهانات، ولكن «طه حسين» لم يذكر شيئاً عن ذلك، واعتبر الإهانات من العرب، ولا غرو أن يصبح بعد ذلك عميداً للأدب العربي.

٣ - كما يقول أيضاً: «لا تصدقوا ما يقوله بعض المصريين من أنهم يعملون للعروبة، فالفرعونية متأصلة وستبقى كذلك».

أما أقواله عن الصحابة وكيف نأخذ التاريخ منهم ولا نأخذه من المنهزمين فله موقف آخر.

إنه لمن العبث بالعقول أن يزعم الكاتب أن خطاب طه حسين إلى رئيس الجامعة والذي أكد فيه أنه مؤمن بالله ورسله، يدل على أن الضجة التي أثيرت حول الكتاب مفتعلة من خصوم طه حسين السياسيين.

ومعلوم لدى الجميع أن طه حسين لم يكن يتعرض لأحد من الحكام المصريين ولا للإنكليز الحكام الفعليين آنذاك، حتى يُقال إنهم كانوا وراء هذه الضجة. ومن المعلوم لتلاميذ العلماء أن الذي ينطق بالشهادتين ويقول: إنه مؤمن بالله ورسله يرتد كافراً إذا كذَّب صريح القرآن أو أورد حكماً فيه أو ردَّ السنَّة النبوية، و«طه حسين» قد أنكر صدق ما ورد في القرآن عن رسول الله إبراهيم وإسماعيل فلا يشفع له أن يقول إنه مؤمن فقد فعل ذلك بعض الأعراب فنزلت فيهم سورة المنافقين حيث بدأت بقول الله تعالى: (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) المنافقون:١.



رسالة عميد الأدب العربي

لقد كان «طه حسين» سفيراً لأوروبا وفكرها في مصر، حيث كتبت زوجته الفرنسية سوزان في مجلة أكتوبر تحت عنوان: «سوزان معك»، تقول سوزان: عندما تأسست جامعة الدولة العام ١٩٢٥م اتخذ الطريق إلى بيتنا قادمون جدد، هناك بدأت جلسات الأحد التي سرعان ما اتسعت كثيراً في الزمالك، كان «طه» خلالها قطباً حقيقياً، إذ ما كاد الأساتذة الأجانب، يصلون إلى مصر حتى يأتوا بالطبع إلى بيتنا لقضاء ساعة أو ساعتين برفقة زوجاتهم، وكان منهم العميد «جير يجور» و«الفيلسوف إميل برهين» وعالم الآثار الإنكليزي «بيجرندور» وأستاذ الأدب الإنكليزي «سكايف» وكذا «سالمر» و«سانياك» ص ٩(١).

العميد وثقافة أوروبا

هدأت العاصفة التي هبت في وجه «طه حسين» بسبب كتابه «في الشعر الجاهلي»، عندما أصدر كتابه «على هامش السيرة»، حيث كتب في المقدمة أن ما فيه ما يُشبه ما تحكيه الجدة لحفيدها عند النوم، وبعدها نشر كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» العام ١٩٥٨م.

وترجع خطورته إلى أن صاحبه قد شغل مناصب كبيرة في الدولة مكَّنته من تنفيذ برامجه أو إرساء أسس تنفيذها على الأقل، فقد كان عميداً لكلية الآداب بالقاهرة، وكان مديراً عاماً للثقافة في وزارة التربية والتعليم «المعارف» وقتذاك، وكان مستشاراً فنياً بها، وكان مديراً لجامعة الإسكندرية، وكان آخر الأمر وزيراً للتربية والتعليم في حكومة الوفد، ثم إن شهرته وتأثر الكثرة الكاثرة من تلاميذه بآرائه ومناهجه، قد زاد من خطورة أثره، ولم يكن ذلك راجعاً إلى شخصه وإلى ما أحيط به من دعاية، ولكن يرجع إلى ظروف البيئة آنذاك لقد حوى الكتاب ثلاثة فصول هي:

١ - الدعوة إلى حمل مصر والعرب على الحضارة الغربية وطبعها بها وقطع ما يربطها بعروبتها وإسلامها.

٢ - الدعوة إلى إقامة الوطنية وشؤون الحكم على أساس مدني لا دخل فيه للدين أي يرسم الطريق لمصر والعرب في مسار ينتهي بها أن تصبح حكومتها لا دينية في جوانب حياتها.

٣ - الدعوة إلى إخضاع اللغة العربية لسنة التطور ودفعها إلى طريق ينتهي باللغة الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم إلى أن تصبح لغة دينية فحسب

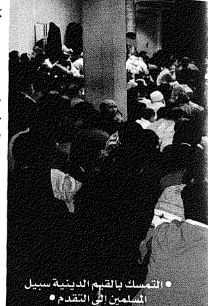
وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسا للوحدة السياسية ولا قواما لتكوين الدول

كالسريانية والقبطية واللاتينية.

الخطة والمنهج

١ - يرى «أن تسير سيرة الأوروبيين، وتسلك طريقهم وأن نكون لهم شركاء في الحضارة خيرها، وشرها، حلوها، ومرها، وما يُحبُّ منها وما يُكْرَهُ وما يحمد منها وما يُعاب.

ومن قبل قال أغا أوغلي أحمد - أحد غلاة الكماليين - «إنا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين حتى الالتهابات التي في رئتهم، والنجاسات التي في أمعائهم» (المرجع موقف العقل والعالم لمصطفى خيري حسن) ص ٣٧.


• التمسك بالقيم الدينية سبيل المسلمين إلى التقدم •

يقول طه حسين: هذه الحضارة الإسلامية الرائعة لم يأت بها المسلمون من بلاد العرب، وإنما أتوا ببعضها من هذه البلاد «أوروبا» وبعضها الآخر من مجوس الفرس، وبعضها الآخر من نصارى الروم.

ويقول: التزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم ونسير سيرتها في الإدارة ونسلك طريقها في التشريع، التزمنا هذا كله أمام أوروبا، وهل كان توقيع معاهدة الاستقلال ومعاهدة إلغاء الامتيازات إلا التزاماً صريحاً قاطعاً أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوروبيين في الحكم والإدارة والتشريع، فلو هممنا لأن نعود أدراجنا، وأن نحيي النظم العتيقة لما وجدنا إلى ذلك سبيلاً، ولوجدنا أمامنا عقبة لا تجتاز ولا تذلل عقبة نقيمها نحن لأننا حراس على التقدم والرقي لا تقيمها أوروبا لأننا عاهدناها على أن نسايرها ونجاريها في طريق الحضارة الحديثة.

٢ - وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ولا قواماً لتكوين الدول.

المسلمون أقاموا سياستهم على المنافع العلمية وعدلوا عن إقامتها على الوحدة الدينية واللغوية والجنسية أيضاً، قبل أن ينقضي القرن الثاني للهجرة، وقد فطنوا منذ عهد بعيد إلى أصل من أصول الحياة الحديثة، وهو أن السياسة شيء والدين شيء آخر، وأن نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على أي شيء.

من الواضح أن من أهم وظائف الدين تنظيم الصلات بين الأفراد والجماعات، وإقامتها على أسس سليمة وأن ذلك يطابق ما يسمى بلغة هذا العصر السياسة ومن ذلك يتضح ألا مكان في أوروبا وأتباعها لم يتق الله سبحانه وتعالى.

وقد استبقينا الأزهر الشريف نفسه، ولكن أزمة الأزهر متصلة من عهد إسماعيل، وقبله ولم تنته بعد، وما أظنها ستنتهي اليوم أو غداً، ولكنها ستستمر صراعاً بين القديم والحديث حتى ينتهي إلى مستقر لها في يوم من الأيام لابد من تطور طويل دقيق قبل أن يصل الأزهر إلى الملاءمة بين تفكيره والتفكير الحديث والنتيجة الطبيعية لهذا إننا إذا تركنا الصبية والأحداث في التعليم الأزهري الخاص ولم تشملهم الدولة برعايتها وملاحظتها الدقيقة المتصلة عرَّضناهم لأن يصاغوا صيغة قديمة ويكونوا تكويناً قديماً.

فالمصلحة الوطنية العامة من جهة ومصلحة الطلاب والتلاميذ الأزهريين من جهة أخرى، تقتضيان إشراف وزارة المعارف على التعليم الابتدائي والثانوي الأزهري، وقد سمعت منذ عهد بعيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر يتحدث إلى المسلمين عن طريق المذياع في موسم من المواسم الدينية يعلن إليهم أن محور القضية يجب أن يكون القبلة المطهَّرة... ولكن الشباب الأزهريين يجب أن يتعلموا في طفولتهم وشبابهم أن هناك محوراً آخر للهوية... هناك صورة جديدة للقضية الوطنية قد نشأت في هذا العصر الحديث، وقامت عليها حياة الأمم وعلاقاتها، وقد نقلها إلى مصر مع ما نقل إليها من نتائج الحضارة الحديثة، فلابد أن تدخل هذه الصورة الحديثة في الأزهر وهي إنما تدخل فيه عن طريق التعليم الأولي والثانوي على النحو الذي رسمناه، بالطريق التي رسمناها بإشراف من السلطان العام، بجعل الشهادة الثانوية شرطاً أساسياً لدخول الطلاب مدارس المعلمين الأولية، وليس من شك في أن طبيعة الحياة المصرية تقتضي أن تعني كلية الآداب عناية خاصة بالمبادئ الإسلامية على نحو علمي صحيح، لأن كلية الآداب متصلة بالحياة العلمية الأوروبية، وهي تعرف جهود المستشرقين في الدراسات الإسلامية أي أن «طه حسين» يريد أن يهدم الأزهر الذي لا سبيل إلى السيطرة عليه والتحكم فيه، ويرى أن اللغة العربية عسيرة لأن نحوها مازال قديماً عسيراً، ولأن كتابتها مازالت قديمة عسيرة، ولأن معلِّم اللغة العربية الذي ينهض بتعليمها لم يوجد بعد، فإن القديم لا ينتج إلا قديماً مثله، مادام التطور لم يمسه، لهذا وحين كان وزيراً للمعارف، أوصى «بهي الدين بركات» ألا يكل أمر هذا الإصلاح إلى لجنة أو جماعة من علمائنا وحدهم، وإنما يجب الدعوة إليه في الشرق والغرب ويجعله موضوع مسابقة عالمية بين الذين يحسنون القول فيه.

إنه من الواضح أن طه حسين تنقصه الأدوات التي لابد منها لتقدير مدى صلاحية الكتابة العربية لأن الذين يستطيعون تدبير ذلك هم الذين يمارسون الكتابة والقراءة وهو لم يمارسها في حياته قط، ثم إنه يدعو إلى أن يكون إصلاح الخط العربي موضوع مسابقة عالمية، وكأن المشكلة في نظره مشكلة العالمية وليست مقصورة على الذين يتكلمون العربية ويكتبونها، كما يريد المؤلف أن تكون اللغةالعربية لغة دينية فقط «وفي الأرض أمم متدينة كما يقولون وليست أقل منا إيثاراً لدينها ولا احتفاظاً به ولا حرصاً عليه، ولكنها تقبل من غير مشقة ولا جهد أن تكون لها لغتها الطبيعية المألوفة التي تفكر بها لتأدية أغراضها، ولها في الوقت نفسه لغتها الدينية الخاصة التي تقرأ بها لغتها المقدسة، وتؤدي فيها صلاتها، فاللاتينية مثلاً هي اللغة الدينية خاصة التي تُقرأ بها كتبها المقدسة وتؤدي فيها صلاتها: واللاتينية - مثلاً - هي اللغة الدينية لفريق من النصارى، واليونانية هي اللغة الدينية لفريق آخر، والقبطية هي اللغة الدينية لفريق ثالث، والسوريانية هي اللغة الدينية لفريق رابع، وهكذا، والمؤلف لا يزيد على أن يردد دعاوى الإنكليزي «سير وكمور» الذي كان قاضياً في مصر، وكذلك الألماني «سبيتا» الذي كان مديراً لدار الكتب بها. (راجع تاريخ الدعوة إلى العامية للدكتورة نفوسة زكريا) ●

الدعوة إلى حمل مصر والعرب على الحضارة الغربية وطبعها بها وقطع ما يربطها بعروبتها وإسلامها

المرجع: نقلاً عن كتاب: «الوجه الآخر لطه حسين»، للأستاذ أنور الجندي، ومن مذكرات أرملته في مجلة أكتوبر بعنوان: «سوزان معك».



شعـر

الشاعر: د.محمد سليم الغزال

الميلاد

طلبت الـردى' حتى تـهـيَّـبك الردى
وفي مـوتك المشـهـود عـشتُ مـخلَّدا
فــأكـرمْ بمـوتٍ قـبَّـل المجـدُ رأسَـهُ
وبـين يديـه الحقُّ والـبــرُّ والنـدى
وروحك أحــيـت في فــدائك أمــةً
وبعضُ حــيـاة الأمـة الموت والـفـدى
حـزمت علـيك الناسـفـات فـبُـشِّـرتْ
بك الحـور واخـتـرتَ الشـهـادةَ موعـدا

إهابك ضمّ البرق والرعدَ قاصفاً
وثورةَ بركانٍ أضاء وأرعدا
فأصبحتَ زلزالاً يدكّ حصونهم
ونارَ شهابٍ للشياطين أرصدا
وكنتَ سعيراً لليهود تعجلت
وبرداً على قلب الملبين أحمدا
فما زلتَ صوتَ الحقِّ في مسمع الدُّنى
يردده والآخرون هم الصدى
وقال لنا قوم قد انتحر الفتى
وربّ ضلالٍ يَلْبَسُ العلمَ والهدى
وفي مذهب العميان ينتحر الضيا
ويكره نورَ الشمس من كان أرمدا
وكم من نصيح قد يضرك نصحه
وإن صديق الجهل أنكى من العدا
وكم بيننا من لا يرى غير أنفه
يقول أرى ما لا ترون من المدى
وكم قائل قد كان يُحسنُ صمته
وكم من إمامٍ كان خيراً لو اقتدى
وكم بيننا من خائنٍ ومُخذّلٍ
يريشُ لنا فهم الخنوع مُسدداً
فإن هبَّ بعض المجرمين لذبحنا
يجدْ في حمانا من يسنُّ له المُدى

* * *

فلسطينُ يا أسطورة المجد والعُلا
بنوكِ لهم تهوي المفاخرُ سُجَّدا
ترابك تسقيه الدماء طهورة
ليثبت أمجاداً ويزهو سؤددا
فبوركت يا شعب البطولة قد رنت
بأبصارها الدنيا إليك لتشهدا
وطأطأت الشمّ الرواسي رؤوسَها
أمامك إجلالاً وإن كُنَّ جلمدا
تصبُّ عليك القاذفات سعيرها
فيُطفئها بحر البطولة مُزبدا
فدى لك من باعوا البلاد بسلمهم
وكل ذليل بالخضوع تبلَّدا
دماؤك من قلبي تسيل وفي الحشا
لظى غضبٍ بين الضلوعِ توقدا
أغالب دمع القهر أن يذبحوا أخي
ولا أستطيع أن أمدَّ له يدا
فيا بطلاً أحني أمامك هامتي
شهيداً زرعت المكرمات لتحصدا
وأبكيك دمعاً فيه ذوَّبت مهجتي
وأفديك بالأنفاس لو كنت تفتدى
ولكن صوتاً منك يهتف بي أفِقْ
ولا تبكني فالحقُّ فيَّ تجسدا
تحررتُ من أسر المهانة ثائراً
وأنت بها مازلت دوني مقيدا
أعلمكم أن الحياة كرامة
وما متُّ كالأبطال إلا لأولدا
لئن قتلوني سوف يرعبهم دمي
ويرسم فوق الأرض سيفاً مجردا
وإن يدفنوني يزرعوا الحقد في الثرى
فما ضمّني إلا ليلفظهم غدا
وإن يهدموا جدران بيتي فإنني
بنيتُ من الأمجاد صرحاً ممردا
فلن يستطيع البغيُ كسر إرادتي
وإن صال حيناً فوق أرضي وعربدا
يظنون موتي غير أنّي راجع
بسيفي ينضوه حفيدي مجدَّدا



حضـارة

الإسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري

بقلم: د. حسن عزوزي - رئيس تحرير مجلة كلية الشريعة «فاس»



لايتجادل اثنان في كون الدعـوة إلى حـوار الحضارات تعتبر سمة من سمات النصف الثاني من القرن العشرين الذي أفل منذ أزيد من عـام، وكأنما أدرك العالم بعد اكتوائه بلظى حروب عالمية مدمرة أن البشرية لا تستطيع أن تتحمل حروباً أخرى بعد أن حصدت ويلات كثيرة أسهمت في تفاقم المشكلات الجوهرية الكبرى التي ظل يعاني منها كلٌ من الغالب والمغلوب، لذلك بادرت جهات ومؤسسات كثيرة في العالم إلى تبني الدعوة إلى حوار الحضارات أملاً في الالتقاء على مبادئ موحدة وقواسم مشتركة بين أتباع مختلف الحضارات حيث تكون كفيلة بفتح الطريق للتفاهم والتعاون والتعايش.

لقد دعت محافل ومنظمات كثيرة إلى حوار الحضارات منذ الستينيات من القرن المنصرم ثم انتهى الحوار إلى أوراق نُشِرت في كتب وأذيعت في صحف لكنها لم تثمر نتائج ملموسة حتى الآن، وعندما ترددت في أرجاء العالم السياسية والفكرية، نظرية «هانتنغتون» عن «صدام الحضارات» كان البديل المنطقي الذي تمت المسارعة إلى استدعائه هو «حوار الحضارات» الذي تمت الدعوة إليه بقوة في جميع المحافل والملتقيات وعُمِلَ على إنجاحه قصد تجنيب العالم ويلات الصراع، وكوارث الصدام الحضاري، وإذا كانت جهات غربية كثيرة قد دأبت على الدعوة إلى حوار الحضارات وفق شروط وضوابط معينة أملتها ظروف التفوق والاستعلاء الغربي، فإن الطرف الإسلامي لم يكن بعيداً عن فكرة تنظيم مؤتمرات وملتقيات دولية لترسيخ آليات الحوار الحضاري من طرف مؤسسات ومنظمات ثقافية إيماناً منها بأن «حوار الحضارات» يعتبر مطلباً إسلامياً مُلحاً يدعو إليه القرآن الكريم وتبشر به السنّة النبوية الشريفة.

وبقدر ما تعظم الحاجة إلى حوار جدي بين الثقافات والحضارات لإقامة جسور التفاهم بين الأمم والشعوب ولبلوغ مستوى لائق من التعايش الثقافي والحضاري تقوم الضرورة القصوى لتهيئ الأجواء الملائمة لإجراء هذا الحوار ولإيجاد الشروط الكفيلة بتوجيهه الوجهة الصحيحة، إن نقطة الانطلاقة الأولى لأي استجابة فعّالة تبدأ من خلال فهم الذات وفهم الآخر، فالبداية يجب أن نتعرف إلى واقعنا كما هو بالفعل من دون رهبة أو خجل ومن دون تهوين أو تهويل، ثم التعرف إلى الآخر وفهمه وهو هنا الغرب وحضارته.

إن الانعزال والتقوقع والانغلاق على الذات في عالم اليوم الذي تحول إلى قرية صغيرة بحكم التطور التقني الهائل في تكنولوجيا الاتصال أمر مستحيل، كما أن الانسياق وراء الدعوة إلى حضارة عالمية واحدة هو بحد ذاته عملية تكريس لانتصار الحضارة الغربية الكاسحة وهو طريق التبعية الحضارية الذي يفقدنا خصوصيتنا الحضارية ويحولنا إلى مجرد هامش لحضارة الغرب.(١)

إن التقاء الحضارات معلم من معالم التاريخ الحضاري للإنسانية، وهو قدر لا سبيل إلى مغالبته أو تجنبه، وقد تم دائماً وأبداً وفق هذا القانون الحاكم «التمييز بين ما هو مشترك إنساني عام وبين ما هو خصوصية حضارية».(٢)

ولا شك أن الخيار البديل لصدام الحضارات هو أن تتفاعل الحضارات الإنسانية مع بعضها بعضاً بما يعود على الإنسان والبشرية جمعاء بالخير والفائدة، فالتفاعل عملية صراعية ولكنها متجهة نحو البناء والاستجابة الحضارية لتحديات الراهن، عكس نظرية «صدام الحضارات» التي هي مقولة صراعية تدفع الغرب



• ندوات الحوار يجب أن تزيد من تمسكنا بثوابتنا •

نقطة الانطلاقة الأولى لأي استجابة فعالة تبدأ من خلال فهم الذات وفهم الآخر

بإمكاناته العلمية والمادية لممارسة الهيمنة ونفي الآخر والسيطرة على مقدراته وثرواته تحت دعوى وتبرير أن نزاعات العالم المقبلة سيتحكم فيها العامل الحضاري.(٣)

والإسلام كدين وحضارة عندما يدعو إلى التفاعل بين الحضارات ينكر «المركزية الحضارية» التي تريد العالم حضارة واحدة مُهيمنة ومتحكمة في الأنماط والتكتلات الحضارية الأخرى(٤)، فالإسلام يريد العالم «منتدى حضارات» متعدد الأطراف، ولكنه مع ذلك لا يريد للحضارات المتعددة أن تستبدل التعصب بالمركزية الحضارية القسرية، إنما يريد الإسلام لهذه الحضارات المتعددة أن تتفاعل وتتساند في كل ما هو مشترك إنساني عام.(٥)

وإذا كان الإسلام ديناً عالمياً وخاتم الأديان، فإنه في روح دعوته وجوهر رسالته لا يرمي إلى تسنم «المركزية الدينية» التي تجبر العالم على التمسك بدين واحد، إنه ينكر هذا القسر عندما يرى في تعددية الشرائع الدينية سنة من سنن الله تعالى في الكون، قال تعالى: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات) المائدة:٤٨، وقال أيضاً: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) هود: ١١٨ - ١١٩.

إن دعوة الإسلام إلى التفاعل مع باقي الديانات والحضارات تنبع من رؤيته إلى التعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالاتهم السماوية، فعقيدة المسلم لا تكتمل إلا إذا آمن بالرسل جميعا: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله) البقرة: ٢٨٥. بيد أنه لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساساً راسخاً لعلاقة المسلم مع غير المسلم على أنه انفلات أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر هذا الدين. فهذا التسامح لا يلغي الفارق والاختلاف، ولكنه يؤسس للعلاقات الإنسانية التي يريد الإسلام أن تسود حياة الناس، فالتأكيد على الخصوصيات العقائدية والحضارية والثقافية، لا سبيل إلى إلغائه، ولكن الإسلام لا يريد لهذه الخصوصيات أن تمنع التفاعل الحضاري بين الأمم والشعوب والتعاون فيما بينها.(٦)

وفي سياق التفاعل الحضاري المنشود يمكن القول: إن احتمال أن تتقدم حضارة على أخرى بهذا الجانب أو ذاك كما هو الشأن بالنسبة للحضارة الغربية في عالم اليوم، ولكن القول بأفضلية حضارة على أخرى هو قول متهالك، فمن يستطيع إثبات أن هذه الحضارة أفضل من تلك أو أغزر ثقافة أو حكمة وإنسانية وتسامحاً، ولا يوجد في الواقع أي مقياس أو معيار نقيس به هذه الأفضلية في كل الجوانب؟ هذا من جهة ومن جهة أخرى كيف يمكن الاقتناع بأن العلاقة بين الحضارات محكومة بعلاقة الصراع لا التفاعل والحوار، وأن انتصار حضارة في هذا الصراع هو انتصار أبدي، وهل هناك أبدٍ باستثناء القيم العليا للإنسانية، قيم الحق والخير والسلم والتعاون والتسامح والمشاركة في الحضارة واحترام الآخر وحقوق الإنسان والشعوب وثقافاتها وتقاليدها وقيمها الروحية والمادية وتجاربها ومنجزاتها؟



إن شرط ازدهار هذه القيم في أي حضارة يرتبط أساساً بمدى قدرتها على التفاعل مع معطيات الحضارات الأخرى ومكوناتها وبالتالي الاعتراف بهذه الحضارات ومحاورتها وقبول تعددية الثقافات وتفهم مفاهيم وتقاليد الآخرين، واعتبار الحضارة الإنسانية نتاجاً لتلاقح وتفاعل هذه الحضارات لا صراعها فيما بينها أو استعلاء بعضها على البعض الآخر. والحضارة الإسلامية منذ نشوئها وتكونها لم تخرج عن هذا الإطار التوّاق إلى التفاعل مع الحضارات الأخرى أخذاً وعطاء، تأثراً وتأثيراً. لقد حمل العرب قيم الإسلام العليا ومثله السامية وأخذوا في نشرها وتعميمها في كل أرجاء الدنيا، وبدأت عملية التفاعل بينها وبين الحضارات الفارسية والهندية والمصرية والحضارة الأوروبية الغربية فيما بعد، ومع مرور الزمن وانصرام القرون نتجت حضارة إسلامية جديدة أسهمت في إنضاجها مكونات حضارات الشعوب والأمم التي دخلت في الإسلام، فاغتنت الحضارة الإسلامية بكل ذلك عن طريق التلاقح والتفاعل، وكانت هي بدورها فيما بعد عندما استيقظت أوروبا من سباتها وأخذت تستعد للنهوض مكوناً حضارياً ذا بال أمدَّ الحضارة الأوروبية الغربية بما تزخر به من علوم وقيم وعطاء حضاري متنوع.

الشيء عينه يمكن قوله عن الحضارة الغربية التي لم تظهر فجأة، بل تكونت خلال قرون كثيرة حتى بلغت أوجها في عصرنا الحاضر وذلك نتيجة التفاعل الحضاري مع حضارات أخرى هيلينية ورومانية وغيرها، وبفعل التراكم التاريخي وعمليات متفاعلة من التأثر والتأثير خلال التاريخ الإنساني الحديث. إن أكبر دليل على أن الحضارة الإسلامية لم تسعَ في أي وقت من الأوقات إلى التصادم مع الحضارة الغربية كما ينذر بذلك أصحاب نظرية الصدام الحضاري هو أن العرب والمسلمين لم يضعوا في أي زمن من الأزمان صوب أهدافهم القضاء على خصوصيات الحضارة الغربية وهويتها الحضارية، كما نجد الفكر العربي والإسلامي قد اتجه بانفتاح وقوة صوب التراث الغربي للاستفادة منه وتطويره، لقد كان هنالك فعلاً استجابة سريعة للحضارة العربية الإسلامية في تفاعلها مع الحضارة الغربية، وهذا ما لا نلمسه في الحضارة الغربية التي لا تسعى إلى الاستفادة من تراث ومعطيات الحضارات الأخرى ●

الهوامش:

١ - مستقبل العالم الإسلامي - العدد ٩ - السنة ٣/١٩٩٣م، ص ١٤٤.

٢ - د.محمد عمارة: الغزو الفكري وهم أم حقيقة، ط الأزهر ١٩٨٨م، ص ٢٠٥.

٣ - د.محمد محفوظ: الإسلام، الغرب وحوار المستقبل، طبع المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، ١٩٩٨م، ص ١٣٥.

٤ - وهو ما يعبر عنه - للأسف الشديد - كثير من الساسة وأصحاب القرار في الدول الغربية.

٥ - د.محمد عمارة: العطاء الحضاري للإسلام، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٢١.

٦ - د.عبدالعزيز بن عثمان التويجري: الأمة الإسلامية في مواجهة التحدي الحضاري، سلسلة المعرفة للجميع، رقم ٣ - الرباط ١٩٩٩م، ص ٧٤.



الدكتور شوقي ضيف في حواره مع الوعي الإسلامي

الحضارة الإسلامية هي الأكثر عطاءً في تاريخ الحضارات البشرية

حاوره: محمد رضا حبيب

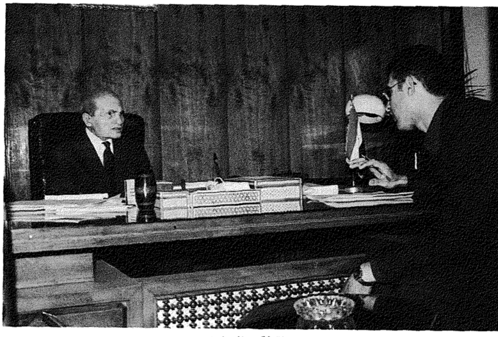
د.شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية، ورئيس اتحاد المجامع اللغوية وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية... عالم موسوعي من الطراز الأول وله مكانة كبرى في حقل الدراسات الإسلامية والفكرية، ويعتبر رمزاً من رموز ثقافتنا العربية، له الكثير من المؤلفات منها «تاريخ الأدب العربي في مختلف عصوره وأقاليمه» (عشرة مجلدات)، وله نحو أربعين كتاباً في دراسات أدبية ونقدية وبلاغية وقرآنية ونحوية آخرها «عالمية الإسلام» ولديه اهتمامات واسعة بمحاولة تلمس أفضل السبل للرقي بالأمة الإسلامية وانتشالها من سباتها العميق ولا سيما ونحن في بداية ألفية جديدة وعصرٍ مغاير... فضلاً عن كتاباته عن التراث العربي والإسلامي ومطالبته بضرورة إحيائه والاستفادة منه في مواجهة ما سمي بـ«الغزو الثقافي».



من خلال الحوار دعا الدكتور شوقي ضيف الأمة الإسلامية إلى تصحيح أوضاعها الاقتصادية والثقافية والأخذ بمنجزات العصر العلمية والفكرية والحضارية وعدم الخمول والاتكال بدعوى أننا أصحاب حضارة وريادة، مشيراً إلى أن عالم اليوم لا يعترف إلا بالمنجزات العلمية والفكرية وأكد على ضرورة تصحيح صورة الإسلام لدى الغرب الملتصقة بالسلبية والتخلف والإرهاب وإثبات أننا أصحاب بصمة وريادة في تقدم البشرية، وأيضاً دعا إلى ضرورة وجود صرح إعلامي إسلامي يخاطب الغرب بلغته ويقدم له كل شيء عن حقيقة الإسلام وموقفه من كل القضايا المعاصرة... وإلى الحوار.

● باعتباركم من المهتمين بالتراث والحضارة الإسلامية... كيف يمكن من وجهة نظركم تصحيح صورة الإسلام في الغرب؟

- يمكن تصحيح صورة الإسلام في الغرب بمحاولة نهج طرق مختلفة في التفكير والاهتمام بإبراز صورة الإسلام النقية وسماحته وحضارته العريقة وما قدمته الصورة من إسهامات علمية بارزة لعلماء أفذاذ أمثال - الحسن بن الهيثم، وابن سينا والخوارزمي، وابن النفيس، والبيروني - علاوة على إسهامات المسلمين في العصر الحديث في صفوف المعرفة المختلفة، وعلينا أن نتلمس طرق التقدم العلمي والفكري والثقافي وأن تشيع بيننا مبادئ الحرية والأمن والعدل والإخاء والمساواة، وأن نغزو بأخلاقنا الفاضلة ومبادئنا القويمة العالم، وعند ذلك لا يملك الآخر إلا التسليم لنا ولإنجازاتنا العلمية، كما علينا ألا نغفل الجانب الإعلامي الخطير الذي يسيطر عليه اليهود، محاولين تشويه صورتنا ووصفنا بالتخلف والإرهاب والرجعية والهمجية، لذلك لابد من وجود صرح إعلامي إسلامي رائد يخاطب الغرب عن الإسلام والمسلمين بثقافة الغرب ولغته وفكره، أي أن نقدم لهم عنا كل ما يريدونه وفق طرق تفكيرهم وأساليب حياتهم العصرية شرط عدم مخالفة ذلك للإسلام الحنيف، وهناك توجه على مستوى الفكر العالمي نحو المعرفة الحقيقية للإسلام بعمق وموضوعية بعيداً عن الأهواء الشخصية خصوصاً بعد أحداث ١١ سبتمبر، ونجد أن هناك أقلاماً منصفة في الغرب تكتب عن الإسلام بصفته الدين الإلهي الخاتم للرسالات وسماحته وقيمه ومبادئه، لذا فمن الضروري أن يلتقي العلماء والمفكرون المسلمون مع علماء الغرب المنصفين للحقيقة حول هذا المنظور بصرف النظر عن الاتهامات الموجهة للإسلام من بعض الكتاب والساسة الذين مازالوا يعيشون أسرى ثقافة العصور الوسطى التي تقف موقف العداء من الإسلام.



● لقطة من الحوار ●

● بعد موسوعتك في تاريخ الأدب العربي وكتبك في تجديد وتبسيط النحو - تحولت في كتاباتك الأخيرة إلى الإسلاميات... فكيف جاء هذا التحول؟

- تتكون الثقافة العربية من مجموعة علوم لغوية وإسلامية، ومفروض فيمن يعني بدراسة تاريخ الأدب العربي ألا يكتفي بدراسة الشعراء والكُتّاب العرب، بل يضيف العلوم العربية لأنها جزء لا يتجزأ من الأدب، وهو ما حدث بالنسبة لي فقد عنيت في أول الأمر بتيسير النحو العربي، وألفت في ذلك كتباً مختلفة، كما كتبت في البلاغة العربية وتاريخها وتطورها ومن يدرس النحو والبلاغة والأدب العربي، إنما يدرس في كل منها جانباً من جوانب اللغة، ومعروف أن القرآن الكريم هو أساس اللغة، ومن يدرس الأدب العربي لابد أن يدرس القرآن العظيم، وهي الجوانب التي عنيت بها وكل من حظي بعد تاريخي للأدب العربي في عصوره المختلفة أن أنعم الله عليَّ بالتوجه إلى الدراسات الإسلامية وألفت الكثير من الكتب في التاريخ الإسلامي وآخرها «عالمية الإسلام» الذي ترجم إلى الفرنسية والإنكليزية وأخيراً ترجم إلى الصينية.

● أصدرت أخيراً كتابك الأخير «عالمية الإسلام»، فهل لنا من معرفة كيف أسهم المسلمون الأوائل في تحقيق العالمية للإسلام؟

- إن الصحابة والمسلمين في القرن الأول الهجري كانوا يستشعرون المعاني الحقيقية لعالمية الإسلام، لذلك بذلوا في نشره كل ما في وسعهم من جهد، واستطاعوا أن ينشروه بين أكثر من نصف سكان العالم المعروف لزمنهم، وأخذ ينتشر بعد ذلك - بقوته الذاتية حتى عمَّ أفريقيا المدارية، والاستوائية والشرقية، وذلك عن طريق التجار وخلقهم وسلوكهم الحميد والقدوة والأخلاق الطيبة والصدق، بهذه المعاني انتشر الإسلام في أفريقيا وامتد إلى آسيا وشمل أواسطها ووصل إلى أنحاء من الصين والهند وعم ماليزيا وأندونيسيا ونزل جنوب الفلبين وبالمثل وصل الإسلام إلى أوروبا، ليس عن طريق السيف كما يزعم المغرضون، ولكن بقيمه وتعاليمه وحضارته السامية ومبادئه الراقية، وللأسف المسلمون الآن مقصرون في نشر الإسلام وتعريف الأمم بتعاليمه وقيمه في وقت العالم كله في أشد الحاجة إلى معرفة هذا الدين، وهناك نماذج سيئة تدَّعي أنها تنشر الإسلام بالعنف، ولكن الإسلام

إحياء تراثنا وحضارتنا الإسلامية نقطة البدء على الطريق لمواجهة العولمة

منهـــا براء لأن الدعـــوة تكون بالحكمة والموعظة الحسنة.

● كـيـف يـجـدد المسلمون فكرهم اليوم لكي يتعايشوا مع المستجدات العصرية بصورة أكثر مدنية من وجهة نظركم؟

- يكون ذلك عن طريق إعمـال العقل والتفكير وفتح باب الاجتهاد في مسائل الفقه الإسلامي نظراً لظهور قضايا ومسائل وإشكاليات لم يعرفها المسلمون السابقون مثل قضايا الاستنساخ وزرع الأعضاء والتبرع بها والهندسة الوراثية والموت الإكلينيكي «موت جذع المخ»، وبنوك الدم، والحيوانات المنوية المنتشرة في الغرب، لذلك لابد أن يناقش فقهاؤنا بتفكير جديد حلاً لهذه المسائل، وأن يجدوا لها حلاً في إطار الفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية الثابتة والمستقرة والصالحة لكل العصور والأماكن.

● كيف يمكن للثقافة الإسلامية مواجهة الغزو الثقافي والصمود أمام رياح التغريب العاتية في عصر تلاشت فيه الحدود والقيود؟

- الثقافة العربية الإسلامية إذا أردت أن أتحدث عنها أقول: إنها ثقافة منفتحة، فهي تفتح أبوابها دائماً لطلابها من كل جنس، وكل شعب لأنها تحمل في كيانها حرية واسعة ليبدي الناس فيها آراءهم، أما تعاليمها فهي أكثر من أن نعرض لها هنا، ولكن يكفي أن نعرف أنها تجعل العدل أساساً في حياة المسلمين فالمسلم مطالب بالعدل مع نفسه وجاره ووطنه ومع الناس جميعاً.

● المسلمون كانوا سباقين في علوم الطب ●

والعولمة ليست خطراً بالشكل الذي يتصوره الكثيرون، ولكن الخطر هو رفض التعاطي معها، وفي هذه الحالة ستكون خطراً حقيقياً يهدد الشعوب ثقافياً واقتصادياً ومعنوياً يهدف إلى القضاء على مقدراتها وثرواتها وتراثها ومنجزاتها الحضارية للسيطرة عليها، لذلك علينا الانتباه لواقعنا الثقافي والاهتمام بهويتنا وحضارتنا ولغتنا العربية وديننا الإسلامي وتراثه الخالد، وأن نعمل على إحياء كل ذلك حتى لا نذوب في ثقافة الآخر التي لا تسيطر إلا على الضعفاء، أما الأقوياء أمثالنا أصحاب الريادة الحضارية والتراث الضخم، فإن العولمة تتضاءل أمامنا وتندثر وتذوب إلى غير رجعة شرط إحياء تراثنا وحضارتنا في مقابل الثقافة المقبلة من الغرب.

● قضية تعريب العلوم والطب... قضية مهمة... ولكن هناك آراء تقف ضد هذا الاتجاه بدعوى التخلف والتبعية وتعطيل مسيرتنا العلمية... فما ردكم؟

- تعتبر قضية تعريب العلوم الغربية وتعليمها الجامعي قضية مصير الأمة العربية ومكانتها بين الأمم، فهل نظل نقترض العلوم من الغرب أم يتضافر علماؤنا على توطينها في ديارهم بلغتهم العربية مثل جميع الأمم الأوروبية التي تنبهت إلى ذلك ورأت فيه حفاظاً على هويتها وشخصيتها العلمية وضرورة لاستيعاب أبنائها للعلوم، ولا يختلف أحد على أن تعلُّم أبناء الأمة العلوم باللغة الوطنية التي تعدُّ قوائم أفكارهم ووجدانهم ما يجعلهم يحسونها ويتقنونها بل يبدعون فيها ويسهمون في تقدم هذه العلوم، وأكبر الأدلة على ذلك أن الأوروبيين أنفسهم كانوا يتعلمون العلوم في عصورهم الوسطى باللغة اللاتينية... وكما هو معروف أنهم تأثروا ونقلوا العلوم من الحضارة الإسلامية وانكبوا عليها يدرسونها ويتعلمونها بلغتهم الوطنية، ما يجعلهم يتقنون هذا العلم، ومن ثمَّ أخذوا يقفزون فيها قفزات كبرى متوالية أتاحت لهم نهضتهم العلمية الحديثة، ولا نعني بتعريب العلوم أن نهمل اللغات الأجنبية كافة، بل ينبغي الاهتمام الشديد بها لكي نتابع ما وصل إليه الإنتاج العلمي العالمي وهذا ليس بدعة، فالإيطاليون والألمان يعلِّمون أبناءهم كل فروع اللغة الوطنية، ولا يتوقفون عن متابعة الإنتاج العلمي، بل المشاركة فيه ولا ينقطع حوارهم مع علماء الجنسيات الأخرى من خلال لغة أجنبية وسيطة، وهو ما تحتاجه الأمة الإسلامية أن تعدل عن التعليم بلغات أجنبية وتهتم بلغاتها الوطنية حتى تستطيع أن تشارك في النهضة العالمية وتسترد قيادتها ونهضتها التي قادت بها العالم علمياً وحضارياً في القرون الماضية.

● متى تتم وحدة المصطلح العلمي في التعريب بين بلدان العالم العربي بحيث تكون لنا لغة علمية واحدة نتداولها ونتعامل بها؟

الثقافة العربية الإسلامية تفتح أبوابها دائماً لطلابها من كل جنس، وكل شعب لأنها تحمل في كيانها حرية واسعة

ـ هذا أمل نسعى إلى تحقيقه في مجمع اللغة العربية، وفي اتحاد المجامع اللغوية في الوطن العربي... وكما تحقق لأسلافنا في القديم، حيث كانوا يحاضرون ويؤلفون بلغة علمية واحدة ولم يكن لأي بلد عربي علماء مستقلون، بل كانوا جميعاً علماء لعالم تعددت أقطاره ولكل قطر دولته السياسية، أما في العلم فكانوا جميعاً ينتمون لوطن واحد، بل كانوا يتبعون لجامعة أو مؤسسة علمية واحدة، وكما تأثر أسلافنا بعلوم العالم القديم وأضافوا إليه مكونين علومهم نريد أن نتأثر نحن بعلوم العالم الحديث ونضيف إليها وتكون علومنا بلغتنا الوطنية وتعود إلى التأثير بها شرقاً وغرباً ونسهم في تقدم البشرية.

● د.شوقي ضيف... هل أنت قلق على حال اللغة العربية؟

ـ اللغة العربية في رأيي على عكس ما يعتقد الكثيرون تزدهر في هذا العصر ازدهاراً لم يتح لها في العصور السابقة، لأسباب كثيرة منها انتشار الصحف اليومية، هذه الصحف لو جمعت في عام من الأعوام لأصبحت تلالاً من عربية فصيحة تنتشر في جميع الأقطار العربية عن طريق الصحف والمجلات الأسبوعية والشهرية، وأيضاً ازدياد وعي الناس بأهمية اللغة العربية... فهناك الكثير من المؤسسات والجمعيات والاتحادات المهتمة باللغة العربية، وفي رأيي أن اللغة العربية انتعشت منذ بداية القرن العشرين وأصبح لها كُتَّابها المشهورين وساعدت وسائل التقنية والاتصالات الحديثة على ازدهارها في ربوع الوطن العربي، فهناك نهضة لغوية تجتاح العالم العربي الآن ولاخوف على اللغة العربية لأنها لغة القرآن الذي تعهد رب العزة بحمايته فقال: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، فاللغة العربية خالدة بخلود القرآن الكريم الذي كتب لها الانتشار والعيش للأبد ومكَّن الألسنة من أن تعرفها وتتحدث بها من مختلف الشعوب العربية والإسلامية لتصبح فيما أتصور... لغة دولية لشطر كبير من العالم.

تعتبر قضية تعريب العلوم الغربية وتعليمها الجامعي قضية مصير الأمة العربية ومكانتها بين الأمم

● رغم أنك تلميذ لـ«طه حسين» فإنك ألَّفت كتاباً عن العقاد وليس عن أستاذك... فما السبب؟

ـ العقاد تعرض لهجوم شديد بعد وفاته، وبدأت الحملة تؤثِّر على اسم العقاد في العالم العربي، فقررت أن أكتب مدافعاً عنه وخصوصاً أن الهجوم لم يكن مبنياً على أسس علمية وللسبب نفسه وضعت كتابي عن أحمد شوقي في العام ١٩٥٣م فقد هُوجم بعد الثورة لأسباب ليست أدبية أو فنية، وتحدث عنه بعضهم باعتباره شاعر العهد البائد، فأردت أن أقول لهم: إن شوقي هو أكبر قامة شعرية في القرن العشرين.

أما بالنسبة لأستاذي ومعلمي الأول طه حسين ـ الذي أتشرف بأنني تتلمذت على يديه وأشرف على رسالة الدكتوراه، فهو حامل لواء النهضة الأدبية العربية في القرن العشرين بلا منازع، ولا يمكن أي حملة أن تنال منه واسمه ثابت وقوي في العالم العربي والحديث عن طه حسين ـ وتأثيره في حياتنا الأدبية والفكرية والاجتماعية يتسع إلى ما لا نهاية.

● باعتباركم رئيس اتحاد المجامع اللغوية... ما الدور الذي يضطلع به الاتحاد؟ وما تفسيركم لغلبة العضوية العلمية على اللغوية بالاتحاد.

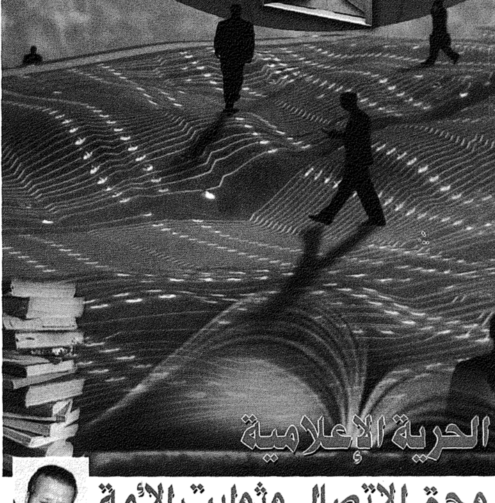
ـ معروف أن الاتحاد يتألف من مجامع دمشق، وبغداد، والقاهرة، ومقره مدينة القاهرة، ويتكون من عضوين من كل مجمع لغوي يختارهما المجمع، العضو مدة أربع سنوات، وينتخبون أميناً عاماً، وأمينين مساعدين، واختصاصاته التنسيق بين المجامع في كل ما يتصل بالعربية، والنظر في الأعمال المطروحة على المكتب وميزانيته السنوية وتنظيم جهود المجامع وتوحيد المصطلحات العلمية، والعمل على إيجاد لغة علمية واحدة، وعقد المؤتمرات والندوات لتحقيق ذلك، والنظر في الاقتراحات التي تقدمها الهيئات اللغوية والعلمية والمشتغلين باللغة في العالم العربي.

أما بالنسبة لغلبة أعضاء العلميين على اللغويين بالمجمع فيرجع ذلك إلى أن الاتحاد يضع نصب عينيه منذ إنشائه أن يقدم للأمة العربية المصطلحات العلمية الغربية في كل علم.

وهو عمل كبير قضى فيه ستين عاماً، نشر خلالها أكثر من أربعة عشر معجماً علمياً، والغرض من ذلك أن تصبح اللغة العربية لغة علمية شأنها في ذلك شأن بقية اللغات الأخرى وأيضاً حتى يصبح تدريس العلوم في الجامعات باللغة العربية أملاً في التخلص من التبعية العلمية للغرب ●



إعلام



الحرية الإعلامية وحق الاتصال وثوابت الأمة

إعداد: د. محيي الدين عبدالحليم

أكدت المنظمات الدولية على حق الإنسان في أن يفكر تفكيراً حراً مستقلاً في كل ما يكتنفه من أمور، وما يقع تحت بصره من ظواهر، وأن يأخذ بما يهديه إليه إدراكه، ويعبر عنه بمختلف وسائل التعبير المتاحة، وبأي طريقة يشاء، وأن يجهر بما انتهى إليه رأيه، حتى لو كان مجانباً للصواب أو مخالفاً لرأي الأغلبية، وترك له حرية التصرف فيما يراه نافعاً له ولمجتمعه، وتبعاً لحسن استخدام عقله لكي يتابع حركة الحياة في الدنيا، ويبتعد عن الجمود الذي يؤدي إلى ضعف نشاطه الفكري

، ويدخل في حرية التفكير والتعبير: حرية الصحافة، والخطابة، والإذاعة بشقيها المرئي والمسموع، وحق الإنسان في الاتصال والمعرفة، والمشاركة في صياغة حاضره وصنع مستقبله، فهذه حقوق ثابتة في مختلف الشرائع السماوية والقوانين الوضعية.

وبهذه الحرية حقق العرب في عصورهم الزاهية قدراً هائلاً من القوة والمنعة، وفي ظل هذا المناخ الصحي استطاعوا أن يجمعوا شتات الأمة، ويوحدوا بين أبنائها، وينشروا الأمان والسلام في أرجائها، لتخرج من أحشائها هذه الأدمغة الخلاّقة، وتلك العبقريات المميزة التي لايزال يغترف من علمها وفكرها علماء العالم ومفكروه في عصرنا الراهن.

وفي ضوء هذه الحقيقة نستطيع أن نؤكد أن أي أمة لا يمكن أن تقال من عثرتها، في ظل نظم وعقليات تحجر على الحريات، وتفرض قوانين تحول بين المبدعين من أبنائها وبين قدرتهم على النهوض بها، والأخذ بيدها، لأن ثمة علاقة عضوية لا تنفصم عراها بين الإبداع والحرية، فبقدر مساحة الحرية المتاحة للمبدعين بقدر العطاء الذي يقدمونه لأمتهم، ومن ثم فإن غياب الحرية الإعلامية يضعف من إمكانات التأثير في الجمهور المتلقي.

وهذا يعني أن أخطر أعداء التقدم والتفوق والازدهار يكمن في سيطرة العقليات المتحجرة على منابر الفكر وقنوات الاتصال، لأن هؤلاء لن يسمحوا للمبدعين بتقديم ما حوته عقولهم، وما اختزنته صدورهم من أعمال خلاّقة وأنشطة

بناءة، بل إن أول ما يشغل فكر هذه العناصر هو القضاء على هؤلاء المبدعين، حتى تخلو لهم الساحة ويتمكنوا من السيطرة والتسلط، وصياغة النظم والقوانين التي تلبي رغباتهم، ويصوغوا اللوائح والدساتير التي تخدع أغراضهم وتحقق أهدافهم بدعوى حماية الحرية، ولكنها الحرية التي تتفق مع أهوائهم وميولهم، وهم يتعصبون ويثورون لأن الرأي الآخر سوف يضع الأمور في نصابها الصحيح، ويصوغ العلاقات المتوازنة بين كل أفراد المجتمع، فيظهر الغث من السمين، والهدى من الضلال، وإلا فما تفسير ظهور المبدعين من العرب على الساحة الدولية في مجالات القضاء والطب والفن بعيداً عن أوطانهم؟ إنه مناخ الحرية الذي تتيحه لهم الأنظمة التي هربوا إليها، والحوافز المعنوية والأدبية والمادية التي تتدفق عليهم، والأمن والسلام الذي يتحقق لهم.

ومن ثم فإن غياب الحرية في كثير من منابر الفكر وأدوات التعبير هو أكبر معاول التخلف لأن الفرد لا يستطيع أن يبدع ويسهم في أراء الحياة إلا إذا توافرت له مساحة كافية من الحرية والاستقرار والأمان، ولم يشهد التاريخ أن أمة تقدمت أو أضافت للتراث الإنساني شيئاً إلا إذا توافرت لأبنائها مساحة كافية من حرية الرأي والتعبير، حتى لو توافرت لها الإمكانات المادية، والطاقات البشرية، ومصادر الثروة، وأسباب التقدم والرفاهية.

وقد أدركت الأنظمة التي تريد لشعبها الخير والتقدم هذه الحقيقة، فأطلقت العنان للفكر الخلّاق والرأي الحر، ليسهم في البذل والعطاء، ولنا أن نقارن كيف كانت ألمانيا واليابان وغيرها من الدول التي أحرزت أعلى درجات التقدم، إن ذلك يرجع إلى أن توافر مناخ الحرية الذي أسهم في بناء الإنسان بناء صحيحاً، وهيأ له الظروف الملائمة للخلق والابتكار.

وبالتالي، فإن إعمال العقل والاجتهاد بالرأي، والاختلاف في وجهات النظر، مطلب لا يجوز أن يعاقب عليه صاحبه إذا ما التزم بالأصول والثوابت، ومن حق كل فرد أن يقدم حججه وبراهينه، وأن يقول رأيه صراحة، ويبدي وجهة نظره من دون خوف، فلا قيد على الحرية. ولا كبت للرأي، ولا إجبار على السكوت، ولكل إنسان أن يتحدث بما يشاء، سواء أُخِذَ برأيه أو لم يؤخذ به، وسواء كان رأيه خطأ أو صواباً.



إلا أن المشكلة هنا تكمن في أن بعض الكتاب يبالغون في الغلو ويعارضون التمسك أو الالتزام بالثوابت التاريخية والثقافية والعقدية باسم الحرية الشخصية تارة، وباسم تحرير الإرادة الإنسانة تارة أخرى، وباسم اطلاق العقول من القيود تارة ثالثة، إلى غير ذلك من الأسباب التي يتخذها أصحاب هذه الآراء ذريعة لما يفعلون، يحدث هذا كله بدعوى التقدم والتنوير.

وفي الجانب الآخر، فإن بعضهم الآخر يخرج بالدين عن الوسطية والاعتدال والتوازن، ويكفرون الحكام ويجهّلون العلماء، ويلجأون إلى العنف والغلو لتوجيه الحياة في المجتمع وفق نظرتهم الخاصة، ويريدون أن تتحول وسائل الإعلام إلى أجهزة كهنوتية، وهناك فئات أخرى منجرفة، تلهث وراء الثراء السريع بشتى الأساليب بغض النظر عن مشروعيتها، إضافة إلى هؤلاء المفسدين بالنفاق تارة والتضليل تارة أخرى، فيصورون العمل غير الصالح بالصلاح، وغير الحكيم بالحكمة، ويبررون الأخطاء، ويدفعون الناس إلى مستنقع الانحراف والفساد، فالنشاط الإعلامي ليس مشروعاً تجارياً، ولكنه عمل يسمو إلى غايات أرفع وأهداف أنبل، إنه يستهدف بناء الإنسان الذي كرّمه الله وميّزه على سائر الخلق.

لقد آن الأوان للرجوع إلى الحق وربط النشاط الإعلامي بمرجعية الأمة مع المرونة في الفكر، وهذا يعني عدم وضع قيود على وسائل الإعلام، وعدم إطلاق سراحها بشكل جامح من دون ضابط أو رابط.

وفي ضوء ذلك، فإنه لا يجوز لمنابر الفكر وقنوات الاتصال ووسائل الإعلام أن يعلو صوتها فوق صوت الحق، وتعمل على التشكيك في الحقائق التاريخية والقيم الدينية والمعطيات الثقافية الراسخة، فلا يجوز لها تزيين الشذوذ الجنسي، أو إطلاق العلاقة بين الرجل والمرأة من دون ضوابط، كما هو الحال في وسائل الاتصال الغربية التي تنهج هذا النهج، ولا يجوز لها أن تشكك في آيات القرآن الكريم وأحكامه المتفق عليها.

إنه منهج الوسطية والتعادلية والانسجام بين مطالب الإنسان وحاجاته، وتحقيق التوازن بين الحاكم والمحكوم، والحفاظ على حقوق الناس واحترام مشاعرهم والتعامل مع فطرتهم، وهي فلسفة تحكمها الأخلاقيات التي ارتضتها الأمة، وأي خروج عن هذه القواعد هو خروج عن مرجعيتها وصفاتها، وهذه القواعد هي التي تحدد الإطار الأمثل لحرية الممارسة الإعلامية وحرية تملك وسائل الإعلام، والضوابط التي تحكم المواد التي تبثها هذه الوسائل لأن نجاح الخطط الإعلامية لن يتحقق إلا إذا انطلق من هذه الثوابت حتى لا تذهب هذه الأعمال مكاء وتصدية من دون مشاركة جماهيرية فاعلة لأن النشاط الإعلامي، إذا انسجم وروح الأمة فإن الجماهير سوف تنجذب إليه بالفطرة وهي سعيدة راضية، وسوف يظل لمنابر الفكر وقنوات الاتصال الحرية لكي تعمل وتجتهد وتبحث وتبدع وتضيف وتسهم في إثراء الحياة الفكرية والثقافية في الوطن، وهذا هو أمثل الطرق لصياغة شكل أسلوب متوازن في المعالجات الإعلامية وذلك من خلال:

١ ـ عدم إساءة استخدام هذا الحرية ضد الآخرين، أفراداً أو جماعات، حكومات أو منظمات.

٢ ـ منع الاستغلال والاحتكار والانفلات بكل أشكله وألوانه.

٣ ـ إتاحة حق الاتصال وحرية النشر والتعبير للجميع، مؤيدين ومعارضين بصورة متوازنة.

٤ ـ الأخذ بكل أسباب التقدم لتطوير العمل في المؤسسات الإعلامية وتجديد نشاطها وفق أحدث المعطيات العلمية والتكنولوجية لكي تواكب وسائل الاتصال الدولية القوية والمسيطرة على الساحة الدولية.

٥ ـ تحقيق العدالة وتكافؤ الفرص لجميع الإعلاميين في القول والتعبير بعيداً عن كل ألوان التحيز والتعصب والظلم والاعتداء ●

غياب الحرية في كثير من منابر الفكر وأدوات التعبير هو أكبر معاول التخلف



إعـلام

صحافة الحوادث
أدوات بناء أم معاول هدم؟!

بقلم: صلاح عبدالكريم عقيل أحمد

صار عالم اليوم بفضل وسائل الاتصالات الحديثة قرية صغيرة ولم يعد أي أحد في أي مكان بالعالم بمنأى عما يدور حوله ومن ثمَّ فقد أصبح للكلمة دورها وللصورة تأثيرها وتعتبر الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى من أهم مراكز التأثير على اتخاذ القرار، وقديماً قال ابن خلدون في مقدمته: «إعلم أن السيف والقلم كليهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره، إلا أن الحاجة في أول الدولة إلى السيف - مادام أهلها في تمهيد أمرهم - أشد من الحاجة إلى صاحب القلم لأن القلم في تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم السلطاني والسيف شريك في المعونة. كذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها؟ وأما في وسط الدول فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف لأنه قد تمهد أمره ولم يبق همه إلا في تحصيل الثمرات من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الأحكام والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة إلى تصريفه وتكون السيوف مهملة في أغمادها إلا إذا أنابت نائبة أو دعيت إلى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة إليها فيكون أرباب القلم في هذه الحال أوسع جاهاً وأعلى رتبة وأعظم نعمة وثروة وأقرب إلى السلطان مجلساً وأكثر إليه تردداً وفي خلواته يحيون لأن آلة القلم حينئذ يستظهر بها السلطان ويستعين بها على تحصيل ثمرات ملكه والنظر إلى أحكامه وتثقيف أطرافه والمباهاة بأحواله...».

هذا هو جزء من دور القلم في صناعة القرار وبناء الدول والكلمة التي هي نتاج القلم قد تأتي بزعيم إلى قمة الحكم وقد تسقط بآخر فتنزع الحكم منه - بإذن الله طبعاً - ولكن بعد هذه المقدمة والتي قد أكون أطلت فيها فإن الذي يهمني في مقالتي هذه هو كلمة من نوع خاص ظهرت وترعرعت في الآونة الأخيرة وبفضل الثورة المعلوماتية الحديثة كان للدول العربية والإسلامية نصيب منها وصار لها صحفها ووسائلها التي تهتم بها ألا وهي صحافة الحوادث والجرائم.



الغرب ونحن والصحافة

لو قلت إن الغرب يكيد لنا ويدبر لأصبح قولي هذا بالياً، ولكن الحقيقة أن أعداء الإسلام يخيطون، والمسلمون يلبسون، وهم يطرقون الدفوف. ونحن نرقص على طرقهم وما عاد الكثير من المسلمين يميز بين الغث والسمين، ولعل من أبرز ما خاطه لنا الأعداء هو فكرهم وثقافتهم وقد غدونا نسير وراءهم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال صلى الله عليه وسلم: ومن غيرهم».

والذي يهمنا في مقالتي هذه هو صحافة الحوادث والتي لم تقتصر على عدد من الصفحات في بعض الصحف، وإنما تعدت ذلك إلى أن أصبح لها صحف مخصصة والذي أود الحديث عنه في هذا المجال، هو كيف تبرز تلك الصحف الجرائم والحوادث وهل تنشر من وراء ذلك علاج الجريمة في مجتمعاتنا أم أن الأمر يقتصر على العائد من وراء ذلك. إنه من الملاحظ أن معظم هذه الصحف تلهث وراء العائد المادي.

والحق يُقال إن الأغلبية العظمى من صحف المملكة العربية السعودية لا تقوم بنشر معظم الجرائم وإن

نشرت فلا تلجأ إلى إثارة الغرائز، وإنما يتم التركيز على العقاب أو الجزاء الذي يتلقاه المجرم ويتمثل ذلك في بيان وزارة الداخلية، والذي يوضح أن الجزاء قد تم وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية من قصاص أو قطع يد السارق أو غير ذلك من الأحكام الشرعية.

أما في الكثير من البلدان الإسلامية فنجد معظم الصحف التي تكتب في الجريمة تقوم بنشر الجريمة تفصيلياً وقد تزيد الصحيفة من جانبها بعض كلمات الإثارة من أجل جذب القارئ إليها، وإذا نظرنا إلى العقاب أو الجزاء الواقع على المجرمين نجد عدم التركيز عليه من قبل الصحيفة وقد لا تذكر هذه الصحف الجزاء أو يكون الجزاء أصلاً غير موافق لأحكام الشريعة الإسلامية، ومن ثمَّ فهو غير رادع طبقاً للأحكام والقوانين التي تطبق في تلك البلاد ومن ثمَّ نجد الكثير من الجرائم المتكررة التي تتخذ ظواهر في تلك البلاد. بل نجد الكثير من الجرائم التي ترتكب، وعند سؤال مرتكبيها يبررون ذلك بأنهم قرأوا عن مثل جريمتهم في بعض الجرائم التي تنشر في الصحف أو شاهدوها فيلماً يجسد هذه النوعية من الصحف أو المجلات، والنتيجة زيادة نسبة الجريمة في تلك البلاد، فبدلاً من أن تكون تلك الصحف وسائل للبناء، أصبحت بوعي أو من دون وعي معاول هدم للشباب والمجتمعات في البلاد الإسلامية، بل الأدهى والأمر هو عندما تقوم تلك الصحف بنشر جرائم وحوادث ارتكبت في بلاد غير إسلامية، وتقوم تلك الصحف بنشر تفاصيل الجريمة بكل دقة مع إضافة مادة الإثارة إلى الخبر الصحفي من أجل جذب انتباه القارئ، وزيادة عدد مبيعات تلك الصحيفة ولعل الأخطر في ذلك كله هو «مانشيت» أو عنوان الخبر الصحفي المتعلق بجريمة ما أو حادثة ما، حيث يركز على الإثارة أكثر من التركيز على المضمون، ونحن هنا نركز على أنه في شريعتنا الغراء شرع الله القصاص من أجل الحياة (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) البقرة: ١٧٩.

وصدق ربنا عز وجل فإنه في الكثير من البلاد التي لا تطبق حكم القصاص نجد انتشار ظاهرة الأخذ بالثأر وقد يُلاحظ أن أهل القتيل يصرون على قتل أفضل عنصر في عائلة القاتل حتى ولو لم يكن هو القاتل، وذلك انتقاماً من عائلة القاتل وبذلك يفقد المجتمع عنصراً فعالاً فيه ويظل القاتل الحقيقي حراً طليقاً ومن ثم فقد يصبح المجتمع ميتاً لتنتشر فيه الفوضوية هذا على سبيل المثال لا الحصر.

إن الشريعة الإسلامية جاءت بالحدود في أضيق السبل وطبقاً لشروط معينة يجب توافرها في كل حد عندما تقطع يد السارق سوف يصبح عبرة لغيره أولاً وخصوصاً عند نشر ذلك في الصحف أو حتى عند مرور السارق بين قرنائه ومن ثم فإنه يُصبح عبرة، وسوف يرتدع غيره وتصبح تلك اليد يداً بناءة بدلاً من كونها يداً للهدم.

وكذلك الذي أود الإشارة إليه هنا هو جريمة الزنى والاغتصاب مع الفارق طبعاً بينهما نجد أن الصحف تتمعن في وصف تلك الجرائم لدرجة أن القارئ قد يحرك ريقه في أثناء قراءة تلك الأخبار في حين إذا نظرنا إلى العقاب، وجدناه ضئيلاً قياساً للجريمة التي ارتكبها وقد يفلت الجاني من العقاب لعدم توافر أدلة الاتهام ضده أو يجد من يدافع عن هؤلاء الجناة من خلال ثغرات قانونية ينفذون بها إلى تخفيف الحكم أو إن شئت فقل نفي التهمة نهائياً عن الجاني.

أما الشريعة الغراء فمعلوم طبعاً حكم الزاني سواء كان محصناً أم غير محصن من رجم أو جلد هذا مع توافر القرائن من أربعة شهود أو إقرار الزاني أو دليل من حمل وغيره وهذه طبعاً تطبق في أضيق الحدود حتى لا تعطى الفرصة لضعاف النفوس للنيل من الشرفاء في المجتمعات الإسلامية. والذي نركز عليه هنا هو التنفيذ الصادر ضد الجاني، فإنه طبقاً للشريعة الإسلامية نجد أنه يتم تنفيذ حكم القصاص في ميدان عام، ويشهد تنفيذ الحكم طائفة من المسلمين وبذلك يرى هؤلاء تنفيذ الحكم وقد لا يعرفون الجريمة أساساً فيتساءلون بينهم ومن ثمَّ يتولد لديهم رادع وزاجر عن ارتكاب مثل تلك الجريمة فتحيا المجتمعات آمنة مطمئنة وصدق الله العظيم حيث يقول: (... وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين...) النور:٢.

وعلى هذا فلابد من وقفة محاسبة مع تلك الصحف وهل تدخل البيوت ليقرأها الكبار والصغار أم يجب غربلتها ليُعلم الغث من السمين منها، ولابد من تهذيب لمثل تلك الصحف حتى تكون أداة بناء لا معاول هدم في المجتمعات، ورحم الله الدكتور مصطفى السباعي حيث يقول: «الذين يفتعلون الأزمات الجنسية بإثارتها في أدبهم ثم يزعمون أنهم مضطرون للكتابة في أدب الجنس إرضاء لرغبات الشباب والفتيات وحلاً لمشكلاتهم هم أشد خطراً على الإنسانية ممن يفتعلون الأزمات الحربية ثم يزعمون أنهم إنما يتسلحون للدفاع لا للهجوم؟ فلماذا نلعن هؤلاء ونسكت عن أولئك؟ ولماذا نصف هؤلاء بالمجرمين ونصف أولئك بالأدباء التقدميين؟!

ومن ثم يجب أن توجه كل طاقات وإمكانات المجتمعات لتربية وتوجيه الأجيال لا لإثارة الغرائز وتشتيت القوى والأفكار، لأنه كما قال الدكتور مصطفى السباعي: «حين تعمل التربية على إنشاء جيل يقوم بواجبه سينشأ هذا الجيل على أن ينسى نفسه ويذكر أمته وحين تعمل التربية على إنشاء جيل يشبع رغباته سينشأ هذا الجيل على أن يذكر نفسه وينسى أمته».

ولذلك فإنه يوم أن تتحول الجريمة بإذاعتها ونشرها إلى مادة للإثارة وغرس لهيب الشهوة لدى الشباب والفتيات، فعلينا أن نقر عليهم أننا مع المبادئ الأخلاقية والعلمية، من حيث المعالجة السليمة للجريمة، ولكننا ضد الأهواء لأنه كما قال الدكتور: «إن الشباب الذي يعرف كيف يضبط شهواته يعرف كيف يحقق انتصاراته؟، والجيل الذي يرخي لشهواته العنان لن يستطيع الصبر طويلاً في معارك التحرير والبنيان».

وعفواً إن كنت أسرد كثيراً من كلمات الدكتور مصطفى السباعي في مقالتي هذه فلأنني وجدتها كلمات من ذهب وأختم مقالتي بهذه الكلمة للدكتور السباعي يرحمه الله: «ليسأل التاريخ هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون النهوض بأمتنا ولا ينفكون عن تحطيم كيان الأسرة عندنا: هل انهارت أقوى الأمم حضارة في التاريخ إلا حين سادت فيها مثل آرائهم الجنسية وفلسفتهم في قضية المرأة».

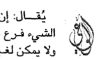
وقد أكون ركزت على قضايا الجنس أكثر من غيرها ربما لانتشارها وشيوعها ولأبيِّن أن ديننا الحنيف قد عالج المشكلات الجنسية بضبطها وتهذيبها ولم يرخ العنان لإثارتها فكان الأمر من الله عز وجل بالصيام، وغض البصر عن كل ما يثير الشهوة، فيصير الإنسان إنساناً كما أراد له الله لا حيواناً بهيمياً كما يريد له شيطانه ●



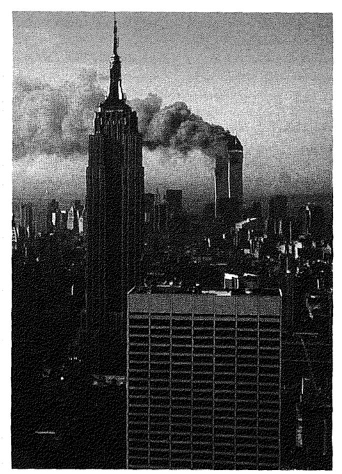


الخطاب الإسلامي المعاصر ودوره في تأكيد براءة الإسلام من الإرهاب


أ.د.مصطفى محمد عرجاوي - أستاذ الفقه المقارن والسياسة الشرعية. كلية الشريعة. جامعة الكويت



يُقـال: إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولا يمكن لغير المسلمين الحكم على الإسلام إلا بعد التعرف إلى منهجيته، وأحكامه معرفة تسمح بالحكم أو الفصل في موضوع الإرهاب، لأن بعض المسلمين - للأسف - لا يجهدون أنفسهم للتعرف إلى أحكام الإسلام أو حتى لمجرد التعرف إلى مبادئه وتشريعاته الرشيدة، لأن الإسلام هو الدين الخاتم الذي جاء بأمثل النظم للمحافظة على كرامة الإنسان، وحفظ حياته، فدمه مصان، كما جاء في الحديث: «لا يطل دم في الإسلام، إما القصاص، وإما الدية»، أي لا يهدر أي دم في الإسلام، فمن يعرف قدر ومقدار حرص الإسلام على حفظ الحياة الإنسانية، وما وضعه من نظم وتشريعات في هذا الصدد، لقال بلسان مبين: إن الإسلام بريء من كل التهم التي تلصق به - بغير حق - وبراءته من الإرهاب، في غاية الوضوح لكل باحث منصف، أو قارئ محايد، أو مطلع حصيف...



فالإسلام حجة على المسلمين بأحكامه وتشريعاته، فمن عرفه عرف الحق، لأن من يعرف الحق يعرف رجاله، أما الأدعياء من المغرضين أو المنحرفين، فلا علاقة للإسلام بهم أو بفعلهم سوى من حيث رفضه ودينه، بل المعاقبة عليه عند الاقتضاء.

تهم الإرهاب والتطرف

ترتبط تهمة الإرهاب بكل شخص يتُّهمُ أيضاً بالتصرف في سلوكه أو معتقداته، بغض النظر عن عقيدته، أو مذهبه، أو جنسه، أو جنسيته، لكن للأسف الشديد أصبح الإرهاب بسبب السيطرة العلمانية والصهيونية على أغلب وسائل الإعلام، ومعظم مصادره، يربط بين الإرهاب والمسلمين - بغير سند - لمجرد الكيد للإسلام، ومحاربته بكل الوسائل للحيلولة دون انتشاره، ولترهيب المجتمعات منه، لمجرد التعرف المغلوط إليه، من خلال هذه الأبواق العميلة، أو المضللة، وذلك بادعاء أن الإسلام قد أعلن الحرب على العالم، وأن المتطرفين يتهمون غير المسلمين بالكفر، ولا علاج

لكفر سوى الجهاد، أو دفع الجزية، الجهاد يعني الحرب بكل وسيلة عند غلاة المتطرفين، فكأن الإرهاب هو وسيلة المتطرفين في نشر الإسلام، وتتم عملية الربط هذه بصورة مُريبة، ومن خلال صورة شاذة أو منحرفة تقع أحياناً، أو ربما نادراً، في بعض المجتمعات المسلمة اسماً لا حقيقة ورسماً، وهي قد تكون مجتمعات بدائية جاهلة بأحكام الإسلام، بل تصرفاتها قد تكون مرفوضة تماماً، وتتعارض بالكلية مع المبادئ والقيم الأصيلة للإسلام، ومع هذا تؤخذ هذه الصورة المنفِّرة أو المنحرفة، وينفخ فيها، وتبرز على أنها تعبِّر عن حقيقة الإسلام وهو منها براء، براءة تامة، بل يدينها ويرفضها، ويعاقب عليها أحياناً، لكن هي الدعاية المغرضة، من خلال «إمبراطورية» الإعلام الصهيوني الذي جعل التطرف قرين الإرهاب، وهما وجهان لعملة واحدة ـ في نظرهم ـ ولديانة وحيدة هي الإسلام، حقداً عليه، وظلماً له، بلا أي سند أو شبهة مقبولة.

جريمة بعض المسلمين في الإسلام

إذا كان الإسلام هو دين الرحمة، ودين السلام، ودين يحمي الحياة والكرامة الإنسانية، ويعلي من شأن الإنسانية، لدرجة أنه جعل من قَتْل أي نفس بغير وجه حق، هو بمثابة قتل للناس جميعاً، قال تعالى: (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) المائدة:٣٢، وقال سبحانه وتعالى: (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) البقرة:١٧٩، وقال عز وجل: (ولقد كرَّمنا بني آدم) الإسراء:٧٠، فالكرامة مصانة في الإسلام ومعها الحياة الآمنة المستقرة، لكل من يخضع للرعوية الإسلامية بصرف النظر عن جنسه أو نوعه أو جنسيته أو ديانته، فلا تفرقة عنصرية بين البشر لسبب العقيدة ـ الفاسدة ـ بل معاملة كريمة للجميع، لكن بعض المنحرفين من

كل إنسان عاقل لا يتسرع في إصدار حكمه من دون دراسة سابقة

المسلمين ـ كشأن غيرهم ـ لهم هنات أو شطحات، أو مسالك لا علاقة لها بالإسلام، لا من قريب ولا من بعيد، ومع هذا يحسبون عليه، وتنسب الجرائم البشعة التي تقع منهم عليه، ظلماً وبهتاناً، ويتلقفها بعض المغرضين وينفثون بها ومن خلالها سمومهم حول الإسلام كعقيدة أو شريعة، بهدف تنفير الناس منه، أو إثارة القلاقل في وجه معتنقيه، وهذا بسبب تقصير أو جرم بعض المحسوبين على الإسلام من أبناء جلدتنا أو غيرهم، والإسلام منهم براء.

ترويج فكرة الإرهاب

إن ربط فكرة الإرهاب بالمسلمين، نشأت للأسف في بعض البلاد الإسلامية التي نسبت في غمرة محاربتها لبعض الغلاة أو المتطرفين أن تطلق عليهم مسماهم الحقيقي كمجرمين أو معتدين أو منحرفين... وإنما أطلقت عليهم لفظ الإرهابيين، ولم تطلقه سوى على الجماعات التي تحارب باسم الدين، أو باسم فكرة معينة، ظاهرها الذود عن الإسلام، وباطنها الوصول إلى سدة السلطة، أو تحقيق بعض المآرب الشخصية، أو الطائفية أو غيرها من الأغراض غير المشروعة ـ أحياناً ـ وبوسائل لا يقبلها الإسلام، لأنها تسيء إليه، وأطلقت العنان للأقلام المأجورة

ربط فكرة الإرهاب بالمسلمين، نشأت للأسف في بعض البلاد الإسلامية

«والأفلام السينمائية» المشبوهة، والمسرحيات والمسلسلات العلمانية الموجهة.... لتصب كلها في اتجاه ربط التطرف، والعنف، والإرهاب بما عرف في السبعينيات والثمانينيات من القرن المنصرم بالجماعات الإسلامية، بكل توجهاتها وأشكالها، بغض النظر عن صدق أو كذب ما يُوَجَّه إليها من اتهامات أو عمليات مسلَّحة ضد السلطة، ومن دون أدنى تمحيص للوقائع في معظم الأحيان، لذلك نقل الغرب والشرق، بل كل دول العالم مصطلح الإرهاب عن هذه الحكومات، وقام بإلصاقه بالملتزمين من المسلمين، بصرف النظر عن سلوكياتهم، وتلك جريمة اصطنعتها بعض الحكومات العميلة، أو المتسلطة، لحماية نظامها المرفوض حتى من الدول التي تحميها، لافتقاده لأبسط عناصر «الديموقراطية» الحقيقية، ولتوافر الحد الأدنى من الحقوق أو الكرامة للمواطن أو المقيم على ثراها، لأنها قفزت إلى الحكم على أسنة الرماح، في انقلاب عسكري، أو تزوير لإرادة الجماهير، وهي تعلم بهذا علم اليقين، ولذلك تحارب بشراسة من يقف في طريقها، أو يجرؤ على أن ينبث بكلمة حق في مواجهتها، ولا تعرف في تعاملها سوى لغة الحديد والنار والإرهاب الحقيقي، وعندما يقوم بمقاومتها بعض المخلصين أو الشرفاء، يتم تصفيتهم جسدياً أو اتهامهم بالتهمة الجاهزة دائماً، ألا وهي الإرهاب.

من هنا تعوَّد العالم على هذه التسمية، المنتشرة في بعض بقاع عالمنا الإسلامي، وهي في الواقع كلمة يمكن أن توصف بها تصرفات من قام بتصديرها، أو إلصاقها ظلماً وبهتاناً ببعض المخلصين من المسلمين، أو المناضلين للدفاع عن الحق مع استعداد للتضحية بالنفس والمال، بلا رغبة في سلطة أو تسلط، وإنما رغبة في إزاحة الظلم ورفعه عن كاهل إخوانهم في بعض هذه البلاد الإسلامية الموبوءة ببعض النظم العلمانية المنحرفة، ومن كان من هؤلاء يبتغي مجرد مناوءة السلطة، أو يطمح لمصلحة شخصية أو عصبية معينة... فلا علاقة له بالدين الحنيف، دين الإيثار والتضحية، والفداء، فكان من الواجب أن يطلق على هؤلاء الخوارج أو المتآمرين الصفة الحقيقية الجديرة بهم... لكن معظم الحكومات تصم آذانها عن دعوة الحق، وتتهم الجميع بالإرهاب، بحق حيناً أو بغير حق في معظم الأحيان ولذلك راجت هذه الفكرة المنحرفة وتم لصقها بالزور والبهتان ببعض المسلمين، والسبب بعض حكام المسلمين المتسلطين أو

المنحرفين.

الإسلام عدو الإرهاب

كل إنسان عاقل لا يتسرع في إصدار حكمه من دون دراسة سابقة، أو تمعن في فحوى القضية التي يعرض لها، لأن من أسباب الوقوع في الخطأ، التسرع في الحكم، ومن يتمعن في المبادئ العامة للشريعة الإسلامية، يمكنه أن يقرر ـ وبوضوح ـ وبلا أدنى تردد، أن الإسلام هو العدو الأول للإرهاب، لأن المسلم هو من سلم المسلمون من لسانه ويده، كما علمنا المصطفى صلى الله عليه وسلم، وليس المسلم بالطعان أو اللعَّان أو الخائن أو الغدار.... لأن الإسلام يبغض كل هذه المسالك الخسيسة، بل يحاربها بضراوة، لأنه دين الرحمة، فالراحمون يرحمهم الرحمان، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الرحمة: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، ورحمته صلوات الله وسلامه عليه امتدت لتشمل الحيوان والنبات بل كل شؤون الحياة، ألم يشر صلوات الله وسلامه عليه إلى أن رجلاً دخل الجنة في كلب سقاه، وامرأة دخلت النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش ـ حشرات ـ الأرض؟

ألم يدع صلوات الله وسلامه عليه إلى عمارة الكون وإحياء الموات من الأرض، فقال صلى الله عليه وسلم: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له»(١)، وروي عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عمَّر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها»(٢)، وروي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحيا أرضاً ميتة فله فيها أجر، وما أكلت العوافي(٣) منها فهو له صدقة»(٤).

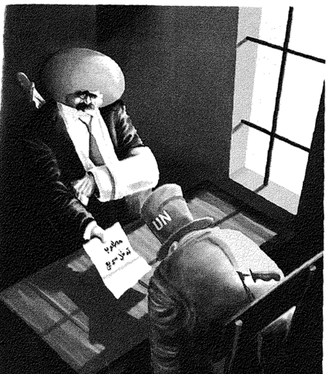
هذه الأحاديث النبوية الشريفة، تؤكد حرص الإسلام على عمارة الكون، ودعوته المتجددة إلى بعث الحياة، ونشر العمران في كل بقاع الأرض، وعدم ترك الأراضي الخربة بلا عمران، وإن كانت بعيدة عنه، تشجيعاً لكل من يرغب في الكسب الحلال أن يجاهد في تعمير الأرض، وعندما يقوم بتعميرها وإحيائها يتملكها مكافأة له على هذا الجهد الخيِّر، وحضاً لغيره على محاكاته لتزداد رقعة التعمير وينتشر الخير في ربوع الأرض.

هذا هو نهج الإسلام، دين التعمير والبناء، والعدو الأول للتدمير والإفساد، لأنه يعاقب كل من يسعى لإفساد الأرض، ويحارب كل من ينشر الرعب أو يخرج على أحياناً ـ عند الاقتضاء، حرصاً على استقرار الأمن والأمان في المجتمعات الإسلامية وغيرها بلا أدنى تمييز بين البشر.

الإسلام دين السلام

من أسماء المولى جل في علاه السلام، وتحية المسلمين السلام، والجنة تسمَّى دار السلام، والمسلم ـ بحق، هو من سلم الناس من لسانه ويده، سواء أكانوا من المسلمين أم من غيرهم فلا عدوان إلا على الظالمين، ولا محاربة إلا للمجرمين والمنحرفين، بل حتى من يحارب الإسلام صراحة، ويطلق نار عداوة من حوله، إن جنح إلى السلم والسلام، فعلى المسلم أن يستجيب إلى هذه الدعوة، بلا أدنى تردد، وذلك هو توجيه رب العالمين، قال تعالى: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) الأنفال:٦١.

لقد جاءت هذه الآية بعد دعوته سبحانه وتعالى إلى الأخذ بأسباب القوة، لإرهاب أعداء الله تعالى، هؤلاء الذين يتربصون بالمؤمنين الدوائر، أو يحرصون على إيذائهم أو النيل منهم، فقال تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) الأنفال:٦٠، فمع توافر القوة الساحقة، والقدرات العسكرية الصاعقة، يدعونا الإسلام إلى السير في ركاب السلام، والاستجابة إلى دعوته وتقديمها على غيرها، من منطق القوة



الإسلام هو دين الرحمة، ودين السلام، ودين يحمي الحياة والكرامة الإنسانية

والتمكن، لأن هذا التوجه النبيل يتماشى مع رسالته السامية، لأن الإسلام هو دين السلام، وليس علينا سوى ترجمة هذا التشريع الحكيم والدستور الكريم، ليتعرف العالم أجمع إلى النهج القويم للإسلام في حالي السلم والحرب، وليتأكد من خلال النصوص البينات على مدى حرصه وحمايته للحياة، ومعاداته ومحاربته للإرهاب بكل صوره وألوانه، ورفضه لكل وسيلة غير مشروعة، يتوصل بها إلى هدف مشروع، لأن الغاية عنده لا تبرر الوسيلة، فلابد من مشروعية الغاية وما يتوصل به إليها، وعندئذ يعلم غير المسلمين حقيقة الإسلام، ويتأكدون تماماً من براءته من كل مظاهر الإرهاب، لأنه دين يحمي الحياة الإنسانية، ويعلي من كرامة الإنسان في كل زمان ومكان، بغض النظر عن جنسه أو جنسيته أو لغته أو ديانته، لأنه أيضاً خاتم الأديان، ولذلك يحمل لواء السلام، ويتسمى بالإسلام، ليحقق الأمن والأمان والاستقرار، في كل ربوع الأرض، والله من وراء القصد

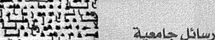
الهوامش:

(١، ٢) صحيح البخاري مع فتح الباري ٢٣/٥.

(٣) *العوافي*: جمع عافي، وهو كل طالب فضل أو رزق من إنسان أو بهيمة أو طائر، قال أبو عبيدة: العافية من السباع والطير والناس، وكل شيء يعتافه. القاموس المحيط ٣٦٦/٤، والأموال لأبي عبيد ـ بتحقيق محمد خليل الهراس ص ٣٦٣.

(٤) المسند للإمام أحمد ٣٤٠/٣.





التوجيه الإعرابي في الدليل الفقهي

إعداد: عبدالله بدران

ثمة عدد قليل من الدراسات التي تناولت الارتباط النحوي بالفقه الإسلامي، ومنها هذه الرسالة العلمية التي جاءت تحت عنوان: «التوجيه الإعرابي في الدليل الفقهي... حروف الجر والعطف نموذجاً»، التي نال بها الطالب «أيوب صالح هارون» درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في جامعة الكويت، وأشرف عليها الأستاذ الدكتور سعد مصلوح.

وتعالج هذه الرسالة العلمية جانباً مهماً من الفقه الإسلامي يتصل بالدليل واستنباط الحكم الشرعي، على نحو يقوم على فقه السنة النحوية للدليل، واختلاف الأحكام باختلاف التوجيه والتأويل.

وهذا البحث النحوي - على خطورته - لايزال بحاجة إلى دراسة علمية تعرض الأدلة الفقهية التي اعتمد فيها على القواعد النحوية والإعراب، لمناقشتها ومن ثم محاورة النحاة في أقوالهم، وصولاً إلى الراجح نحواً، ثم النظر إلى موافقته للدليل الفقهي من عدمه، والعمل على توجيهه، ليوائم الرأي الفقهي الراجح ويناصره.

وهدف هذا البحث العلمي من بين أمور أخرى إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

- هل العلم بالنحو شرط لاستنباط الحكم الشرعي الفقهي والترجيح والإفتاء؟
- هل الأرجح نحواً، هو الراجح فقهاً؟ أي هل الأرجحية النحوية مرتبطة بالأرجحية الفقهية أو لا؟
- ما الأصول الفقهية التي تحكم الترجيح النحوي في الدليل الفقهي لاستنباط الحكم؟
- ما العمل عند تعارض دليل نحوي بدليل فقهي راجح؟

العلاقة بين النحو والفقه

جاءت الرسالة العلمية في مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة، وتناول الباحث في الفصل الأول العلاقة بين النحو والفقه، إذ برهن على العلاقة العضوية والتأثير المتبادل بين هذين العلمين، وكيف يقضي كل منهما إلى الآخر؟ إضافة إلى أهمية الحروف عند الفقهاء، وكيف يتوصل بالإعراب إلى فهم مراد المخاطب وإلى صحيح الأحكام ومقاصد الشريعة في كثير من أحايينه؟

واستعرض الباحث في الفصل الثاني «حروف الجر في الدليل الفقهي» مستهلاً إياه بذكر معنى كل حرف وأقوال النحاة، ثم ذكر اختلاف الفقهاء في الحكم الشرعي الذي كان هذا الحرف هو السبب أو كان مشاركاً في الخلاف فيه. وفي الفصل الثالث والأخير تناول الباحث الحروف التالية:

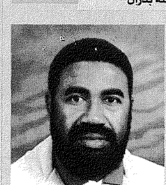
الواو، الفاء، ثم، أو، إما، مستعرضاً أيضاً معنى كل حرف وأقوال النحاة ثم ذكر اختلاف الفقهاء في الحكم الشرعي الذي كان هذا الحرف هو السبب أو إذا كان مشاركاً في الخلاف فيه، ثم تحرير المسألة النحوية وصولاً إلى توجيهه ليوائم الرأي الراجح فقهياً.

النحو والإعراب والعلوم الإسلامية

أما أهم ما توصلت إليه الأطروحة، فيمكن إيجازه في النقاط التالية:

- ضرورة ربط النحو والإعراب بالعلوم الإسلامية الأخرى، والنأي عن التعقيدات والتأويلات المتعسفة انتصاراً للرأي النحوي، حتى يعود الدرس النحوي إلى مكانته الطبيعية في قلوب جميع الباحثين.

إن حروف المعنى تجيء للمعنى الأصلي الذي وضع لها أساساً، ولا مانع أن تجيء كذلك لمعان أخرى، وهذه الحقيقة تأكدت من خلال دراسة عدد من الحروف منها حرف «الباء» حيث تجيء للصلة وللتبعيض. فإذا كان جمهور النحاة يرون أن «الباء» في قوله تعالى: (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) صلة، فإن الباحث توصل إلى أنها في الآية نفسها للتبعيض ليس غير، خلافاً لما عليه الجمهور، وقد أفادت الدراسة بأن «الباء» تجيء للتبعيض ويؤكد ذلك أدلة واضحة من الكتاب والسنة، وبشهادة عدد من النحاة في القديم والحديث.



• «أيوب صالح هارون» •

- رجحت الأطروحة أن «من» تفيد الغايتين «المكانية والزمانية» خلافاً لما عليه جمهور النحاة الذين رفضوا بشدة أن تجيء لغير الغاية المكانية.
- وتوصل البحث إلى أن «في» تجيء حقيقة ومجازاً، الأمر الذي يؤكد المذهب الفقهي الذي يرى جواز إخراج الزكاة من الذمة، دون حصرها في العين.
- توصلت الأطروحة كذلك إلى أن «الواو» خلافاً لما عليه جمهور النحاة تفيد الترتيب على الحقيقة في بعض حالاتها. وقد أقر بذلك خلق من نحاة البصرة والكوفة والفقهاء، منهم الإمام الشافعي وابن قيم الجوزية. وحجتهم في ذلك الآيات والشواهد الشعرية والنثرية.
- تأكيد أهمية السياق الذي يُراد فيه الحرف، وضرورة اللجوء إليه لاستكشاف الترابط العضوي بينه وبين المعاني الخفية التي تحملها، مع ترجيح الرأي الكوفي الذي يرى قبول فكرة تعدد معاني الحروف، على أن يكون ذلك بمعونة من القرينة، لأن القول: إن لكل حرف وضعاً خاصاً به لا يمانع أن يفيد غير ذلك، إذا سمح السياق الذي ورد فيه. وهذا ما أكده الزجاجي غير مرة في كتابه «الايضاح في علل النحو».
- أكدت الأطروحة ضرورة التفريق بين آيات الأحكام والآيات التي لا تتضمن أي حكم شرعي، في معالجتنا وتقعيداتنا النحوية، لارتباط الأولى بالحقوق والعقود والعهود والمعاملات والجزاءات وغير ذلك، ولخلو الثانية من كل أولئك. فإذا كان القرآن الكريم معجزة خالدة في معناه ومبناه، فإن الحاجة إلى تدبر آياته التي تجمع بين الإعجاز والأحكام أشد.
- أكدت ضرورة قبول الرأي النحوي الذي يتفق والحكم الشرعي، وإن كان أقل حظاً وأندر انتصاراً، ومن فوائد هذا أن يبتعد الدرس النحوي عن التكلف والتعليلات المتعسفة، مع استبصار البعد الشرعي والفقهي في كل تقعيد أو حكم ندرسه أو نعممه. والعناية بضرورة ربط النحو والإعراب بشقيقاتهما من العلوم الإسلامية الأخرى، والنأي عن الانتصار لرأي نحو على حساب حكم فقهي أو شرعي مهما كانت قوته.



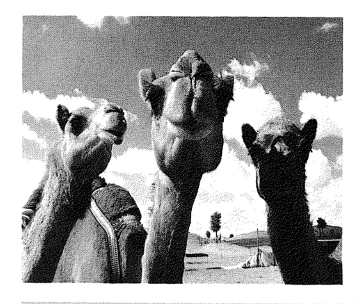
طب وتكنولوجيا



الاستعانة بالجمال لمكافحة الأمراض



قال الطبيب صباح جاسم: «في مجمع زايد لبحوث العلاج بالأعشاب والطب التقليدي في الإمارات العربية»: إن الأساليب التي تتبعها الجمال للبقاء معافاة في أصعب الظروف البيئية في العالم، يمكن أن تساعد الأطباء على اكتشاف أفضل الطرق لمحاربة الأمراض.



ويرى هذا العالم الإماراتي أن الجهاز المناعي لدى الجمال يختلف تماماً عن نظام المناعة عند البشر أو أي حيوان آخر من الثدييات. وكذلك فهو أكثر فاعلية، فالأضداد «الأجسام المضادة» عند الجمال أصغر وأقل تعقيداً من تلك الموجودة لدى البشر، ما يعني أنه يمكن أن تتوغل في النُّسُج والخلايا التي لا يمكن عادة الوصول إليها، وعليه تعد تلك الأضداد النوعية سلاحاً قوياً ضد الفيروسات بصفة خاصة.

وكذلك يمكن للجمال مقاومة الجفاف الذي قد يقتل أي حيوان آخر من الثدييات، فهي تخزن الماء في مجرى الدم، وتستغل الأطعمة الدهنية المخزنة في سنامها في تحمل الجوع، وتنتج أيضاً لبناً يظل طازجاً مدة أطول (ثلاثة أشهر) مقارنة بلبن الأبقار ولبن البشر ●

دوللي تثير تساؤلات حول الاستنساخ

كشف تقرير طبي بريطاني عن إصابة النعجة «دوللي» التي استنسخت في معهد «روسلين» بمدينة «أدنبرة»، العاصمة التاريخية لإقليم اسكتلندا - بالتهاب المفاصل، مع أن عمرها لا يزيد على خمسة أعوام ونصف العام. وأفاد التقرير - الذي أشارت إليه هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي» - أن الحال المرضية لدى «دوللي» ربما تعود إلى قصور في الجينات، لأن سيرورة الاستنساخ حدثت في وقت سابق لأوانها.

وقال أحد الخبراء: «إنها حال طارئة، ولكنها حدثت من قبل، إذ أصيب خروف في عمر خمسة أعوام ونصف العام بالتهاب المفاصل». وطالب البروفيسور «إيان ويلموت» «عضو فريق الأبحاث في معهد روسلين» بإجراء مزيد من الأبحاث لتُعرف آثار الاستنساخ في صحة الحيوان. ولكن الجماعات المهتمة بأحوال الحيوانات دعت علماء الاستنساخ إلى وقف جميع عملياتهم في هذا الشأن، لأن «الحال المرضية للنعجة «دوللي» تثبت أن الاستنساخ ضار بالحيوانات».

ويناقش العلماء حالياً علاقة الاستنساخ بإصابة النعجة «دوللي»، وبصفة عامة إنتاج حيوانات تعاني مشكلات صحية.

ويقولون: إذا كان ذلك صواباً، فإنه يطرح تساؤلات خطرة حول مستقبل أبحاث الاستنساخ وجدواها، وحول الحالات التي يمكن أن يلجؤوا إليها للتوصل إلى علاجات للأمراض! ●

الأرض استوردت الحياة من الفضاء!

قال علماء في وكالة أبحاث الفضاء الأميركية «ناسا»: إن علماء فلك أميركيين اكتشفوا للمرة الأولى جزيئات سكر في إحدى الشهب، ما يعد مؤشراً على أن هذا العنصر الأساسي للحياة على الأرض ربما جاء من الفضاء الخارجي.

وفي مقال نشر في مجلة «نيتشر»، وصف «جورج كوبر» «من ناسا» كيف أنه وجد جزيئات عدة بسيطة من السكر في شهابي «ماركيسون» و«موراي» بعد فترة طويلة من سقوطهما على الأرض ●

الواجب المنزلي عبر البريد الإلكتروني



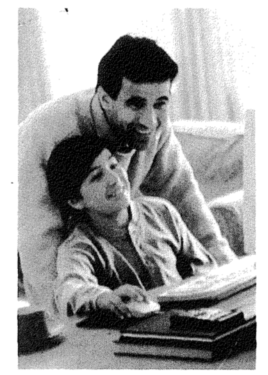
للمرة الأولى في بريطانيا، تتبنى إحدى بلديات جنوبي لندن نظاماً جديداً في التعليم، يشجع الطلبة على إرسال واجباتهم المنزلية إلى معلميهم بوساطة البريد الإلكتروني بدلاً من تسليمه باليد!.

وكانت هذه البلدية تشكو من تدن واضح في مستوى نتائج الامتحانات في مدارسها التي تصل إلى مئة، ومن سلبية التقارير التي يكتبها المشرفون على التعليم في كل زيارة يقومون بها لهذه المدارس، ما حدا بالمسؤولين إلى استدعاء شركة خاصة بالاستشارات التعليمية وطلبت منها إيجاد حلول للحاق بركب المدارس الأخرى.

وبعد دراسة طويلة ارتأت الشركة منح «٣٣» ألف طالب من هذه المدارس عناوين للبريد الإلكتروني، لا يمكن استخدامها إلا من قبلهم، أو من مدرسيهم أو رفاقهم في مدارسهم، ولتكون هذه العناوين وسيلتهم لتقديم الواجبات المنزلية بلا تلكؤ، أو أعذار.... من نوع نسيان الواجب المنزلي في البيت!.

أما الطلبة الذين لا يمتلكون حاسوباً في المنزل فإن الشركة أقامت لهم مقهى إنترنت داخل كل مدرسة، يستعملونه بعيداً عن ضوضاء الصفوف.

ويذكر أن هذه التكنولوجيا تستعمل في بعض المدارس الأميركية الخاصة، وأن بعض الطلبة هناك يضعون الحاسوب الشخصي المحمول في حقائبهم المدرسية، بدلاً من الكتب. ويأمل البريطانيون أن يصل كل طلبتهم إلى هذه المرحلة، وبخاصة بعد انتشار الحاسوب وتدني أسعاره، وحتى ذلك الحين فهم يدأبون على تشجيعهم على ارتياد مقاهي الإنترنت المجانية، التي يؤمل لها أن تعم كل المدارس خلال السنوات العشر المقبلة.



ولكن الاعتماد الكلي على الحاسوب والذي سيقوم بكل المهام يزيد من مخاوف تردي مستوى خط الكتابة اليدوية والتهجئة الصحيحة للكلمات ●

زيت الزيتون لسرطان الأمعاء

لقد ازداد أخيراً وعي الناس بأهمية زيت الزيتون، ومن ثمّ ازداد استعمال الناس له في معظم صنوف المأكولات. وفي السابق كان يظن أن فوائد زيت الزيتون تقتصر على أمراض القلب، ولكن صدرت دراسة حديثة في جامعة اكسفورد ببريطانيا أثبتت أن لزيت الزيتون منافع وقائية من أمراض أخرى، فهو يتفاعل في المعدة مع حمضها، مانعاً الإصابة بـ«سرطان المعي والمستقيم»، والذي يذهب ضحيته نحواً من «٢٠» ألف شخص سنوياً في بريطانيا وحدها، فهو من أكثر أمراض السرطان شيوعاً فيها بعد سرطان الرئة.

وقد أجريت مسبقاً في «أسبانيا» دراسة عن الفئران أشارت إلى أن زيت الزيتون يساعد على مكافحة سرطان المعي ●

عالم مصري يحوّل ماء السيول إلى ثلج

توصل الدكتور أحمد سالم «مدير مركز بحوث البترول بمصر» إلى مادتين لمجرد خلطهما بنسبة ضئيلة للغاية مع الماء يجعلانه يتحول إلى ثلج. ويبقى هذا الخليط المتجمد محتفظاً بقوامه الثلجي والمياه الموجودة فيه مدة تصل إلى مئة يوم.

ويقول د.سالم: بات ممكناً الآن منع إهدار مياه السيول وتجنب أخطارها بمعالجتها بهاتين المادتين لتتحول إلى قوام ثلجي وتجميدها لحين الطلب. وكذلك الحال بالنسبة لمياه الأمطار، الأمر الذي يمكن أن يقود إلى ثورة مائية في ظل ندرة المياه على المستوى العالمي.

ويذكر أن هاتين المادتين يمكن أن تؤديا دوراً مهماً في العمليات الزراعية المختلفة. فبإضافتهما إلى العناصر الغذائية اللازمة للنباتات، يتحول القوام الثلجي للمياه إلى سماد يمكن حقنه بالقرب من الأشجار والشجيرات المثمرة وغير المثمرة. مشيراً إلى أن حقن هذا المركب بجوار الأشجار سيمدها بحاجتها من الماء والغذاء مدة لا تقل عن ١٠٠ يوم.

والتجارب أثبتت إمكان إضافة مبيدات خاصة بسوسة النخيل الحمراء وثاقبات الحوليات والنيماتودا وغيرها من الأمراض، وأثبتت النتائج جودة هذه الوسيلة في القضاء على الآفات النباتية، إما لأن المبيد في صورته الثلجية «مع الماء والسماد الثلجي»، يبقى فاعلاً فترة طويلة «أكثر من ١٥ يوماً» تكفل القضاء التام على الحشرات ويرقاتها. ومن جهة أخرى، أثبتت النتائج العلمية عدم وجود مخلفات ضارة بالبيئة، ما يعد ثورة علمية في مجال الزراعة النظيفة أيضاً.

وأوضح د.سالم أن المادتين الجديدتين يمكن أن تؤديا أيضاً دوراً في نظم الري الحديثة، كالري بالرش أو التنقيط، وبخاصة في حال انقطاع مياه الري، إذ يمكن بهذه الطريقة الجديدة حماية الشجيرات من الموت عطشاً لوجود احتياطي جاهز من الماء المتجمد، مشيراً إلى أن الأنزيمات والبكتيريا تلعب دوراً في تحلل المركب المتجمد مع الماء ليمد النبات بحاجته منها وامتصاصها بالتدريج وبسهولة من دون إغراق، الأمر الذي يمكن أن يوفر ٧٠٪ من استهلاك المياه ●



دراسات لغوية

من قضايا الأسلوبية:

التحكم الإرادي والنفعي في تحديد دلالة بعض المفاهيم الإنسانية

بقلم: د. رفيق حسن الحليمي



تتميز لغتنا العربية - من بين لغات البشر - بأنها لغة الوضوح والصراحة، والقوة والخفة، والشدة والسرعة، تعلو أصواتها فتسمع، وتتضح معانيها فتفهم، وهي الابنة العزيزة لهذه الصحراء الممتدة على رقعة واسعة، ونبتتها الأصيلة، وغرسها اليانع، وثمرة من ثمارها، وحصاد من حصادها... تلقي عليها الشمس المشرقة المحرقة وهجها الشديد، وضوءها اللامع وسناها الباهر، وتهبّ عليها رياحها الجافة حيناً، وهواؤها النديّ حيناً آخر، فتكتسب قوة إلى قوتها، ومنعة إلى منعتها، وحصانة إلى حصانتها، فتراها صامدة باقية، خالدة مخلدة.

لغة الوضوح

انطبعت هذه اللغة بطابع الوضوح في المعنى والصراحة في القول، واتسمت دلالاتها باكتناز المعاني وإيجازها وخفتها وسهولتها، حتى لا يتعذر حملها عبر تلك الصحراء، وفوق رمالها المتحركة، ولم تعرف هذه اللغة من فنون القول ما يزيّف الحقائق، أو يطمس المعالم، أو يخفي أيّ أثر من آثارها، فما زالت هذه اللغة - أبد الدهر - لغة الوضوح، ولغة الصراحة.

ومن دلائل الوضوح وأماراته في هذه اللغة، ارتباط أكبر نسبة من مفرداتها بدلالة واحدة محددة، فلا يحتمل اللفظ الواحد أكثر من معنى واحد، وإن وجد شيء من ذلك - وهو قليل نادر - فهناك ما يسمّى «التغليب»، وهو يعني ترجيح أحد المعنيين على الآخر، يقتضيه سياق العبارة، وحتميّة المعنى، فلا يبقى مجال للشك، أو احتمال للالتباس أو الغموض.

وقد أطلق علماء اللغة على هذه الظاهرة «المشترك اللفظي والأضداد»، وهي مجموعة قليلة من المفردات، يحتمل اللفظ الواحد منها أكثر من معنى على سبيل «الاختلاف» مثل كلمة: عين (للإنسان، ولعين الماء، وللعين المبصرة، وللشيء ذاته، وللعين المؤجرة، وللجاسوس باعتباره عيناً ترى وتنقل)، أو على سبيل « التضاد » مثل كلمة: القُرْء (للحيض والطهر)، وكلمة: الجَوْن (للأسود والأبيض).

ورغم وجود هذه الظاهرة النادرة (١)، لم يترتب عليها إشكالات في الفهم، والتباس في المعنى، هذا بالنسبة إلى المفردات، وأما بالنسبة إلى التراكيب، وهو الأهم، فقد حرصت البلاغة العربية القديمة - كمطلب من مطالب البيان العربي الرفيع - على «وضوح الدلالة والدقة، سواء في أداء الفكرة أو في صوغ الخيال واهتمت بالتصرف الشديد في بناء الجمل والعبارات بتقديم بعض العناصر أو تأخيرها، وبالقصر أو الفصل والوصل، حتى تكون العبارة صورة صادقة لما في نفس المتكلم من المعاني وما في وجدانه من تصور وموسيقا»(٢)، وعندما احتكت اللغة العربية بغيرها من لغات البشر أثرت فيها وتأثرت بها، وهذه من المسلمات التي لا ينكرها أحد، ولكن تأثيرها في غيرها كان أكثر من تأثير غيرها فيها، فقد ظلت اللغة محافظة على هويتها وأصولها وأصالتها، ونتيجة لذلك، لم تتقبل لغتنا بعض الفنون القولية التي تطمس المعنى الحقيقي، أو تستره أو تخفيه برهة من الزمن، وقد تلغيه، أو تزيفه، وقد تأتي بالنقيض في دلالته، لتحقيق أهداف أو غايات أو مصالح معينة، كما هو حاصل في بعض لغات الآخرين.

من ذلك على سبيل المثال، كتابة الدساتير والبنود، والاتفاقيات الدولية، واللوائح التي تنظم العمل في الشركات، إذ تصاغ بلغة موجزة ولشدة إيجازها وتركيزها تحتاج إلى ما يسمى بالمذكرة التفسيرية، دفعاً للشبهات وسوء الفهم والتقدير، واحتمال الاختلاف في التفسير والتأويل، وأكثر ما يكون هذا في اللغة الإنجليزية لاحتمال التأويلات فيها، لذلك يفضلون كتابة بنود الاتفاقيات الدولية باللغة الفرنسية.

وما زلنا نصر على أن الوضوح سمة من سمات اللغة العربية، من ذلك كلمة « سفير » وهو الذي يقيم في بلد آخر لتمثيل سياسة بلاده، فالكلمة مأخوذة من [السفور] وهو الكشف، والصلح بين القوم، ولكنها في اللغة الإنجليزية وفقاً لتعريفها: An Ambassador is A Gentel Man Who " LIES in another country ". قد تعني الرجل الذي «يقيم» أو «يكذب» في بلد آخر، لأن كلمة: "LIE" من المشترك اللفظي (كلمة لها أكثر من معنى)، فهي تحتمل المعنيين: « يقيم» و «يكذب»، وقد يبدلونها - وهو الغالب - بكلمة: "LAY"، بمعنى: يرقد أو يقيم.

وما زلنا نسمع عن سبب الخلاف القائم حول قرار الأمم المتحدة (٢٤٢) حيث فهم في بعض الأوساط السياسية، ومنها العربية: «الانسحاب من الأراضي» بينما فهمه آخرون: الانسحاب من «أراض» (٣).

وقد نبّه عباس محمود العقاد إلى اللبس المتعمد الذي وقع في البلاغ الصادر عن لجنة «ملر»، عندما كان المصريون يطالبون بريطانيا بحقهم في الدستور « فأصدرت لجنة «ملر» بلاغاً تعبر فيه عن مهمتها في تهدئة الرأي العام، وجاء في الترجمة الرسمية له: «أن اللجنة ترغب رغبة صادقة... في أن تمكن البلاد من صرف كل مجهوداتها إلى ترقية شئون البلاد تحت أنظمة دستورية » فأسرع العقاد ليكشف ما في الترجمة من تحريف، إذ المقابل لكلمة: Under Self Governing Institution الواردة في البلاغ هو: «تحت أنظمة حكم ذاتي» لا «تحت أنظمة دستورية»، وكان لكشفه عن هذا التدليس في الترجمة دويّ في المحافل الوطنية (٤)، ويعود هذا اللبس إلى وضع كلمة: Institution التي يعني «مؤسسة» مكان كلمة: Constitution بمعنى «دستور» ومن المعروف أن الدستور لا يمنح، أو لا يكون إلا لدولة مستقلة كاملة السيادة، وأما أنظمة الحكم الذاتي فتمنح لما هو أقل من دولة..

وتبقى اللغة العربية في تجلياتها من الوضوح والإبانة وأمن اللبس، وهذه وغيرها من بين أمور أخرى حرصت البلاغة العربية عليها، وحفل بها البيان العربي.

ستر المعاني وإخفاؤها

يتغيا المتحدثون باللغة غايات معينة، وأهدافاً محددة يسعون إلى تحقيقها عندما يواجهون المعاني الحقيقية «البشعة » أو القبيحة أو التي يخجل الإنسان من التلفظ بها صراحة، فيستررونها بمعان أخرى ذات طلاء معيّن، جميل، ومن هذه الغايات:

(١) الأدب الجم والخلق الرفيع، فالمتحدث وفقاً لمكانته العالية، ومنزلته السامية يترفع عن المصارحة، فيلجأ إلى التلميح بدلاً من التصريح، وإلى الإشارة والكناية بدلاً من الحقيقة، وذلك في بعض المواقف بهدف ستر المعاني « القبيحة»، أو التي ينبغي أن نعفّ عن ذكرها صراحة، حيث يكون التلميح أفضل، وذلك باختيار عبارات أجمل، ومفردات أرق وألطف وأطيب، تؤدي الغرض ذاته، وتحقق الهدف من دون أن يعتري العبارة لبس أو غموض، وهذا أمر شائع في لغتنا على المستوى الرسمي أو على المستوى الشعبي العاميّ، عندما يكون الأدب الجم والذوق الرفيع هما سيدا الموقف، ونأخذ لذلك أمثلة من النصوص القرآنية.

من ذلك قول الله عزّ من قائل: (وأمُّه صِدِّيقة كانا يأكلان الطعام) المائدة:٧٥، في إشارة إلى أنهما بشر، ومن طبائع البشر - بعد تناولهما الطعام - قضاء الحاجات (٥)، وهذا

ترجيح أحد المعنيين على الآخر، يقتضيه سياق العبارة، وحتمية المعنى، فلا يبقى مجال للشك، أو احتمال للالتباس أو الغموض

المعنى قبيح، ولقبحه لم يفصح عنه القرآن صراحة في جميع مواضعه في القرآن، وكان ستره أفضل من ذكره، والتلميح أفضل من التصريح، وهو من الكلم الطيب وجوامعه، وذلك في غاية السموّ الرباني الذي ينبغي الاقتداء به، وقد مدح الله الكلمة الطيبة، فشبهها بشجرة طيبة تؤتي ثمرها كل حين بإذن ربها، وشبه الكلمة الخبيثة بشجرة خبيثة، اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

ومنه قوله تعالى: (أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء) النساء:٤٣.

فقد عبّر القرآن في هذه الآية عن قضاء الحاجة بالغائط، وهو المكان المنخفض الذي يتوارى فيه الإنسان ليقضي حاجته، كما عبّر عن «المعاشرة» بالملامسة، وذلك تلميح من دون التصريح، ومنه أيضاً قوله تعالى: (وأرضاً لم تطئوها) الأحزاب:٢٧، في إشارة إلى سبي النساء (٦)، وما سيؤول إليه حالهن بعد السبي.

(٢) الارتقاء بالعبارة إلى المستوى الجمالي الفذ، وفي هذه الحال تتجلى وظيفة اللغة الجمالية، حيث تتفجر الطاقة الجمالية في اختيار أفضل الصفات التي تزيد الجمال جمالاً، وتعمل على تزيين العبارة، فتزيدها بهاءً ورونقاً.

من ذلك قوله تعالى: (فيهن قاصرات الطرف) الرحمن:٥٦، إشارة إلى العفاف الذي تتمتع به الحور العين من نساء الجنة، فهن في الأصل طاهرات عفيفات نجلاوات، ولكن الله سبحانه أراد أن يصفهن بالمزيد من العفة والطهر، وذلك بأنهن يُقصرن نظرهن، ولا يَمددنه نحو الآخر، وتلك صفة تتمتع بها السيدة العفيفة التي جبلت على الحياء.

ومنه قوله تعالى: (وفرش مرفوعة) الواقعة:٣٤، إشارة تلميحية إلى نساء الجنة بما هن عليه من رفعة وسمو في الخلق، وكرم في الطبع، يؤكد هذا بقية الآيات بعدها:(إنا أنشأناهن إنشاءً. فجعلناهن أبكارا) الواقعة:٣٦ (٦).

مراعاة الجانب النفسي

فقد يلجأ المتحدث إلى التعبير عن المعنى بعبارة أخف وقعاً، مثل: [المنتقم لأمه]، فهذه العبارة أكثر قبولاً من الناحية النفسية من قولنا «[القاتل أباه] في قصة (أوديب)، الذي قتل فيها أباه ليثأر لأمه منه، وإذا كانت النتيجة واحدة في العبارتين حيث تمّ قتل الأب، فإن الأسلوب اختلف فيهما، فالتعبير الثاني [القاتل أباه] أثقل وقعاً، ويأتي منفعراً، إذ نتصور أننا أمام ابن عاق أقدم على جريمة بشعة مستنكرة، وهي قتل الأب، وأما العبارة الأولى: [المنتقم لأمه]، فإننا ـ على العكس ـ نتصور إنساناً شهماً أراد أن ينتقم لأمه المظلومة بغض النظر عمن كان الضحية.

ولا شك أن هذا التركيب وغيره، مما يأتي على شاكلته يعد ثمرة من ثمرات علم النفس، وأثره في اللغة، فمراعاة الجانب النفسي من قبل المتحدثين والكتاب تترك بصماتها في عملية الانتقاء اللغوي،لما هو مناسب من مفردات وعبارات، وفقاً للمواقف المختلفة، وقد استطاع علم النفس «أن يحول الصفات الزاجرة إلى صفات عاذرة » (٧)، فبدلاً من اختيار كلمات ذات وقع شديد يؤذي السمع، ويترك أثراً في النفس يمكن اختيار بدائل تؤدي الهدف، مع ترك أثر طيب من دون إخلال بالمعنى.

مراعاة الجانب النفسي من قبل المتحدثين والكتاب تترك بصماتها في عملية الانتقاء اللغوي،لما هو مناسب من مفردات وعبارات

ولعل المجتمع لم يعد يستخدم كلمة مثل: [فراش ـ خادمة]، لارتباطهما بالوضاعة، فالأولى من الفراش، والثانية من الخدمة، طالما بين أيدينا كلمة مثل: [مراسل ـ مربية]، وذلك مراعاة للجانب النفسي، واحتراماً لآدمية الإنسان، ولعل التركيز على هذا الجانب يعد من مقومات تقبل الخطاب اللغوي والإصغاء إلى صاحبه. وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن استخدام بعض الكلمات الجارحة من ذلك قوله: « لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي، ولكن يقول: فتاي وفتاتي، ولا يقولن المملوك: ربي وربتي، ولكن يقول: سيدي وسيدتي(٨).

ولعلنا نذكر كلمة:(نكسة) التي دخلت القاموس السياسي بعد هزيمة ١٩٦٧م النكراء، لتحلّ محل كلمة: (هزيمة)، لتخفيف الوقع على النفوس المنهزمة، ولكن بعد الصحوة واليقظة الحقيقية للعرب، بدأنا ندرك هول الفاجعة التي أصابتنا في الصميم، فأصبحت كلمة: (نكسة) تحمل من السخرية المرة ما تحمله.. وعلى غرارها بدأت اللغة تتأثر بعلم النفس، باحثة عن مفردات تحمل دلالات ذات وقع خفيف، لعلها تجد فيها ما يريح النفوس، مثل:

[جريمة × جنحة]، [منافق × مجامل]
[ربا × فائدة]، [الرقص × الحراك].

ويخشى أن يأتي يوم ندرك فيه حقيقة هذه المفردات وغيرها، كما أدركناها في كلمة نكسة، لأن بعض هذه الكلمات تعد تزييفا للواقع وخداعاً للنفس، فليست الجريمة جنحة، وليس الربا فائدة...

مراعاة المصلحة الشخصية والجماعية

يعد هذا الجانب في هذا الموضوع هو الأخطر والأسوأ على اللغة، لأنها تنحرف من خلاله عن أصولها ووظيفتها(٩)، وعن الغاية التي وضعت من أجلها، وهي التواصل والتفاهم بين الناس جميعاً، ومن المعروف أن تطور الحياة المستمر يؤدي إلى نوع من الحراك الاجتماعي، يتمثل في نظرية « التدافع الحضاري » التي جاءت الإشارة إليها في القرآن، في قوله تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) البقرة:٢٥١، تلك النظرية التي يتبناها مفكرون إسلاميون،في مقابل النظرية الغربية (صراع الحضارات) التي يتحمس إليها مفكرون غربيون، وأيا ما تكن التسمية ـ التي تدخل في إطار هذا الموضوع ـ

فإن تطور المجتمعات يؤدي حتماً إلى بلورة مجموعة من المفاهيم والمعطيات والمصطلحات، التي تحتاج إلى شرح وتفسير، بل تحتاج أكثر ما تحتاج: إلى تحديد دقيق لمدلولاتها اللغوية، وإلى اتفاق مشترك من قبل العالم بأسره عليها، ومن المفروض أن تخضع هذه الشروح والتفسيرات إلى نظرة « موضوعية » شاملة ليس لمصلحة الأفراد أو الجماعات شأن أو تدخل سافر فيها، حتى تصبح دلالاتها ضمن « محددات » دقيقة مقنعة، متفق عليها من قبل الكل، فلا تحتمل تأويلاً بعيداً، أو تفسيراً غريباً يتنافى مع المنطق والعقل ومع الوضع اللغوي الذي درجت عليه شعوب الأرض جميعاً، ولا يكون خاضعاً لهذه الجهة أو تلك أو متأثراً بمن لهم مصالح ذاتية.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، عند مناقشة الكثير من تلك المفاهيم التي يختلف فيها الشرق والغرب، والشمال والجنوب، وبعبارة أخرى يختلف فيها «الخصوم» هو: هل هناك معنى

حقيقي، ثابت، تشترك فيه جميع الشعوب حول هذه المفاهيم؟

والجواب، أنه من المفروض أن يكون هناك معنى حقيقي ثابت لجميع المفاهيم والمعطيات والمصطلحات، التي تصادف إنسان هذا الكون في حياته، وفي تعامله مع الآخرين، إذ إن ثبات المفاهيم عند دلالة واحدة يتفق عليها الجميع يعني ما تعنيه الموازين القسط، والأرقام الحسابية، والمعايير المختلفة من الانتظام والتوافق والانسجام، والالتقاء عند نقاط محددة، وخطوط واضحة، لا يصحّ تجاوزها، والعكس يعني الفوضى والاضطراب، واستلاب المقدرات، و ضياع الحقوق، وغلبة القوي للضعيف وسيطرته عليه.

ولعل ما يعزز هذه النظرة ويقويها أن علم اللغة الحديث يرى أن اللغة من حيث كونها بناء لغوياً معقداً تعني أن «هناك نظاماً دقيقاً يحكم العلاقات بين عناصرها» (١٠)، واللغات تختلف كثيراً فيما بينها من حيث هذا النظام، كما هو معلوم من واقع اختلاف اللغات والألسنة، ولكن النظرية البنيوية قد أكدت أن التراكيب اللغوية - مهما تختلف في بنية السطح Surface Structure تلتقي في أصولها وأغوارها البعيدة - عند تفكيكها وتحويلها إلى «البنية العميقة Deep Structure» (١١) عند معان واحدة مشتركة، فالتحليل اللغوي - من خلال معطيات هذه النظرية، وما قدمه لها «نعوم تشومسكي» تحديداً بوضع النموذج الرياضي للنحو التحويلي - يرد مختلف أشكال التراكيب السطحية المتعددة - وهي موضع الاختلاف بين اللغات - إلى « عدد محدد من المبادئ الأساسية التي تحكم الأداء اللغوي بصفة عامة» (١٢)، كما « تحاول النظرية النحوية الحديثة، من خلال ذلك، الوصول إلى نحو عام «تندرج في ظله جميع اللغات»، «نحو عام « قادر على استخلاص العموميات اللغوية المشتركة بين اللغات المختلفة» (١٣)، وبمعنى آخر: التوصل إلى «الناظم» المشترك الأعظم بين لغات البشر باعتباره ناظماً واحداً، إذ إن «القاع» اللغوي Deep Structure يؤلف قاعدة مشتركة بين جميع الألسنيات في جميع لغات العالم، لأن الإنسان هو الإنسان، ولأن العقل البشري محكوم بطريقة منطقية واحدة في التفكير، وإن اختلفت صور التعبير.

ولكن الواقع شيء آخر، فيما يتصل باختلاف هذه المفاهيم وغيرها، ويعود السبب في ذلك - ليس إلى اختلاف اللغات، بل إلى اختلاف المقاصد والنيّات - إلى كثير من الأحداث الجارية، والمستجدات السياسية، والمصالح الخاصة والعلاقات الدولية، التي تترك تأثيراتها في تحديد دلالة تلك

تطور المجتمعات يؤدي حتماً إلى بلورة مجموعة من المفاهيم والمعطيات والمصطلحات التي تحتاج إلى شرح وتفسير

المفاهيم، إذ تلقي بظلالها وثقلها عليها، وتلعب وسائل الإعلام المختلفة دورها في اختيار معنى معيّن، مطلوب لساعته، ومرغوب فيه للحظته، وذلك لخدمة بعض المصالح، ولا يتوقف الأمر عند ذلك، بل يصبح المعنى الثاني موضع شك وارتياب، ويتحول من ينادي به إلى موضع الخصومة والعداء، وهكذا تنحرف المفاهيم والموازين عن معناها الحقيقي، بسبب عبث السياسة وتدخّل المصالح الخاصة، ووسائل الإعلام المغرضة.

والذي يزيد من الخطورة، أن هذا الأمر ينطبق بشكل لافت للنظر على بعض المفاهيم ذات الصبغة الحيوية، وذات التأثير البعيد، الذي تتعلق به مصائر البشر، ورقاب العباد، وأكثر من ذلك: تتحدد به الهوية الشخصية للإنسان، والقيمة الحقيقية للحياة، حيث يجري تصنيف البشر وفقاً لهذه المعادلات، ونمثل لذلك ببعض الأمثلة التي ما زالت موضع خلاف بين الخصوم، وستظل كذلك طالما هناك من يغلّب المصلحة الذاتية على المصلحة العامة لبني البشر:

التدافع الحضاري × صراع الحضارات

العمل الاستشهادي × العمل الانتحاري

العمل الفدائي × العمل التخريبي

الغزو، والعدوان × الدفاع عن النفس

الاحتلال × التحرير

أليس التدافع الحضاري - في حقيقته ومختلف أشكاله وصوره - صراعاً للحضارات، ولكن اختيار المصطلح عند المفكر الإسلامي ينم - بحمد الله - عن روح مسالمة، تحب الخير للجميع، وتعترف بالواقع، وتحاول أن تجعله أمراً طبيعياً تخضع لحيثياته جميع المجتمعات والشعوب بالتساوي والعدل، وأما صراع الحضارات فإنه يدل على طبائع الاستبداد لدى القوى العظمى، وميلها إلى الاصطدام والصراع والعدوانية، واستلاب الآخر حقوقه ومواقعه في هذا العالم، ويدرك القارئ الفرق الكبير في دلالة هذه المصطلحات والمفاهيم، كما يدرك الأسباب والعلل التي تؤدي إلى الاختلاف فيها، فالعمل الاستشهادي والفدائي حق، كما يراه المنصفون وفقاً لمرجعيتهم الدينية « الإسلام » جهاداً في أسمى قمم الجهاد، والتضحية بالنفس في سبيل القيم والمقدسات، فيما يراه آخرون من الخصوم انتحاراً أو تخريباً أو عدواناً أو إرهاباً... وما أكثر هذه المصطلحات التي يختلف الخصوم في تحديد مفاهيمها اختلافات جمّة، متناقضة، تحكمها المصالح الشخصية والمنافع والسياسات ●

الهوامش والمراجع :

(١) تشتمل اللغة العربية على ٨٠ ألف مادة لغوية، وقد بلغ أقصى ما جمع من الأضداد ٣٦٧ كلمة، وهي نسبة ضئيلة قياساً إلى المجموع العام لمفردات اللغة.

(٢) د. شكري عياد، مفهوم الأسلوب ص ٥٦، مجلة فصول، العدد الأول، أكتوبر ١٩٨٠م - القاهرة.

(٣) هناك من يزعم أن النص الإنجليزي لا توجد فيه أداة التعريف، وأن النص الفرنسي فيه أداة التعريف.

(٤) د. شوقي ضيف، مع العقاد ص ٣٦، سلسلة: اقرأ، دار المعارف - مصر ١٩٦٤م.

(٥) أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر ص ٩٩.

(٦) المرجع السابق (الموضع السابق).

(٧) هذا الاقتباس قرأته في الستينيات من مقال لرجل يدعى: وديع فلسطين في إحدى المجلات، وقد غاب عني اسم المجلة، وللأمانة أنسبه إلى قائله.

(٨) الجاحظ، الحيوان ج ١ ص ٣٣٩ ط الثانية، مطبعة الحلبي - القاهرة.

(٩) هناك وظيفتان للغة، الأولى: وظيفة منطقية، تحصر اللغة في جانب الاتصال والتواصل، والثانية: وظيفة جمالية، تعطي اللغة مجالات أرحب من الأسلوبية، والتفنن في صياغة الأدب.. انظر: المدخل إلى النقد الأدبي الحديث ص ٢٩.

(١٠) د. شكري عياد، مفهوم الأسلوب ص ٥٨.

(١١) د. عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي ص ١١٦، مجلة فصول ج ١، العدد الثاني يناير ١٩٨٠م.

(١٢) د. نبيل علي، الكمبيوتر والحاجة الماسة إلى نحو عربي جديد ص ٣٠ مجلة العربي، عدد ٣٥٠ يناير ١٩٨٨م.

(١٣) المرجع السابق ص ٣١.



إحدى الوسائل المهمة للمحافظة على البيئة

إعادة تصنيع النفايات



بقلم: محمد عبدالقادر الفقي

في عالمنا المعاصر، بدأ الاهتمام أخيراً بإعادة تصنيع النفايات أو تدويرها، ويرى دعاة حماية البيئة أن ذلك يعد إحدى الوسائل المهمة للمحافظة على البيئة، والحؤول دون استنزاف الثروات والموارد الطبيعية فيها بسرعة.

وكان الدافع وراء الاتجاه إلى إعادة التصنيع هو كثرة النفايات التي تنتج من استعمالاتنا المنزلية والمدنية والصناعية، ولا سيما أن المجتمعات البشرية الحالية اعتادت على استخدام الأشياء مرة واحدة ونبذ ما تبقى منها. ومما تسبب في تفاقم هذه المشكلة: التوسع في صناعة التغليف والتغليب.

فعلى سبيل المثال، «دفع المستهلكون في الولايات المتحدة الأميركية في العام ١٩٨٦م ثمناً لتعبئة المواد الغذائية أكبر مما حصل عليه المزارعون الأميركيون ثمناً لمحاصيلهم»(١)، فسعياً إلى اجتذاب المستهلكين تغلف الأصناف أحياناً بثلاث أو أربع طبقات من الأغلفة. وإضافة إلى ذلك، تستخدم في نقلها أكياس من الورق أو البلاستيك التي تطرح أيضاً بعد استخدامها مرة واحدة.

ويطرح العالم حالياً في مقالب القمامة ومراكز دفن النفايات ما يقرب من ثلثي كميات الألومنيوم المصنعة عالمياً، وثلاثة أرباع ما تنتجه مصانع الحديد والصلب ومصانع الورق، بل إن معظم البلاستيك المنتج ينتهي به المطاف إلى أماكن تجميع النفايات للتخلص منه بالدفن أو الحرق.(٢)

وقد كانت زيادة الوعي البيئي دافعاً إلى الإكثار من إعادة تصنيع المواد واستخدامها من جديد. وكان مما عزز ذلك هو امتلاء مواقع دفن القمامة بالنفايات، مما اضطر السلطات المحلية في الكثير من البلدان إلى اتباع أحد السبيلين التاليين أو هما معاً.

الأول: تصدير النفايات أو شحنها إلى أماكن نائية للتخلص منها.

والثاني: المساعدة على إقامة صناعات لإعادة تدوير المواد واستخدامها من جديد.

وقد تبين أن الطاقة اللازمة لإعادة دورة تصنيع الألومنيوم تعادل ٥٪

فقط من الطاقة اللازمة لإنتاجه من البوكسيت مادته الخام الأصلية. ويصل ما يمكن توافره بإنتاج الصلب من الخردة كلية إلى ما يقرب من الثلثين. كما أن الطاقة اللازمة لإنتاج ورق الصحف من الورق المستخدم قبل ذلك تقل بنحو ٢٥ ـ ٦٠٪ من مقدار الطاقة اللازمة لصنعه من لب الخشب. وإعادة تصنيع الزجاج توفر ما يصل إلى ثلث الطاقة التي يتضمنها المنتج الأصلي.

وإعادة الاستخدام أو التصنيع تعد أيضاً إحدى وسائل خفض مستويات تلوث الهواء والماء والتربة. فعلى سبيل المثال، إن إنتاج الصلب من الخردة يقلل تلوث الهواء بمقدار ٨٥٪، وتلوث الماء بمقدار ٧٦٪، ويمحو نفايات التعدين بصورة كلية. وإنتاج الورق بإعادة تصنيع الكميات المستخدمة منه قبل ذلك تقلل الملوثات التي تدخل الهواء بمقدار ٧٤٪ والملوثات التي تتسرب إلى الماء بمقدار ٣٥٪، إضافة إلى أن ذلك سيقلل الضغوط على استنزاف الغابات (بقطع أشجارها لصناعة الورق) بمقادير تتناسب تناسباً طردياً مع الكميات التي يعاد تصنيعها(٣). وتشير إحدى الدراسات إلى أن دولة مثل كندا يمكنها في أن توفر ٨٠ مليون شجرة سنوياً إذا أعادت تصنيع ورق الصحف بالمستوى الذي يتم به ذلك في اليابان(٤). وثمة أساليب متعددة لإعادة تصنيع الزجاج والبلاستيك والنفايات العضوية. ويقدر باحثو المركز الإحيائي «البيولوجي» للأنظمة الطبيعية بالولايات المتحدة الأميركية، أنه من الممكن استرجاع نحو ٨٥ ـ ٩٠٪ من تدفق النفايات الصلبة باستخدام مشروعات إعادة الاستخدام أو التصنيع. ويساعد ذلك على تقليل عدد محارق النفايات(٥) ومن ثمَّ تقليل مشكلات التلوث البيئي.

وفي كثير من بلدان العالم، يتم التخلص من النفايات بالدفن أو الحرق، وكلا الأسلوبين له أضراره ومخاطره البيئية. ولهذا، اتجهت بعض الدول إلى التخلي عن هذا الأسلوب، بتطبيق تقنيات جديدة للاستفادة من النفايات وإعادة استخدام ما هو مناسب منها وتصنيعه. وتحظى مجالات توليد الطاقة من النفايات بأكبر اهتمام، إذ يمكن توليدها (أي الطاقة) مباشرة في شكل حرارة عند حرق النفايات في أفران خاصة، ويستفاد من الحرارة الناتجة من توافر مستلزمات الإنسان من تدفئة ومياه ساخنة، كما يمكن استخدام هذه الحرارة في أغراض التصنيع والتدفئة. وفي العادة، كانت القمامة والنفايات تلقى في أفران معامل حرق النفايات الكبيرة من دون أن تتعرض لأي معالجة أولية. ولما كانت القمامة تحتوي على بعض المواد التي يمكن فصلها وإعادة تصنيعها من جديد، فإن إجراء عمليات الفصل هذه يعد ضرورياً. وثمة دول تلجأ إلى ذلك بدءاً من مرحلة تجميع النفايات، ويكون ذلك عن طريق تخصيص صناديق معينة لكل من العلب المعدنية (مثل قوارير المشروبات الغازية المصنوعة من الألومنيوم)، والصحف والمجلات القديمة والزجاج.

وفي وحدات المعالجة، يمكن فصل بعض المعادن (كالحديد والنيكل) الموجودة في القمامة مغناطيسياً، كما يمكن فصل الزجاج والورق، ومن ثمَّ يقل حجم النفايات التي ينتهي بها المطاف إلى الأفران. وإذا نظرنا إلى التكاليف العالية لعمليات حرق النفايات فإنه يبدو من غير المناسب أن ينشأ أي معمل في المستقبل من غير إيجاد وسيلة للاستفادة من الطاقة الحرارية المتولدة. وهذا يعني أن أي معمل لحرق النفايات يجب أن يحصل على مستهلك للطاقة المتولدة.

وهناك طريقة أخرى أسهل لتوليد الطاقة بإنتاج وقود مستخلص من النفايات، وفي هذه المحاولة، فإنه لا يعتمد على مستهلكين محدودين كما في توليد الطاقة المباشرة، ولكن هذه الطاقة يمكن تقويمها وخزنها وتوزيعها لمستهلكين أكثر انتشاراً، ويمكن الحصول على وقود من النفايات عن طريق تجميع النفايات على شكل كرات تفرم، ويمكن استخدامها في مواقد الغلايات العادية، أو في مواقد الاحتراق الكبيرة، خصوصاً في أفران صناعة الأسمنت، وهذا الوقود ذو قيمة حرارية تصل إلى نصف تلك التي للفحم.(٦)

وقد بيَّنت التجارب أنه بمعالجة السليولوز والكربوهيدرات ومخلفات بعض الصناعات الغذائية (مثل صناعة اللحوم والنشا والخميرة) بأنواع معينة من البكتيريا في وسط معزول عن الهواء، فإنه يتولد غاز (الميثان) الذي يُعدّ المكون الرئيس للغازات الطبيعية.

وتحتوي نفايات الإنسان، التي يتم تصريفها في المجاري، ومخلفات الحيوانات والطيور (الروث) على نسبة كبيرة من المواد العضوية التي يمكن الاستفادة منها لهذا الغرض. وقد بيَّنت التجارب العملية التي قام بها الباحثون أن ٦٥٪ من الغازات الناتجة من هذه النفايات عبارة عن غاز الميثان، و٣٥٪ منها عبارة عن غاز ثاني أكسيد الكربون. وتعد إنكلترا إحدى الدول التي تقوم باستغلال النفايات لإنتاج الغاز الحيوي (البيوجاز). وفي إحصائية قامت بها إحدى المؤسسات العلمية

كان الدافع وراء الاتجاه إلى إعادة التصنيع هو كثرة النفايات التي تنتج من استعمالاتنا المنزلية

هناك، وجد أن كمية الغاز المنتج في العام ١٩٨٠م وصلت إلى ١,٧ مليون متر مكعب، وهي كمية تعادل مقدار الطاقة التي تحصل عليها تلك الدولة من حرق خمسة ملايين برميل من زيت البترول الخام، وهي تعادل أيضاً ثلاثة في المئة من كمية الغاز التي تستهلكها المملكة المتحدة سنوياً. ويطلق على الطريقة العلمية المتبعة في إنتاج الغاز الحيوي من روث الحيوانات اسم «الهضم اللاهوائي»، وفي هذه الطريقة يوضع الروث في وعاء يدعى «الهاضم» ولا يسمح للأكسجين بالدخول فيه، فتقوم البكتيريا بتحليل الروث، ثم يجمع الغاز الناتج من عملية التحلل بالبكتيريا في خزان، ومن ثمَّ يستعمل في الأغراض المطلوبة.

والمخلفات الناتجة بعد عملية التحلل تحتوي على غاز النتيروجين، وهو الغاز الذي تحتاجه النباتات في غذائها، ولذلك فإن مخلفات عملية الهضم اللاهوائي يمكن استخدامها في تسميد النباتات في المزارع. وبهذا الشكل يمكن الاستفادة من مخلفات الإنسان والحيوان، باعتبارها مصدر طاقة ومصدر أسمدة في الوقت نفسه.

ويمكن استخدام فضلات الورق أيضاً لإنتاج مجموعة عريضة من المركبات المفيدة، وذلك من خلال إجراء التحلل الحمضي الإنزيمي لمادة الورق، إلى مادة الغلوكوز. ويمكن تحويل الغلوكوز بدوره إلى شراب سكري، يستخدم في صناعة الحلويات. كذلك يمكن استخدام الغلوكوز لإنتاج خميرة الخبز. كما يمكن استخدام النفايات الورقية كمضافات لعليقة الدواجن، أو كمواد عازلة، أو كمواد تصنع منها عبوات البيض الكرتونية. ويمكن استخدامها في إنتاج السماد المكمور.

ولا ينتهي الأمر عند هذا الحد، فإذا اعترضت عملية معالجة النفايات الورقية صعوبات فنية أو تمويلية، توجد هناك خطوات عدة عملية للاستفادة من هذه النفايات من دون معالجة. كما يمكن حرث الورق في الأرض دون معالجة مسبقة وتركه يتحلل، فيعمل بذلك على تخصيب التربة، وإذا تعذرت تماماً عملية إعادة استخدام النفايات فإن الأمر يتطلب دراسة إحدى الطرق المأمونة للتخلص منها.

وهناك أسلوبان للتخلص من النفايات الورقية بالذات، أولهما الدفن في حفر تحت سطح الأرض، وثانيهما الحرق في أجهزة خاصة، تعرف باسم المحارق، وفي بعض الأحيان يمكن الاستفادة من الحرارة الناشئة عن احتراق الورق في أثناء هذه العملية في توافر التدفئة اللازمة لعملية تحلل المواد الصلبة والرواسب المتخلفة عن العمليات الصناعية.

ونشير هنا إلى أن تدارس مختلف الخيارات الخاصة بإعادة استخدام الفضلات أو التخلص منها لا يشكل إلا جانباً محدداً من جملة الفاعليات الخاصة بالتعامل معها، إذ إن التعامل المأمون مع النفايات يتطلب أيضاً اختيار الأماكن الملائمة للعمليات الخاصة بمعالجتها أو التخلص منها. ويجب أن تراعي في هذا الاختيار الجوانب البيئية والتشريعات الخاصة بالصحة العامة.

رؤية إسلامية لقضية إعادة تصنيع النفايات وتدويرها

يقف الإسلام ضد الإسراف وإهدار الموارد الطبيعية، ويدعو الإنسان إلى الاعتدال والتزام الطريق الوسط في الإنفاق والاستهلاك. ولما كانت النفايات ذات آثار ضارة على البيئة إذا تُركت فيها من دون معالجة لها، فإن اتباع أي طريقة للاستفادة منها يعد أمراً محموداً.

وإذا عدنا إلى تراثنا الإسلامي، سنجد إشارات كثيرة إلى إعادة استخدام الموارد المختلفة مادام لن ينتج من ذلك ضرر، بل إن بعض الفقهاء أجاز غسل أوراق المصحف التي خلقت وتعذرت قراءتها، فقد جاء في حاشية رد المحتار: «وفي الذخيرة: المصحف إذا صار خلقاً، وتعذر القراءة منه لا يحرق بالنار، ولا يكره دفنه، وإن شاء غسله بالماء»(٨)

وفي حاشية فتح الله المعين على شرح الكنز.

«إذا صار المصحف خلقاً بحيث لا يقرأ يجعل في خريطة ويدفن كالمسلم. وقال في غيرها: يغسل في ماء جار»(٩).

وجاء في الفتاوى الهندية: «ولو محا لوحاً كتب فيه القرآن واستعمله في أمر الدنيا يجوز... كذا في الغرائب»(١٠).

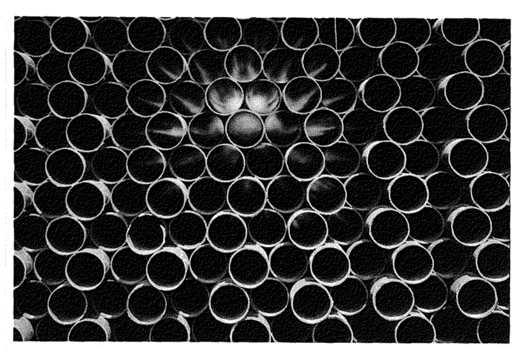
وقال الرملي: «ويجوز محو ما كتب عليه شيء من القرآن وشربه»(١١)، بل إن ابن حجر العسقلاني فضل الغسل على الإحراق، فقال: «وهذا الحكم - أي الإحراق - هو الذي وقع في ذلك الوقت، وأما الآن فالغسل أولى لما دعت الحاجة إلى إزالته»(١٢).

وقال محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: «منها - أي الآداب التي تلزم حامل القرآن - أن لايتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب فإن ذلك جفاء عظيم، ولكن يمحوها بالماء»(١٣)، وقال ابن حجر في شرحه لحديث تحريق عثمان بن عفان - رضي الله عنه - للمصاحف:

«قوله: (حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة)، زاد أبوعبيدة وابن أبي داود من طريق شعيب عن ابن شهاب قال: أخبرني سالم بن عبدالله بن عمر قال: «كان مروان يرسل إلى حفصة - يعني حين كان أمير المدينة من جهة معاوية - يسألها الصحف التي كُتب منها القرآن فتأبى أن تعطيه، قال سالم: فلما توفيت حفصة، ورجعنا من دفنها، أرسل مروان إلى عبدالله بن عمر ليرسل إليه تلك الصحف، فأرسل بها إليه عبدالله بن عمر، فأمر بها مروان فشققت، وقال: «إنما فعلت هذا لأني خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب». ووقع في رواية أبي عبيدة (فمزقت)، قال أبوعبيد: لم يسمع أن مروان مزق الصحف إلا في هذه الرواية. قلت: قد أخرجه ابن أبي داود من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب نحوه وفيه: «فلما كان مروان أمير المدينة أرسل إلى حفصة يسألها الصحف فمنعته إياها، قال: فحدثني سالم بن عبدالله، قال: لما توفيت «حفصة» فذكره وقال فيه: «فشققها وحرقها»، ووقعت هذه الزيادة في رواية عمارة بن غزية أيضاً باختصار، لكن أدرجها في حديث زيد بن ثابت وقال فيه: «فغسلها غسلاً»(١٤)،



إعادة الاستخدام أو التصنيع تعد إحدى وسائل خفض مستويات تلوث الهواء والماء والتربة



وقال: «وفي رواية الإسماعيلي: «أن تمحى أو تحرق»(١٥).

وقال: «وفي رواية أبي قلابة: (فلما فرغ عثمان من المصحف كتب إلى أهل الأمصار: إني قد صنعت كذا وكذا، ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم»، والمحو أعم أن يكون بالغسل أم التحريق... وقد جزم عياض بأنهم غسلوها بالماء ثم أحرقوها».(١٦)

ويرى الدكتور محمد سليمان النور أنه في حال المصاحف التي تعرضت أوراقها للتلف أو أصبحت بحال لا يقرأ فيها، فإن الحل الأفضل هو غسل الأحبار المكتوب بها القرآن الكريم وإزالتها وفصلها عن الورق، ثم الاستفادة من الورق بعد ذلك بإعادة تصنيعه، ومما يدل على أفضلية ذلك ما يلي:(١٧)

أولاً: أن الغسل أمر متعارف عليه عند المسلمين في تحفيظ الصبيان القرآن، حيث يكتب في اللوح ويمحى بعد حفظه ويكتب للطالب غيره.

ثانياً: أن غسل الكتابة من الورق وإزالة حبرها تمكن من الاستفادة من الورق بعد غسله بدلاً من إتلافه بالحرق أو الدفن، ولا سيما قد وجد في هذا الوقت مصانع متخصصة في الاستفادة من الورق بعد إزالة ما عليه من كتابة وأحبار. ومن المعلوم أن من مقاصد الشريعة الغراء حفظ الأموال وعدم إهدارها وإضاعتها، فقد روى الإمام البخاري - يرحمه الله - في صحيحه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال» رواه البخاري.

ثالثاً: إن ما تقوم به المصانع - المتخصصة في إعادة تصنيع الورق - بعد فصل الكتابة والأحبار عنه - من شراء للأوراق التالفة يشجع الناس على حفظ الأوراق التالفة - سواء أكانت أوراق المصحف أم غيرها من الأوراق المشتملة على ذكر الله - وتجميعها لبيعها للمصانع، ويقلل من إلقاء الناس لها في القمامة مما يساعد على حفظها وعدم امتهانها.

رابعاً: من القواعد الفقهية أنه «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان». وفي هذا الزمن فإن غسل ما على الورق من كتابة وأحبار ثم إعادة تصنيعه هو أسلم الوسائل للتخلص من الأوراق التالفة، وذلك لكثرة استعمال الورق في هذا الوقت.

وفيما يتعلق بالأوراق المشتملة على آيات أو أحاديث أو أسماء الله تعالى الحسنى، كالكتب والصحف والمجلات وأوراق إجابات الطلاب، فقد ذهب بعض أهل العلم إلى التخيير بين الغسل والإحراق مثل العز بن عبدالسلام، قال أبويحيى زكريا الأنصاري: وقد قال ابن عبدالسلام: «من وجد ورقة فيها البسملة ونحوها لا يجعلها في شق ولا غيره لأنها قد تسقط فتوطأ، وطريقه أن يغسلها بالماء أو يحرقها بالنار صيانة لاسم الله تعالى عن تعريضه للامتهان»(١٨).

وهناك من الفقهاء من قال بجواز محو اسم الله واسم الرسول صلى الله عليه وسلم مثل الحصكفي، فقد قال في «الدر المختار»:

«ولا يجوز لف شيء في كاغد، أي قرطاس، فيه فقه، وفي كتب الطب يجوز، ولو فيه اسم الله أو الرسول صلى الله عليه وسلم، فيجوز محوه ليلف فيه الشيء»(١٩)، وفي الفتاوى الهندية: «ولا يجوز لف شيء في كاغد مكتوب من الفقه، وفي الكلام الأولى أن لا يفعل، وفي كتب الطب يجوز ولو كان فيه اسم الله تعالى، أو اسم النبي صلى الله عليه وسلم يجوز محوه ليلف فيه شيء»(٢٠).

وهناك من الفقهاء من ذهب إلى تفضيل الغسل على الإحراق، مثل ابن حجر الهيثمي، حيث قال: «ويحرم حرق ما كتب عليه إلا لغرض...، والغسل أولى منه على الأوجه»(٢١)، ويستدل على الغسل بما أثر عن النعمان بن قيس أن عبيدة أوصى أن تمحى كتبه(٢٢)، وأن مسلم بن يسار كان إذا جاءه الكتاب محا ما كان فيه من ذكر الله ثم ألقاه(٢٣).

ويقول الدكتور محمد سليمان النور: يلاحظ أن الأوراق المشتملة على ذكر الله تعالى لا تثبت لها حرمة أوراق المصحف حتى ولو اشتملت هذه الأوراق على آيات من القرآن الكريم، قال ابن قدامة - يرحمه الله: «ويجوز للمحدث مس كتب التفسير والفقه وغيرها، والرسائل، وإن كان فيها آيات من القرآن، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى قيصر كتاباً فيه آية، ولأنها لا يقع عليها اسم المصحف، ولا تثبت لها حرمته، وقال النووي يرحمه الله: «... لأن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى دار الشرك كتاباً فيه شيء من القرآن مع نهيه - صلى الله عليه وسلم - عن المسافرة بالقرآن إلى دار الشرك، فدل على أن الآيات في ضمن كتاب لا يكون لها حكم المصحف»، والله تعالى أعلم.

وإذا كانت الأوراق المشتملة على ذكر الله لا تثبت لها حرمة أوراق المصحف فما جاز فعله في التخلص من أوراق المصحف التالفة يجوز فعله في الأوراق المشتملة على ذكر الله من باب أولى، والذي يترجح في الأوراق المشتملة على ذكر الله تعالى: أن الأفضل غسلها وإزالة ما فيها من كتابة وحبر ثم الاستفادة منها بإعادة تصنيعها، أما الأوراق التي ليست مشتملة على ذكر الله تعالى فتجوز الاستفادة منها سواء أُمُحِيَ ما عليها من الكتابة أم لم

مخلفات عملية الهضم اللاهوائي يمكن استخدامها في تسميد النباتات في المزارع

يُمح، لأن الأصل في الأشــيــاء الإباحة، ولأنه ليس في هذه الأوراق مـا يمنع الاسـتـفـادة منهـا، والله أعلم.(٢٤)

الاستفادة من المخلفات والنفايات في التراث الإسلامي

إن المتـصـفـح لكتب التـراث الإسلامي سيجد فيها إشارات كثيرة إلى قيام المسلمين بالاستفادة من المخلفات والنفايات، وهو الأمر الذي لا يجعلنا نتفق مع القائلين: إن إعادة استخدام النفايات وتدويرها هي إحدى ثمرات الوعي البيئي في عصرنا هذا، فهذا الأمر كان شائعاً في الأمم السـابـقـة، ثم جـاءت الحضارة الحديثة بترفها وأنماط الاسـتـهـلاك الجـديدة، فـزادت النفـايات، وأنف الناس من إعـادة استخدامها وبخاصة في البلدان المتقدمة التي أنعم الله عليها بوسائل الرخاء والمتع الدنيوية.

ويحفل كتاب (البخلاء) للجاحظ بقصص كثيرة حول ذلك الموضوع. وأسوق هنا بعض القصص التي لا تخلو من طرافـة، وإن كـانت في الوقت نفسـه تبين مـدى حـرص الأقدمين على الاستفادة من النفايات بشتى الوسائل. يقول الجاحظ:

المتصفح لكتب التراث سيجد فيها إشارات إلى قيام المسلمين بالاستفادة من المخلفات والنفايات

١ ـ وحكى أبوإسحاق إبراهيم بن سيـار النظام عن جاره المروزي... قـال: ورآني مـرة مـصـصـت قـصـب سكر، فـجـمـعت مـا مـصـصـت مـاءه لأرمي به. فـقال: إن كنت لا تنور لك ولا عـيـال، فـهـبـه لمن له تنور وعليه عـيـال. وإياك أن تعـوِّد نفسك هذه العادة في أيام خفة ظهرك، فإنك لا تدري ما يأتيك من العيال»(٢٥).

٢ ـ قال أصحابنا من المسجديين: اجتمع ناس في المسجد ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة والتنمية للمال، من أصحاب الجمع والمنع. وقد كان هذا المذهب صـار عندهم كـالنسب الذي يجمع على أصحاب، وكالحلف الذي يجـمـع على التناصر، وكـانوا إذا التـقـوا في حلقـهم تذاكروا هذا الباب، وتطارحوه وتدارسوه. فـقـال شيخ منهم: ماء بئرنا ـ كما قد علمتم ـ ملح أجـاج لا يقـربه الحـمـار، ولا تسيـغـه الإبل، وتموت عليه النخل، والنهر منا بعيد، وفي تكلف العذب مؤنة. فكنا نمزج منه للحمار، فاعتل عنه «أي أضـرب عنه وأحـجـم»، وانتفض علينا من أجله «أي عصانا وخرج عن طاعتنا». فصرنا بعد ذلك نسـقـيـه العـذب صـرفـاً. وكنت أنا والنعـجـة «يريد امرأته» كـثـيـراً مـا نغتسل بالعذب، مخـافـة أن يعتري جلودنا منه مثل ما اعتـرى جـوف الحـمـار. فكان ذلك الماء العـذب الصـافي يذهب باطلاً. ثم انفتح لي باب من الإصلاح، فـعمدت إلى ذلك المتـوضـأ، فـجـعلت في ناحـيـة منه حفرة، وصـهـرجـتـهـا «أي عملتـهـا بالقطران» وملستـهـا، حتى صـارت كأنها صخرة منقورة، وصوبت إليها المسـيل، فنحن الآن إذا اغـتـسلنا صـار الماء «أي اتجه وذهب» إليـهـا صافياً، لم يخـالطه شيء، والحمار أيضـاً لا تقـزز له منه، وليس علينا حرج في سقيه منه. وما علمنا أن كـتـابـاً حـرَّمـه ولا سنَّة نهت عنه، فربحنا هذه منذ أيام، وأسقطنا مؤنة عن النفس والمال»(٢٦).

٣ ـ «ثم اندفع شيخ منهم فقال: لم أر في وضع الأمور مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقـهـا، كـمعـاذة العنبرية. قـالوا: ومـا شـأن مـعـاذة هذه؟ قال: أهدي إليـهـا ابن عم لهـا أضـحـيـة، فـرأيتـهـا كـئـيـبـة حـزينة، مـفـكرة مطرقـة. فـقلت لهـا: مـالك يا معاذة؟ قـالت: أنا امرأة أرملة، وليس لي قـيِّم، ولا عـهـد لي بـتـدبـيـر لحـم الأضـاحـي، وقـد ذهب الذين كـانوا يدبِّرون «أي يعرفون اسـتـعـمـال كل جزء من الأضحية الاستعمال اللائق به» ويقـومـون بحـقـه، وقـد خـفت أن يضـيـع بعض هذه الشـاة ولست أعـرف وضـع جـمـيـع أجـزائهـا في أماكنها. وقد علمت أن الله لم يخلق فـيهـا ولا في غيرها شيئاً لا منفعة فـيـه، ولكن المرء يعـجـز لا مـحـالة. ولست أخاف من تضييع القليل، إلا أنه يجرّ تضييع الكثير!.(٢٧)

الهوامش والمراجع:

١ ـ لسـتـر براون وآخـرون، تقـويم عن وضع العـالم ١٩٩٠م، ترجمة د.سيد رمضان هدارة، معهد مراقبة البيئة العـالمية، الجـمـعـيـة لنشـر المعرفـة والثقافة العالمية، القاهرة، ١٩٩٢م، صفحة ٢٦٨.

٢ ـ المرجع السابق، صفحة ٢٦٦.

٣ ـ المرجع السابق، صفحة ٢٦٦.

٤ ـ د.عـبـدالحكيم بدران، النفـايات: أخطارها وأسـاليب مـعـالجـتـهـا، الرياض، صفحة ٨٥.

٥ ـ لسـتـر براون وآخرون، تقـويم على وضع العـالم ١٩٩١م، مـرجع سـابق، ترجمة د.سيد رمضان هدارة، معهد مـراقبة البيئة العـالمية، الجـمعـيـة المصـرية لنشـر المعرفـة والثـقـافـة العـالمية، القاهرة ١٩٩٢م، صـفـحـة ٨٥: ٨٦.

٦ ـ مـهـندس عبدالقادر حـمـزة كوشك، ثروة النفـايات، بحـوث وتوصـيـات الحلقـة الدراسـيـة الثانيـة لمنظمـة العواصم والمدن الإسلامية عنوانها: «النظافة في إطار حمـاية البيئة»، منظمة العـواصم والمدن الإسـلامية، مكة المكرمة، صفحة ٦٤.

٧ ـ منظمـة العـواصم والمدن الإسـلامـيـة، النظافة في إطار حماية البيئة، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، صفحة ٧٠: ٧١.

٨ ـ مـحـمد أمين (الشـهـير بابن عـابدين)، «حاشية رد المحتار على الدر المختار»، الجزء السادس، صفحة ٤٢٢.

٩ ـ مـحـمد أبوالسـعود، «حـاشـيـة فـتح الله المعين على شـرح الكنز» لمحـمـد مـنلا مـسكين، جـمـعـيـة المعـارف المصـرية، القـاهرة، ١٢٨٧هـ ـ ١٨٧٠م، الجـزء الثالث، صفحة ٤٠٧.

١٠ ـ الفـتـاوى الهندية، المطبعـة الكبـرى الأميرية ببولاق مصر، القاهرة، الطبعة الثـانيـة، ١٣١٠هـ، الجـزء الخـامس، صفحة ٣٢٢.

١١ ـ شـمس الدين مـحـمد الرملي، نهـاية المحـتـاج إلى شـرح المنهـاج، المكتـبـة الإسلامـيـة لصـاحـبـهـا الحـاج رياض الشيخ، الجزء الأول، صفحة ١١٢.

١٢ ـ أحمد بن علي بن حـجر العسـقلاني، فتح الباري بشـرح صـحيح البخـاري، الجزء التاسع، صفحة ٢١.

١٣ ـ محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، التـذكـار في أفـضل الأذكـار: القـرآن الكريم، تحـقيق أحمد بن مـحـمـد بن الصديق الغماري، مطبعة محمد أمين الخـانجي، القاهرة، ١٣٥٥هـ، صـفـحـة ١٢٩.

١٤ ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الجزء التاسع، صفحة ٢٠.

١٥ ـ المرجع الـسـابق، الجـزء التـاسـع، صفحة ٢١.

١٦ ـ المرجع الـسـابق، الجـزء التـاسـع، صفحة ٢١.

١٧ ـ د.مـحـمـد سليـمـان النور، حكم الاسـتـفـادة من الأوراق التـالفـة، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد ٣٢، السنة الثانية، رجب ـ شعبان ـ رمضان ١٤١٧هـ / يناير ـ فـبـراير ـ مـارس ١٩٩٧م، صفحة ١١: ٢١.

١٨ ـ أبويحـيى زكـريا الأنصـاري، شـرح روض الطالب من أسنى المطالب، المكتبة الإسلامية، الجزء الأول، صفحة ٦٢.

١٩ ـ الحصكفي، الدر المختار شرح تنوير الأبصـار، مطبـوع مع حـاشـيـة رد المختار، الجزء الأول، صفحة ١٧٨.

٢٠ ـ الفـتـاوى الهندية، مـرجع سـابق، الجزء الأول، صفحة ١٧٨.

٢١ ـ ابن حجر الهيثمي، تحفة المحتاج بشـرح المنهـاج، مطبـوع بهـامش حـواشي الشـرواني وابن القـاسم العبادي عليه، دار صادر، بيروت، الجزء الأول، صفحة ١٥٥.

٢٢ ـ الحافظ عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق مختار أحمد الندوي، الدار السلفـيـة، بومبـاي، الهند، الطبـعـة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، الجزء التاسع، صفحة ١٧.

٢٣ ـ المرجع السـابق، الجـزء التـاسـع، صفحة ١٧.

٢٤ ـ د.مـحـمـد سليـمـان النور، حكم الاستفادة من الأوراق التالفة، مرجع سابق، صفحة ٢٣: ٣٠.

٢٥ ـ أبوعـثـمـان بن بحـر الجـاحظ، البخلاء، دار صادر، بيروت، صفحة ٢٢.

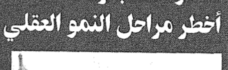
٢٦ ـ المرجع السابق، صفحة ٢٣.

٢٧ ـ المرجع السابق، صفحة ٢٥: ٢٦.

البيت المسلم

إقرأ لهؤلاء

- أحمد توفيق هلال
- د.زيد محمد الرماني
- د.محمد نجيب عوضين المغربي
- مسعد الشاذلي
- د. عباس عبد الحليم عباس
- إيمان القدوسي
- أ.د.بوجمعة جمي
- د.عبد الرحمن العمراني
- د.ناصر أحمد سنة





الحلف بالطلاق ... متى يقع؟

بقلم: د.عبدالرحمن العمراني

الحلف بالطلاق من الصيغ التي يتداولها الناس في خطابهم، وصورته كما بيَّنها ابن تيمية «أن يحلف بذلك فيقول: الطلاق يلزمني لأفعلن كذا أو لا أفعل كذا، أو يحلف على غيره كعبده وصديقه الذي يرى أنه يبر قسمه ليفعلن كذا أو لا يفعل كذا(١) فهذه صيغ قسم، وهو حالف لهذه الأمور لا موقع له». ظاهر هذه الصورة للحلف بالطلاق أنه لا يكون فقط في خطاب الرجل زوجته، ولكن يتلفظ به أيضاً في خطابه الناس في عمله وبيعه وشرائه وهي لا تعلم. ويضيف المالكية والحنفية إلى هذه الصورة تعليق الرجل طلاق امرأته على شرط فهو عندهم من صور الحلف بالطلاق.

جاء في المدونة الكبرى: «قلت: أرأيت إن قال رجل لامرأته: إن دخلت الدار فأنت طالق، وإن أكلت أو شربت أو لبست أو ركبت أو قمت أو قعدت فأنت طالق، ونحو هذه الأشياء أتكون هذه أيماناً كلها؟ قال: نعم»(٢).



استعمال الأيمان في تحريم الزوجات من أخطر الأمراض الاجتماعية الموجودة، لأنها تخرب كثيرا من العائلات

وقد تنازع الفقهاء في حكم الحنث في الحلف بالطلاق على ثلاثة أقوال يمكن بسطها والأدلة التي بنيت عليها فيما يلي:

أولاً: آراء وأدلة الفقهاء في المسألة:

القول الأول: إن من حلف بطلاق زوجته إذا حنث يلزمه ما حلف به. وهذا قول جمهور الفقهاء وفيهم الحنفية والمالكية والحنابلة، فبالنسبة للمذهب الحنفي، حكى الكاساني عن أبي حنيفة أن «قوله: إن دخلت الدار فأنت طالق، يمين تامة لوجود الشرط والجزاء، وإنها منعقدة لحصولها بالملك»(٣). وبالنسبة للمذهب المالكي جاء في المدونة الكبرى: «قلت: أرأيت الرجلين يقول أحدهما لصاحبه: «امرأته طالق إن كنت قلت لك كذا وكذا؟ قال: قال مالك: يدينان جميعاً»(٤). وبالنسبة للمذهب الحنبلي ذكر ابن قدامة أن أحداً: «لو قال: «الطلاق يلزمني»، أو «الطلاق لي لازم» فهو صريح، فإنه يقال لمن وقع طلاقه: لزمه الطلاق (...). وإن قال: «عليَّ الطلاق»، فهو بمثابة قوله: «الطلاق يلزمني»، لأن من لزمه شيء فهو كالدين»(٥).

وإلى هذا القول ذهب من الفقهاء المعاصرين الشيخ أبوالشتاء الصنهاجي فإنه قال عند قول الزقاق(٦) في لاميته «كذاك حرام»: «لا مفهوم للحرام، بل اليمين كذلك على ما به العمل من لزوم طلقة فيه»(٧)، وأوضح أنه «كان الواجب قديماً في الحلف بلفظ اليمين إذا حنث صاحبه هو الكفارة، وهي إطعام عشرة مساكين إلخ، ثم صار أهل مدينة فاس منذ ما يزيد على أربعة قرون سلفت يقصدون باليمين فك عصمة الزوجة (...).

وفي اليمين طلقة للعرف
إذا هي كالصريح دون خلف
في بلدة عرفهم بما جرى
لا غيرها فيه الكفار ترى»(٨)

وليس للموقعين للطلاق عند الحنث في يمينه دليل من الكتاب أو السنة يثبت ما قالوا، لأن الحكم بوقوعه - كما قال ابن القيم - «حدث الإفتاء به بعد انقراض عصر الصحابة، فلا يحفظ عن صحابي في صنيعة القسم إلزام الطلاق به أبداً»(٩). وقد ذكر ابن تيمية «أن «حجتهم عليه ضعيفة جداً، وهي أنه التزم أمراً عند وجود شرط فيلزمه ما التزمه، وهذا منقوض بصور كثيرة وبعضها مجمع عليه كنذر الطلاق والمعصية(١٠) والمباح(١١)، وكالتزام الكفر على وجه اليمين»(١٢).

والقول الثاني: إن من حلف بالطلاق فحنث فيه لا يقع طلاقه ولا تلزمه كفَّارة. وهو قول ابن حزم، فعنده أن «اليمين بالطلاق لا يلزم سواء بَرَّ به أو حنث»(١٣). وذكر ابن القيم أن هذا «مذهب خلق من السلف والحلف، وصح ذلك عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه»(١٤).

وبهذا القول أخذت أغلب قوانين الأحوال الشخصية العربية وكذلك أغلب الفقهاء المعاصرين. جاء في المادة الثانية من القانون المصري المعدل رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥م أنه «لايقع الطلاق غير المنجز إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه لا غير». وورد في مذكرته الايضاحية أن «المشرِّع أخذ في إلغاء اليمين بالطلاق برأي بعض علماء الحنفية، والمالكية، والشافعية، وأنه أخذ في إلغاء المعلق الذي في معنى اليمين برأي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وشريح القاضي، وداود الظاهري وأصحابه»(١٥). وورد في الفصل الخمسين من مدونة الأحوال الشخصية المغربية أن «الحلف باليمين أو الحرام لا يقع به طلاق». وجاء في المادة الثالثة والثلاثين من قانون الزواج والطلاق الليبي رقم ١٠ لسنة ١٩٨٥م أنه «لا يقع الطلاق في الحنث بين الطلاق أو الحرام». هذه النصوص تتفق على أن الحنث في الحلف بالطلاق لا يقع به شيء.

ولقد رد الشيخ محمد عبده القول بوقوع الطلاق عند الحنث فيه لانعدام قصده(١٦). وقال الشيخ محمود شلتوت: «والذي نراه في المسألة من جهة الوقوع وعدمه ونفتي به، هو الرأي الذي اختاره قانون المحاكم الشرعية الصادر سنة ١٩٢٩م وهو (...) أن الحلف بالطلاق كقول الرجل: «عليَّ الطلاق»، أو «يلزمني الطلاق»، لغو من الكلام لا يقع به شيء»(١٧). وقال الأستاذ علي حسب الله: «ونحن نرجح بأن الحلف بالطلاق لا يقع به شيء»(١٨). وعدَّ الأستاذ علال الفاسي الحلف بالطلاق من المسائل التي يجب فيها إعادة النظر، ووصف «استعمال الأيمان



في تحريم الزوجات من أخطر الأمراض الاجتماعية الموجودة في المغرب، لأنها تخرب كثيراً من العائلات التي تعيش في غاية الانسجام ولا تحس بأدنى ميل للافتراق. فكثيراً ما يكون الزوج مثلاً في لعب الورق، أو نقاش تجاري مع بعض أصدقائه، ثم يصل به الغضب على غير زوجته إلى الحلف بتطليقها هي (...) فما أشده مرضاً اجتماعياً خطيراً»(١٩). وأوضح الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي أنه «لا يجوز للمسلم أن يجعل من الطلاق يمينا يحلف به على فعل هذا أو ترك ذاك أو يهدد به زوجته، إن فعلت كذا فهي طالق»(٢٠).

واحتج أصحاب هذا القول بما يلي:

١ - قوله تعالى: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم، ولكن يؤاخذكم بما عقَّدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) (المائدة: ٨٩) احتج به ابن حزم للدلالة على أن «لا طلاق إلا كما أمر الله عزَّ وجلَّ، ولا يمين إلا كما أمر الله عزَّ وجلَّ على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٢١). يعني أنه لا يعتبر من الحلف إلا ما سماه الله تعالى يميناً، وليس منه اليمين بالطلاق.

٢ - قوله صلى الله عليه وسلم: «من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله»(٢٢). فإن فيه إرشاد من دعاه أمر إلى الحلف أن لا يحلف إلا بالله. وبه «ارتفع الإشكال في أن كل حلف بغير الله فهو معصية وليس بيمين»(٢٣). قال الأستاذ

علال الفاسي: وقد حدد حديث «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»(٢٤)، وآية الظهار(٢٥)، والإيلاء(٢٦) وأحكام النذر(٢٧)، مجموع الأيمان الشرعية. وكل من خرج عن ذلك أو أتى بصيغة غير معترف بها شرعاً فقد جاء بهراء لا أثر له في طلاق ولا غيره»(٢٨). وهو قول الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي(٢٩).

والقول الثالث: إن الحنث في اليمين بالطلاق لا يقع به طلاق وتلزم صاحبه كفارة اليمين وهو قول ابن تيمية، وابن القيم. واحتجا له بالقياس على الحلف بالعتق(٣٠). ذلك أنه ثبت عن عدد من الصحابة أنهم أفتوا في الحلف بالعتق أنه لا يلزم الحالف به، ويجزيه كفارة يمين. ونفى ابن القيم أن يكون أُثر عن أحد منهم التصريح بالوقوع إلا فيما هو محتمل لإرادة الوقوع عند الشرط(٣١). ونسب ابن تيمية الإفتاء بهذا الحكم إلى «ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وعائشة وأم سلمة وحفصة وزينب ربيبة النبي صلى الله عليه وسلم»(٣٢). ومنه أخذ ابن القيم أنه «إذا كان العتق الذي هو أحب الأشياء إلى الله، ويسري في ملك الغير، وله من القوة وسرعة النفوذ ما ليس لغيره، ويحصل بالملك والفعل، قد منع قصد اليمين من وقوعه كما أفتى به الصحابة، فالطلاق أولى وأحرى بعدم الوقوع. وإذا كانت اليمين قد دخلت (...) في قول الحالف: (إن حلفت يميناً فعبدي حر)، فدخولها في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفِّر عن يمينه وليأت الذي هو خير»(٣٣) (...) فإن كانت يمين الطلاق يميناً شرعية اعتبرها، وجب أن تعطى حكم الأيمان، وإن لم تكن يميناً شرعية كانت باطلة في الشرع فلا يلزم الحالف بها شيء»(٣٤).



ثانياً: سبب الاختلاف

يرجع سبب اختلاف الفقهاء في المسألة إلى اختلافهم في حكم صيغة الحلف بالطلاق، هل هي يمين كالحلف بالله أم لا؟ فمن عدها يميناً كما سمى الله من الأيمان، ألزم بها عند الحنث فيها، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في هذه المسألة. ومن لم يرها يميناً لم يوقع الطلاق عند الحنث فيها، وهو قول ابن حزم، ومن عدّها في حكم اليمين قال: لا يقع بها طلاق وتلزم بها الكفارة وهو ابن تيمية وابن القيم.

ثالثاً: الترجيح

يبدو من خلال عرض آراء وأدلة الفقهاء في المسألة أن الرأي الراجح فيها هو قول ابن تيمية، وابن القيم: إن الحلف بالطلاق لا يقع به شيء وتجب فيه كفارة اليمين فإن الأدلة تقويه، ثم لأن «القائل بوقوع الطلاق ليس معه من الحجة ما يقاوم قول من نفى وقوع الطلاق»(٣٥). ويتأيد ترجيح قولهما بما يلي:

١ - كون الإلزام باليمين بالطلاق بدعة محدثة في الأمة أحدثها الحجاج بن يوسف الثقفي، وهي التي يطلق عليها أيمان البيعة «تتضمن اليمين بالله تعالى والطلاق والعتاق وصدقة المال والحج»(٣٦). فليس من الحق - كما قال الأستاذ علال الفاسي (٣٧) - أن يجري على مذهبه أو يعمل وفق مقصده. ثم إن الحالف بالطلاق يعظم في نفسه طلاق امرأته أكثر مما يعظم الله في نفسه، فيحلف على شيء يخبر به، أو على شيء يفعله أو لا يفعله أو يفعله غيره أو لا يفعله، بما يعظم في نفسه سلطانه من دون الله. وبهذا يكون قد شرع لنفسه ما لم يشرع الله، لأن صيغة القسم التي يعتبرها الشرع هي التي بيَّنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «من كان حالفاً فليحلف بالله»(٣٨). وقد سبق الذكر أن القول بعدم وقوعه مروي عن عدد من الصحابة وبعض علماء السلف. روى عبدالرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني ابن طاوس عن أبيه أنه كان يقول: «الحلف بالطلاق باطل ليس بشيء، قلت: أكان يراه يميناً؟ قال: لا أدري»(٣٩).

ولا يطعن في هذا الحكم إقرار الكفارة عند الحنث مع أن الحلف بالطلاق ليست من صيغ اليمين التي ورد بها الشرع، وذلك لأن من يحلف بالطلاق يقصد به ما يقصد باليمين فكانت فيه الكفارة إذا حنث فيه. وأيضاً لا يطعن فيه أنه ورد النهي عن الحلف بغير الله في قوله صلى الله عليه وسلم: «من حلف بغير الله فقد أشرك»(٤٠)، وقوله أيضاً: «لا تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله»(٤١)، لأن المنهي عنه في هذين الحديثين هو الحلف بالذوات فإن فيه إشراكاً بالله، بخلاف الحلف بالطلاق فإنه حلف بمعنى قائم في الذهن لا يتصور أن يعبد من دون الله ومن ثمَّ كان القول بعدم وقوعه.

٢ - كون الشريعة الإسلامية وضعت طرقاً لمعالجة الخلافات التي تقع بين الزوجين، وأرشدت المسلمين إلى التدخل من أجل الصلح بينهما في قوله سبحانه: (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما) النساء:٣٥. وجعلت لحل عقدة الزوجية - عندما لا تؤثر في حل نزاع الزوجين إرشادات النصح - ألفاظاً خاصة صريحة في الدلالة على الفرقة. فهل يعقل أن تضرب كل هذه الوسائل عرض الحائط ويحكم بوقوع طلاق لمجرد نطق

إن الحلف بالطلاق لا يقع به شيء، وتجب فيه كفارة اليمين، ثم لأن القائل بوقوع الطلاق ليس معه من الحجة ما يقاوم قول من نفى وقوع الطلاق

الزوج بألفاظ جرت عادة الناس أن يحسبوها أيماناً فيوقعون بها الطلاق مع أنه تلفظ بها لبيان صدقه في خبر، أو لتأكيد حاجته عند غيره، أو لترويج سلعة يبيعها؟.

هذا ما انتقده غير واحد من الفقهاء المعاصرين منهم الشيخ محمد عبده بقوله: «نحن في زمان أَلِفَ رجال فيه الهذر بألفاظ الطلاق، فجعلوا عصم نسائهم كأنها لعب في أيديهم يتصرفون فيها كيف يشاؤون، ولا يرعون للشرع حرمة ولا للعشرة حقاً، فنرى الرجل منهم يناقش آخر فيقول له: إن لم تفعل كذا فزوجتي طالق، فيخالفه فيقال وقع الطلاق وانفصمت العصمة بين الحالف وزوجته، وهي لا تعلم بشيء ما، ولا تبغض زوجها، ولا تود فراقه، بل ربما كان الفراق ضربة قاضية عليها. وكذلك الرجل ربما كان يحب زوجته ويألم لفراقها، فإذا افترق منها بتلك الكلمة التي صدرت منه لا يقصد الانفصال من زوجته، وإنما يقصد إلزام شخص آخر بالعمل الذي كان يريده، كان الطلاق على غير نية»(٤٢). وأوضح الشيخ محمود شلتوت أنه «قد شذ قوم فشرعوا ما جرى الناس عليه من هذه الأيمان وقالوا: «إن العرف جرى بها والأيمان مبنية على العرف». وإذا صح هذا فقد فتحنا باسم العرف باب العودة إلى أيام الجاهلية التي كانت متعارفة بينهم (...). ومرة أخرى لو فتحنا هذا الباب لضاع بالعرف كثير من أحكام الشريعة التي ثبتت بالأحاديث الصحيحة وانعقد عليها إجماع الصدر الأول. ومن هذا الأصل أيضاً كان الحلف بالطلاق - كقول الرجل: علي الطلاق أو يلزمني الطلاق - منكراً من القول لم يشرعه الله فلا يقع به الطلاق، ويكون الحلف به متجاوزاً حدود الله فيما تحل به عقدة الزواج وفيما يحلف به»(٤٣).

٣ - ثم إن الذي شرعه الله في باب الأيمان هو تخفيفها بالكفارة لا تثقيلها بالإلزام بها، وذلك في قوله سبحانه: (لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقّدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة. فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) المائدة:٨٩. فإن فيه بيان العلاج لمن حنث في يمينه. وهو تخفيف من الله تعالى ورحمة منه عزَّ وجلَّ. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر جواز ترك عمل يحلف المرء أن يقوم به إذا رأى غيره خيراً منه فقال صلى الله عليه وسلم: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفِّر عن يمينه وليأت الذي هو خير»(٤٤). وأي شيء أضر بالمرء أكثر من إلزامه بطلاق زوجته إذا حنث وهو لا يقصده؟ مع أن العلاج عند الحنث هو الكفارة التي بيَّنها الله تعالى في كتابه؟.

٤ - إن الحكم بلزوم الطلاق بأيمان الطلاق جعل الناس يقعون في مخالفات شرعية يعود ضررها عليهم وعلى المجتمع ككل باحتيالهم في نقضها بأنواع من الحيل يبتغون بها أن تعود المرأة إلى زوجها. وقد ذكر ابن تيمية في فتاواه خمسة أنواع من المفاسد يقع فيها الناس بسبب إلزامهم بالطلاق عند الحنث ترمي بمجموعها إلى إبطال حكمة الشريعة من تشريع الطلاق وإبطال حقائق الأيمان المودعة في آيات الله تعالى. ومن هذه الحيل مما لم يذكره ابن تيمية ما ورد في «نوازل الديلمي»: «وسئل عمن حلف لزوجته بالأيمان اللازمة إن فعلت فعلاً ففعلته فماذا يلزمه؟ فأجاب: قال الإمام ابن زرب(٤٥): من قال لزوجته: الأيمان لازمة إن دخلت دار فلان لا كنت زوجة، يطلقها طلاقاً خلعياً ويبرأ يمينه وله ردها بعد ذلك والله تعالى أعلم»(٤٦) ●

الهوامش :

١ - انظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية: ج٣/٣٢٤. وانظر مصنف عبدالرزاق: ج٦/ ٣٧٩ - ٣٨٢، فإن فيه مزيد بيان لأمثلتها.

٢ - انظر المدونة الكبرى: ج٣/٢، وقال نحو هذا الكاساني.

٣ - بدائع الصنائع للكاساني: ج٣/٤.

٤ - المدونة الكبرى للإمام مالك برواية سحنون: ج٣/٤.

٥ - المغني لابن قدامة: ج٧/٤١٠.

٦ - هو أبوالحسن علي بن قاسم بن محمد التجيبي، اشتهر بالزقاق، له النظم المعروف بالزقاقية، توفي سنة ٩١٢هـ، ترجمته في شجرة النور الزكية لابن مخلوف: ٢٤٧ رقم ١٠٢٠.

٧ - مواهب الخلاق شرح لامية الزقاق: ج٢/٣٨٣.

٨ - التدريب على الوثائق العدلية: ٦٥.

٩ - إعلام الموقعين لابن القيم: ج٣/٤٦.

١٠ - نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نذر المعصية فيما أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها: «ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه». رقم الحديث ٦٧٠٠. ولمسلم من حديث عمران: «لا وفاء لنذر في معصية» ينظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب النذر، رقم الحديث ١٦٤١.

١١ - حكى النووي أن جمهور العلماء على أن النذر إذا كان مباحاً كدخول السوق لم ينعقد النذر ولا كفارة عليه. ينظر صحيح مسلم بشرح النووي، شرح الحديث رقم ١٦٤١.

١٢ - الفتاوى الكبرى لابن تيمية: ج٣/٢٤١.

١٣ - المحلى لابن حزم: ج٩/٤٧٦ رقم ١٩٦٥.

١٤ - أعلام الموقعين: ج٣/٥٠.

١٥ - انظر كتاب تشريعات الأحوال الشخصية للمسلمين: ٢٩.

١٦ - انظر الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده: ج٢/١٢٤.

١٧ - الفتاوى للشيخ محمود شلتوت: ٣٠٥.

١٨ - الفرقة بين الزوجين لعلي حسب الله: ٥٥.

١٩ - النقد الذاتي للأستاذ علال الفاسي: ٢٩٨.

٢٠ - الحلال والحرام في الإسلام للدكتور القرضاوي: ٢٠٣.

٢١ - المحلى لابن حزم: ج٩/٤٧٦ رقم المسألة: ١٩٦٥.

٢٢ - صحيح البخاري: كتاب المناقب، رقم الحديث ٣٨٣٦، وصحيح مسلم بشرح النووي: كتاب الأيمان رقم الحديث ١٦٤٦.

٢٣ - المحلى: ج٩/٤٧٧ رقم المسألة: ١٩٦٥.

٢٤ - صحيح البخاري كتاب الأيمان والنذور رقم الحديث ٦٦٤٦، وصحيح مسلم بشرح النووي: كتاب الأيمان، رقم الحديث ١٦٤٦.

٢٥ - هي قوله تعالى: (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير) المجادلة: ٣.

٢٦ - هي قوله تعالى: (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر، فإن فاؤوا فإن الله غفور رحيم. وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم) البقرة: ٢٢٦ - ٢٢٧.

٢٧ - منها ما يجوز من النذور وما لا يجوز، وحكم قضاء النذر عن الميت. (ينظر الموطأ للإمام مالك: كتاب النذور والأيمان ج٢/٣٧٦.

٢٨ - التقريب شرح مدونة الأحوال الشخصية: ٢٤١.

٢٩ - الحلال والحرام في الإسلام للقرضاوي: ٢٠٣.

٣٠ - صورة الحلف بالعتق أن يقول السيد: «إن لم افعل كذا فكل مملوك لي حر» ينظر أعلام الموقعين: ج٤/٩٢.

٣١ - انظر أعلام الموقعين: ج٤/٨٢.

٣٢ - الفتاوى الكبرى: ج٣/٣٠٨ - ٣٠٩.

٣٣ - صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب الأيمان رقم الحديث ١٦٥٠. وسنن الترمذي كتاب النذور والأيمان رقم الحديث ١٥٣٠، وقال أبوعيسى: «حديث حسن صحيح».

٣٤ - أعلام الموقعين: ج٢/ ٥٠ - ٥١.

٣٥ - الفتاوى الكبرى: ج٣/٣١٠.

٣٦ - أعلام الموقعين: ج٢/ ٦٣.

٣٧ - انظر التقريب شرح مدونة الأحوال الشخصية: ٢٤٢.

٣٨ - سبق تخريجه.

٣٩ - مصنف عبدالرزاق: ج٦/ ٤٠٦.

٤٠ - سنن أبي داود: كتاب الأيمان والنذور، رقم الحديث: ٣٢٥١. وسنن الترمذي كتاب النذور والأيمان رقم الحديث: ١٥٣٥. وقال الترمذي: هذا حديث حسن».

٤١ - صحيح البخاري: كتاب التوحيد، رقم الحديث ٧٤٠١.

٤٢ - الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده: ج٢/١٢٤.

٤٣ - الفتاوى للشيخ شلتوت: ٢٣٤.

٤٤ - سبق تخريجه.

٤٥ - هو أبوبكر محمد بن بقي بن زرب القرطبي قاضي الجماعة بها توفي سنة ٣٨١هـ، ترجمته شجرة النور الزكية لابن مخلوف: ١٠٠ رقم ٢٤٩.

٤٦ - نوازل الديلمي: ٢٩.

هل حقوق المرأة مهضومة في التشريع الإسلامي؟

بقلم: أ.د بوجمعة جمي

ليس الهدف من تعاور هذا الموضوع بالدراسة الموجزة هو بسط القول في ما كرَّم به الإسلام المرأة من حقوق، فهي فوق ما يمكن تصوره، وقد قيل فيه الكثير، ولكن الهدف هو تبيان أهم الأسس التي تبنى عليها الشريعة الإسلامية أحكامها، الأمر الذي لا يُنتبه إليه عادة في دراستها، وهو ربط تلك الأحكام بسلوك المسلم المخاطب، الذي توجهه خشية الله تعالى توجيهاً عظيماً لا يوجد في أي مصدر آخر موجِّه لسلوك الناس. لأن رقابة الوازع الديني المستمرة ليست كالرقيب الذي تضعه القوانين الوضعية، إذ إن سلطته محدودة، ولا طاقة لها بمراقبة أسرار الإنسان.

لذلك سنقف في بعض المحطات التي فضل الله عز وجل فيها الرجل على المرأة تفضيلاً قد يبدو لبعضهم أنه السبب في إلحاق الرجل الضرر بالمرأة، دون البحث عن مسوِّغ هذا التفضيل على مستوى الظاهر، وعلى مستوى جانب من الحكمة الإلهية فيه.

دأب الغرب على التبجح بوضع قوانين وبيانات تضبط ممارسة الإنسان لحقوقه، كما أنه يتبجح بالدفاع عن حقوق المرأة وحقوق الطفل خاصة، معتقداً أنه السبَّاق إلى هذه المكرمات، التي غُيِّبت في سلوك المجتمعات البشرية وقوانينها وأعرافها، وقد تعمد مهندسو هذه الشعارات والقوانين المنظمة لهذه الحقوق أن يقفزوا على مصادر هضمها ومسبباته لينزلوا بمظلتهم في ساح الإسلام الذي يعارض ويشوَّه منذ أن صدع الرسول صلى الله عليه وسلم بما أُمر به، وهذه المحاربة اختلفت أساليبها عبر التاريخ، منها الحملة الإعلامية المبنية على الإقناع «الديماغوجي»، وعلى الهجمات العسكرية المتطورة، وذلك بتشويه منهج الإسلام في تنظيم حياة البشر، وتمتيع المرأة - خصوصاً - بحقوقها، وهذا التحامل كالجرثومة تتنوع أشكاله وصوره تبعاً لتنوع الظروف والعوامل، ذلك أن أعداء الإسلام دأبوا على نعته بكونه هضم حقوق الإنسان بعامة وحقوق المرأة بخاصة، متخذين سلوك بعض المسلمين المنحرفين ذريعة لهذا الادعاء المبني على جهلهم للتعاليم الإسلامية المراعية لجميع متطلبات الإنسان النافعة له، ومصالحه عبر حياة البشرية، أو حقدهم على الإسلام ومعتنقيه.



يقول تعالى: (الرجال قوَّامون على النساء بما فضَّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)(١).

يقول الزمخشري: «يقومون عليهن آمرين ناهين، كما يقوم الولاة على الرعايا... وفيه دليل على أن الولاية إنما تستحق بالفضل، لا بالتغلب والاستطالة والقهر، وقد ذكروا في فضل الرجال: العقل، والحزم، والعزم، والقوة، والكتابة في الغالب، والفروسية، والرمي وأن منهم الأنبياء والعلماء، وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى، والجهاد، والآذان، والخطب، وبما أنفقوا: وبسبب ما أخرجوا في نكاحهن من أموالهن في المهور والنفقات»(٢).

فإذا كان الله تعالى جعل الرجل قوَّاماً على المرأة، فإنه أوجب عليه أن يوفر لها ما تضمنه قول النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يجيب عن سؤال والد حكيم بن معاوية ﵁: «يا رسول الله، ما حق زوج أحدنا عليه؟ قال: «تطعمها إذا أكلت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبِّح ولا تهجر إلا في البيت»(٣)، لقد حفظ الإسلام كرامة المرأة فحذَّر الرجل من تقبيحها بإسماعها ما تكره، وما يجرح نفسها، وبما أن الرجل قوَّام على المرأة بموجب ما فضله به الله

على مستوى التكوين البيولوجي والفيزيولوجي، وتحمل المسؤولية الكبرى، وغيرها من الخصائص الأخرى، فإن هذا التفضيل تقابله ضمانات شرعية تحمي المرأة من سوء فهم الرجل للهدف من الحقوق التي فُضّل بها، إضافة إلى أن الإسلام حينما يشرِّع قوانينه وأحكامه، ينطلق من كون المؤمنين الذين سيطبقونها لهم وازع ديني وعقل رزين يجعلان الزوجين وجلين خائفين من الله عز وجل في كل سلوك يُقدمون عليه، لذلك أذن للرجل بتأديب زوجه تأديباً خفيفاً قصد تقويم إعوجاجها الذي غالباً ما ينتج مما يتولد عن أنوثتها، وتكوينها العام، فقد ثبت علمياً - إن كان لزاماً إقناع من قصر نظرهم وعميت قلوبهم - أن دماغ المرأة أقل تركيزاً من دماغ الرجل، وهو ما سبق إلى الإشارة إليه قوله تعالى: (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضلَّ إحداهما فتذكِّر إحداهما الأخرى) البقرة: ٢٨٢.

يقول الزمخشري: «وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند أبي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص». ويقول: «ومن بدع التفاسير: فتذكِّر، فتجعل إحداهما الأخرى ذكراً، يعني أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر»(٤).

لكن الله عز وجل ربط هذا الإذن بما ينبغي أن يتوافر في المؤمن من التقوى التي تمنعه من ظلمها، وهو الشرط الشرعي والمنطقي الذي يتجاهله من لا يربط سلوك الرجل المتقي بالحكم الشرعي التأديبي، أي الضرب الخفيف التأديبي الذي لم يبحه الإسلام إلا إذا كان له مسوِّغ شرعي، ولا تشوبه شائبة من الظلم، فالنبي ﷺ يقول: «لا يجلدْ أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم»(٥)، أما هجر الرجل لزوجه في فراشها فهو إجراء دال على غضبه عليها، غالباً ما لا تتحمله، لكونها تشعر بالمهانة وغيرها، فتحس بانقطاع رابط قوي أسس عليه رباط الزواج، فتتراجع عن خطئها.

وإذا انتقلنا إلى محطة الميراث نجد الإسلام قد فضل الذكر على الأنثى في نصيبيهما من الميراث، لحكمة إلهية، يمكن إدراك جزئية منها، وهي أن الذكر هو المسؤول في التشريع الإسلامي عن المرأة مسؤولية تحرم عليه التصرف في مال زوجته إلا برضاها، وعلى الرغم من ذلك فإن الشريعة الإسلامية منحت للأنثى نصيباً مهماً من الميراث، إلى درجة أنها قد ترث ما فسر به قوله تعالى: (فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين) النساء: ١١.

يقول الزمخشري: «ألا ترى أن امرأة لو تركت زوجاً وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقي للأب حازت الأم سهمين والأب سهماً واحداً، فينقلب الحكم إلى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين»(٦).

ومن محطات حقوق المرأة حقها في الزواج بعد موت زوجها وهي نفساء، مراعاة لضمان استمرار حياتها في كنف من يصون حقوقها، وينفق عليها، في الحديث الشريف: «فأرسل ابن عباس غلامه كُريباً إلى أم سلمة يسألها، فقالت: قُتل زوج سُبيعة الأسلمية، وهي حبلى، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخُطبت، فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٧).

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمعاملة المرأة معاملة طيبة، وذلك في قوله: «واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خُلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تُقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً»(٨).

إن ما يمكن أن يجعل قوة الرجل البدنية والعقلية وشعوره بتفضيله عن المرأة في بعض الأمور، سبباً في ظلمها، احتاطت الشريعة الإسلامية في إزالته بشتى الوسائل منها هذا الحديث الذي دعا فيه النبي صلى الله عليه وسلم المسلم إلى معاملة المرأة معاملة حسنة، تضمن كرامتها وحقوقها العامة، كما أن المسؤولية قد تم تقاسمها بينهما كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكلم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(٩)، وهكذا ضمن الإسلام للمرأة كل حقوقها، وحَفِظَ كرامتها، وأشركها مع الرجل في تحمل المسؤولية لتكون عضواً عاملاً في الأسرة، وفي المجتمع، لتُسهم في تحقيق متطلبات البشر عبر التاريخ.

ومن محطات حقوق المرأة حماية الإسلام لليتيمة التي تكون تحت كفالة رجل يحل له الزواج بها، فقد نزلت آية كريمة في هذا الأمر، وهي قوله تعالى: (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يُتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط) النساء:١٢٧.

يقول الزمخشري: «وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه ومالها، فإن كانت جميلة غنية قال: زوِّجها غيرك والتمس لها من هو خير منك، وإن كانت دميمة، ولا مال لها قال: تزوجها فأنت أحق بها»(١٠)

قالت عائشة - رضي الله عنها - في سبب نزول هذه الآية الكريمة: «هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليُّها ووارثها فأشركته في ماله حتى في العَذْق فيرغب أن يَنكحها ويكره أن يزوِّجها رجلاً فيَشركه في ماله بما شركته، فيعْضُلها فنزلت هذه الآية»(١١).

فهل الفكر الغربي كرَّم المرأة بحقها في الحرية التي جعلها وسيلة لاستغلالها في مجالات متعددة استغلالاً بشعاً أدى إلى الإجهاز على كرامتها، وتمريغ شرفها في التراب، فقد استُغلت في المجال السياسي والإعلامي، وفي الإعلانات التجارية التي أصبحت وسيلة لإغراء الوسيط التجاري والمستهلك، كل ذلك باسم الحرية ومساواتها مع الرجل، فأي حرية هذه التي نزعت عن المرأة لباس الشرف والعفة والكرامة الذي كساها به الإسلام.

إن من يتتبع التشريع الإسلامي في مجال حقوق المرأة سيقف على حقيقة جليلة، وهي أن الإسلام راعى خصائص الأنوثة والفرق البيولوجي والفيزيولوجي بين الرجل والمرأة، فشرَّع قوانين وضوابط تجعل الرجل مكرَّماً في موقعه، والمرأة مكرَّمة في موقعها، وجعل بينهما مودة ورحمة واحتراماً متبادلاً يؤدي إلى تقاسم المسؤولية بينهما طيلة استمرار العلاقة الزوجية بينهما ●

الهوامش :

١ - تفسير الكشاف للزمخشري ١/٤٩٥، رتبه وضبطه محمد عبدالسلام شاهين. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢ - رواه البخاري وأبو داود والنسائي وغيرهم.
٣ - تفسير الكشاف ١/٣٢١.
٤ - رواه البخاري في باب النكاح.
٥ - تفسير الكشاف ١/٤٧٣.
٦ - رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، سورة الطلاق.
٧ - رواه البخاري في كتاب النكاح.
٨ - رواه البخاري في كتاب النكاح.
٩ - تفسير الكشاف ١/٥٥٨.
١٠ - نفسه ١/٥٥٨. العَذْق: النخلة.

من أحكام الحرمة بالرضاع

زوجية المرضعة وأثرها على الحرمة بالرضاع



بقلم: د.محمد نجيب عوضين المغربي. استاذ الفقه في كلية الشريعة. جامعة الكويت

هل يشترط الفقهاء ضرورة أن يكون لبن الرضاع ناجماً عن وطء الزوجية وعن حمل وولادة أم لا؟ يدعونا هذا إلى الحديث عن بعض أحوال المرضعة التي سبق لها الزواج كالمطلقة والأيم، أو من هي في زوجية قائمة، لكنها صارت آيسة أو عجوزاً أو من الأصل عاقراً لم تنجب وبالرغم من ذلك ثار لها لبن فأرضعت به صغيراً، فهل ينشر هذا الرضاع الحرمة؟ وماذا لو كان لبن الرضاع ناجماً عن حمل وولادة بسبب الزنى أو من زوجة لاعنها زوجها فهل ينشر الحرمة أيضاً؟، وما أثر كل ذلك على الرجل المرتبط بالمرأة؟

من المعلوم: اتفاق الفقهاء على أن اللبن الذي يثوب لدى الزوجة بسبب حملها وولادتها ثم ترضع به صغيراً أنه ينشر الحرمة بينها وبينه وبين زوجها وبينه فيصير أباه من الرضاع، وأقاربهما أقاربه بالدرجة نفسها، وهذه هي الصورة الطبيعية التي تكون عليها المرضعة وإن كانت أغلب المذاهب الفقهية لم تنص صراحة على اشتراط كون المرضعة قد ثاب لها اللبن بسبب حمل وولادة في زوجية قائمة بدليل أن هذه المذاهب قد تحدثت في شروط كثيرة لصلاحية المرضعة للرضاع ونشر الحرمة بينها وبين الرضيع، فقالوا على سبيل المثال: ينبغي أن تكون في سن الحيض(١)، أو كونها تتحمل الوطء أو وطئت مثيلاتها دون نص مباشر، لضرورة أن تكون في زوجية، أو حملت وولدت فأتاها لبن الرضاع صحيحاً فهذا هو الوضع الطبيعي الذي يلحقه التطور بجسد المرأة ويحرك أجهزتها، لكن ليس هذا بأمر لازم فقد تضطرب هذه الحركة فيأتي المرأة اللبن في صدرها دون حمل أو قبل الولادة.

روى سحنون سؤال الإمام مالك الذي وجهه إليه «أرأيت لو أن امرأة تزوجها رجل فحملت منه فأرضعت وهي حامل صبياً أيكون اللبن للفحل قال نعم»(٢)، وقد يكون ذلك قبل الحمل، وقبل الولادة فقد جاء في المدونة سئل الإمام مالك «أرأيت الرجل يتزوج المرأة فترضع صبياً قبل أن تحمل ودرت له فأرضعته ولم تلد قط وهي تحت زوج أيكون اللبن للزوج أم لا؟»، ومعنى ذلك أن المرأة قد ثاب لبنها قبل أن تحمل وقبل الولادة وكانت إجابة سحنون أنه للفحل(٣) وقد يحدث العكس بالرغم من حملها ووضعها فيجف ضرعها لوليدها بإرادة الله فتضطر لتقديمه لمرضعة أخرى لتتم رضاعه. صحيح إن الزوجية والمعاشرة لهما دور كبير في تهيئة المرأة في نزول اللبن منها، كما ورد عن الإمام مالك في مدونته «أن الوطء يدر اللبن ويكون منه استنزاله، إلا أن ذلك على سبيل الغالب كما ذكرنا، لأن لبن الزوجية يكون مستمراً وكافياً للرضاع خلال الحولين بسبب الوطء والحمل والولادة، لكن هذا لا يمنع طروء الأحوال الأخرى من نزول لبن المرأة بصورة أقل في الكمية والزمن وهي في غير زوجية أو في زوجية، ولكنها لا تحمل ولا تلد.

وإذا كان الوضع الغالب للمرأة المرضعة أن تكون في زوجية وعقب حمل وولادة ليكون لبن الرضاع موفوراً لديها، وكافياً للاستمرار خلال حولي الرضاع، وهذا هو الطبيعي والمألوف، فليس معنى ذلك أنها في غير هذه الحالة لا يثور لها لبن، وقد تعددت نصوص الفقهاء في ضرب أمثلة على ذلك بينوا فيها أن المرأة قد ترضع وهي في غير حمل أو في فترة الحمل وقبل الولادة، صحيح أن ذلك يكون بكمية أقل

وفي زمن محدود، ويرتبط ذلك برأي أهل الخبرة من الأطباء تفصيلاً(٤)، فتلحق هذه الحالة بالحالة الغالبة في حكمها في نشرها للحرمة بالرضاع طالما توافرت باقي شروط الرضاع الأخرى.

وعلى الجانب الآخر فقد اشترط الإمام أحمد للتحريم بالرضاع ضرورة أن يكون لبن المرضعة قد ثاب للمرأة عن حمل لأن ذلك هو السبب الرئيس في تهيؤ المرأة للرضاع(٥)، ومن هنا فإنه ينبغي لنا أن نتعرض لبعض الحالات التي يثور فيها لبن رضاع للمرأة وهي في حالات مختلفة بالنسبة للزوجية من عدمها.

فقد تكون ثيباً سبق لها الزواج سواء أولدت أم لا، وقد تكون آيسة أي بلغت سن اليأس من الحيض وهي مع زوجها وسبق لها الحمل والولادة، وقد تكون مع زوجها ولكنها عاقر لم ترزق بالولد، كما قد تكون عجوزاً لا يتصور ولادتها سواء أكانت مع زوجها أم لم تتزوج وتلحق بالبكر الصغيرة، ويضم إلى هؤلاء الأرملة التي مات عنها زوجها وسبق لها الحمل والولادة منه، فكل هؤلاء لو ثار لهن لبن فأرضعن به صغيراً، فهل ينشر لبنهن الحرمة بينهن وبين الرضيع؟ وما حكم الزوج من هذه الحرمة رغم أنه لم يسبب اللبن بالحمل والولادة؟ هذا ما سنفصل رأي الفقهاء فيه في سلسلة التطبيقات التالية في العدد المقبل إن شاء الله ●

الهوامش:

١ ـ جاء في حاشية الشرقاوي ج٢ ص ٣٤٠، «كونها أي المرضعة آدمية بلغت سن الحيض».
٢ ـ جاء في المدونة الكبرى للإمام مالك ج٢ ص ٢٨٩.
٣ ـ المدونة الكبرى ج٢ ص ٢٩٠.
٤ ـ راجع ص ٥٣ وما بعدها.
٥ ـ الشرح الكبير لابن قدامة ج٩ ص ١٩٦.

عقبات في وجه العفاف

أنين العفاف

بقلم: مسعد الشاذلي

الزواج هو الملاذ الوحيد للشباب في عصرنا هذا بعدما أطلت الفتن علينا من كل اتجاه، بل داهمتنا في بيوتنا وعلى أسرّة نومنا من خلال أجهزة الإعلام المرئية التي تتفنن ليل نهار في نشر الرذيلة بين الأسر، ويلتفت المرء المسلم يمنة ويُسرة يبحث عن المخرج من هذه الفتن فلا يجد سوى العلاج الناجع الذي شرَعه الله عز وجل: إما العفاف وإما الزواج، هذه هي نظرة المسلم الصادق في إسلامه، العامل بدينه، ويستطيع الشاب المسلم أن يصبر خلال فترة الدراسة وبعد الدراسة يأتي الوقت المناسب لأن يعف نفسه بالحلال يعف نفسه بالزوجة، يعف نفسه من خلال البيت الطاهر، ولكن كثيراً ما يجد من العقبات ما يحول بينه وبين ما يريد، وهي عقبات من صنع أيدينا حذرنا الإسلام منها وفق هذه العقبات:

١. المغالاة في المهور، ولكن يأبى الناس كل الناس إلا المغالاة.

٢. عدم الإنفاق بإسراف على بيت الزوجية، إلا أن الآباء والأمهات ومعهم البنات رفضوا العريس لأنه ليس في وسعه شراء المكنسة الكهربائية، وإقامة حفل الزواج في مكان مرموق يليق بالعائلة، ما هذا!! إنها التقاليد البالية، وإن شئت فقل إنها العقول المتحجرة الصلدة، إلى متى نقلد غيرنا... إلى متى يظل التنافس في هذه الأمور مرضاً يتغلغل في نفوسنا... أما آن لنا أن نهتدي بهدي الإسلام، وهدي الإسلام التيسير لا التعسير (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) النور:٣٢، التيسير في جميع أمورنا، قال صلى الله عليه وسلم: «إن الدين يسر».

وفي هذا الأمر على وجه الخصوص يقول عليه الصلاة والسلام: «أقلهن مهراً أكثرهن بركة»، أم أننا نريد للفواحش أن تنتشر أكثر وأكثر وأن يظل العفاف يبكي ويئن.

وعقبة أخرى «العريس المناسب»، ويُراد هنا المناسب في وضعه المادي فقط، دون النظر إلى الاعتبارات الأخرى وأعني: الدين وهو أهم اعتبار.

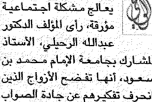
وتنتظر الفتاة عاماً وبعد عام وإلى أن يتقدم بها العمر، وتصبح في عداد العوانس، تنتظر فارس الأحلام وقد تأخر كثيراً، ويبدو أنه لن يظهر... لماذا؟ لأن ما تحلم به الفتاة ليس له حقيقة في أرض الواقع.

وثمة أمر آخر: أن الكثير من الشباب أصبح يشكو ويقول: أين الفتاة الشريفة، ونقول له لا تتشاءم يا أخي فمازال في بيوت المسلمين الخير الكثير، وما عليك إلا أن تخلص النية لله وأن الله سيوفقك، أما قرأت قوله تعالى: (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) النور:٢٦.

فإذا ما كان توجهك إلى الله خالصاً فثق أن الله رازقك بمن تحب فما عليك إلا أن تغسل يدك من الأوساخ التي علقت بها وساعتها سوف تجد الطعم الطيب لما في فمك، وفقك الله لما يحب ويرضى ●

إنهم يتزوجون الوظيفة

قراءة/ د. عباس عبدالحليم عباس



«أزواج بالكذب» كتاب يعالج مشكلة اجتماعية مؤرقة، رأى المؤلف الدكتور عبدالله الرحيلي، الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود، أنها تفضح الأزواج الذين انحرف تفكيرهم عن جادة الصواب حين راحوا يبحثون عن زوجة أهم ما فيها أن تكون موظفة، ليضعها الزوج في بيته، ويستولي على راتبها من دون أن يشعر بأي غضاضة أو حياء، ومن دون أن يحسب حسابا لرضى الزوجة، أو أهلها، أو مشاعرهم، بل يدعي أن هذا من حقه مع أنه واقع في أكل ما حرَّمه الله من أموال بغير وطيب نفس، ذلك أن الزوج الشهم لا يحل لنفسه أخذ شيء من مال زوجته إلا بالمعروف، وطيب نفس.

زوجة مكسورة الجناح

لقد تضخمت هذه المشكلة في مجتمعاتنا وصارت عبئاً يثقل كاهل كثير من الأسر المسلمة، حتى غدت الحياة بين الزوجين حياة مادية تقوم على المصلحة الآنية، لا المحبة والمودة وخفض الجناح. فأي حب هذا الذي يتبقى، وأي احترام هذا الذي يدوم بين زوج متسلط وزوجة مكسورة الجناح مكرهة على دفع راتبها، وأجر معاناتها اليومية لامرئ لا يراعي الله فيها، بل يرى أن ذلك حق قوامته عليها؟!

إن هذه الصورة في نظر الباحث صورة مخزية، والأشد خزياً موقف ذلك الزوج الذي يدَّعي الشهامة فيرفع يده عن راتب زوجته شرط أن تنفق على نفسها بنفسها، بل يجبرها أحياناً على مشاطرته نفقة البيت، أو دفع إيجاره.

ويعجب المؤلف كيف فهم هؤلاء (حق القوامة)؟! وهو الحق الذي شرعه الله سبحانه لسعادة الأسرة وضبط أمورها لا لظلم الزوجة واغتصاب حقوقها، بحيث يتحول العقد - هنا - من عقد زواج إلى عقد تجاري بغيض، وكي يضع الباحث المشكلة في إطارها الشرعي، راح يرصد عدداً كبيراً من نصوص القرآن الكريم والسنَّة المطهرة، مما يفضح هذا الظلم، ويكشف وخامة عاقبته، ومنها قوله تعالى: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) البقرة:١٨٨. وقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (ليس يحل لمسلم من أخيه شيء إلا ما أحل من نفسه) وغير ذلك كثير.

إجراءات علاجية

وبعد ذلك ذهب الدكتور الرحيلي يحدد عدداً من الإجراءات العلاجية لهذه المشكلة، وأولها «الإجراء الوقائي» المتمثل بتقصي حقيقة الرجل الذي يتقدم للزواج بالفتاة، ومعرفة هدفه وغايته من خلال تفحص سيرته والنظر في أقواله وطبيعة تفكيره.

ثم ننتقل إلى دائرة الزوج نفسه كخطوة ثانية، فيحثه المؤلف على تقوى الله، واستغفاره من هذا الظلم - إن فعل - والعودة عن هذا العدوان، وليعلم أن الله أقدر عليه من قدرته على زوجته. والدائرة الثالثة لدى المؤلف تتمثل في قيام المظلوم بنفسه برفض الظلم الواقع عليه، فعلى الزوجة مطالبة زوجها بكف عدوانه بالتي هي أحسن وإلا تشكوه. ثم توثق حقوقها ولنتذكر أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

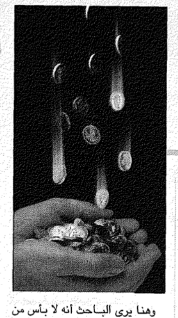
أما المجتمع فله دوره المهم في حل المشكلة، فعلى أولياء الأمور توخي الدقة في اختيار الزوج، وعليهم مراعاة الله في تربية أبنائهم فلا يسمحوا لهم بممارسة الظلم والعدوان، وإن حدث شيء من ذلك تدخل الحكماء من الأقارب لإظهار الحق وإبطال الباطل.

إن أقارب الزوج يتحملون جزءاً من المسؤولية في نصرة الحق. وكذلك على الدولة وولاة الأمر تحسس هذه الظلمات، وسن القوانين الرادعة لكل من يتورط في ظلم زوجته واغتصاب حقوقها.

حسابات مادية

ويربط المؤلف بهذه المشكلة مشكلة مماثلة لدى الآباء الذين لا يتقون الله عزَّ وجل، فحولوا عاطفة الأبوة، والمودة، والرحمة تجاه بناتهم إلى الحسابات المادية الجائرة، من خلال تأخير زواجهن لاستغلال مرتباتهن أقصى ما يمكن، متحججين ببعض المعاذير التي لا تنضوي على ذي لب، ومستشهدين بنصوص في غير مواضعها مثل (أنت ومالك لأبيك)، متناسين أن ما استباح لنفسه شيئاً من الظلم متحججاً بشيء من شرع الله فقد كذب على الله سبحانه، فماذا ينفع اللئيم إذا قدم على ربه بقلب غير سليم؟، وقد ظلم العيال والحريم؟!

وبما أن المشكلة ذات تشعبات كثيرة، وظلال ممتدة، حدد المؤلف بعض المخاوف التي تبدو كتساؤلات في ذهن القارئ نتيجة المواجهة والصدام مع أطراف هذه المشكلة وعلى رأسها الطلاق ومصير الأولاد، ونظرة المجتمع ولومه.



وهنا يرى الباحث أنه لا بأس من التفكير بهذه المخاوف شرط ألا تكون حائلاً للإنسان من دون مباشرة الأسباب التي شرعها الله لعباده للخروج من مثل هذه المظالم، كما أن الإنسان ينبغي أن يعلم أن التفكير الصحيح ليس حراماً، بل هو الواجب مهما كانت النتائج، ومعنى هذا أن المؤلف لا يدعو إلى الطلاق، إنما إلى النظر في كل الحلول، وعدم استبعاد التوجه إلى الانفصال إذا كان هو الحل الأمثل أو المتعين في حال ما، وإلا فما الحكمة من تشريع الله للطلاق، أو الفسخ، إذا كان علاجاً حازماً ولا علاج غيره.

ولا ننسى أن الشرع أباح للزوجة المظلومة أن تسعى لدى القاضي بالفسخ فتكون هي التي تركته وليس العكس، وفي هذا شرف لها لا منقصة كما يفهمها بعض الجاهلين.

قصص واقعية

ومن أجل وضع المشكلة في إطار واقعها الاجتماعي ساق لنا المؤلف ثماني قصص واقعية تكشف الصور المأساوية الناجمة عن هذه المشكلة ويستعرض آراء العديد من أهل الاختصاص من قضاة ومحامين في تلك القصص، ثم يعقب المؤلف بنظرة ثاقبة وعميقة تدل على تفكير سليم، وفهم للأمور على حقيقتها، فيرى أن الظلم ليس مدعاة لفرح الظالم بما

ظن أنه غنيمة، فلا يظن أنه بمنجاة من عذاب الله سبحانه وتعالى. فكم انقلبت الحال فأصبح الظالم في مأساة، وأصبح المظلوم في منجاة (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) الطلاق:٢، ويقر المؤلف بأهمية الصبر ودعوة الزوجة أن تصبر وتحتسب، لكن هذا ليس على إطلاقه، إذ ينبغي ألا ندس رؤوسنا في التراب وندعي السلامة، بل علينا أن نضع الأمور في مواضعها، فالظلم محرَّم مطلقاً، وإن من اختار الصبر في غير موضعه فعليه أن يصبر على اختيار نفسه لا على حكم الله وشرعه.

وقبل الخاتمة يدعو الدكتور الرحيلي الزوجة إلى توخي رضى الله سبحانه، والبعد عن ظلم أهله وعياله، وكذلك يدعوها هي وولي أمرها إلى اتباع أوامر الله سبحانه ورسوله عليه الصلاة والسلام، فكما أنكم لا ترضون الظلم من الزوج فكذلك لا يجوز لكم أن تظلموه وإن كان ظالماً، وإلا فإن من عقوبة الله سبحانه أن يسلط الظالم على الظالم، (وما يعلم جنود ربك إلا هو) المدثر:٣١.

واجب الدين والخلق

ويختم الباحث الدكتور الرحيلي بحثه بتوضيح خطورة هذه الظاهرة في مجتمعاتنا المسلمة، ويؤكد على ضرورة تضافر الجهود لحلها الحل الأمثل، والدعوة إلى الصبر، ثم التفكير في كل الحلول السليمة ومراعاة تطبيق شرع الله. وينبه أيضاً إلى أن الظلم ربما يقع من الزوجات وذويهن، فينبغي التنبه لذلك ورفض الظلم والعدوان، ممن كان وكيفما كان.

وأخيراً، فإن هذا الكتاب دعوة لكل من الظالم والمظلوم للأخذ بما يمليه عليهم واجب الدين والخلق، وحق الصحبة والمعاشرة الإنسانية الصادقة، وتمليه عليهم الصفات التي لم ينحرف بفطرتها هوى أو طبع رديء، أو جشع أو تكالب على الدنيا ونسيان الآخرة، والوقوف بين يدي الله الذي إليه المصير.

الكتاب: أزواج بالكتب - د. عبدالله الرحيلي - دار الأندلس/جدة/ ط١/ ١٩٩٩م

حب التأمل

المسافة التاسعة

إيمان القدوسي

بيني وبينه مسافات، وكوني «سكرتيرته» الخاصة لم يلغ هذه المسافات، ولم يجد منها «الاحترام المتبادل» المسافة الأولى التي تفصل بيننا، هناك أيضاً «فارق السن» «معرفته بأهلي وظروفي»، «تقدير زوجته لي»، تلك مسافات أخرى لابد أن آخذها في اعتباري، لذلك كان من المستحيل أن أتخيل أن تلك الأريكة الوثيرة في مكتبه الفخم ستشهد نقطة التحول في حياتي.

كل يوم من أيام العمل الجاد في مكتبه، كنت أضيف مسافة جديدة فاصلة تكشفها لي الأحداث، ولأنني بطبيعتي أحب التأمل واكتشاف الحقائق، فإن تصرفاتي دائماً تتم في ضوء الوعي الكامل - وهذه الصفة اعتبرتها مسافة إضافية - حتى بلغت المسافات التي استوعبتها ثمانية، وحين برقت المسافة التاسعة في ذهني فوجئت بما لم يكن في الحسبان، اختصرت فجأة كل المسافات، وانهارت الحدود والسدود، وأصبحت - لدهشتي - زوجته العرفية أو السرية، وفي حومة الانصهار الكامل بيننا، سقاني كؤوساً من العسل، أدار رأسي وجعلني أحلّق بأجنحة النشوة الشفافة في مداره.

ولأنني لم أتخل عن تلك الصفة التي شرحتها من قبل - أي حب التأمل - اكتشفت في ضوء واقعي الجديد ووعيي المتوهج به أن كل المسافات الفاصلة هي نفسها أسباب التقارب والتجاذب بيننا.

احترامه لي هو الذي دفعه للزواج بي - نعم ذلك أمر مؤكد - «فارق السن» هو الذي اجتذبه لي وبهرني به، «معرفته بأهلي وظروفي»، دفعته لإبقاء زواجنا في دائرة السرية - كما شرح لي - أما كونه زوجاً ورب أسرة فانا أتشكك الآن في احتساب تلك النقطة مسافة فاصلة، فهو يرتاح في واحتي من هجير الزوجة التقليدية... و... ولكن في ذلك اليوم الذي مادت فيه الأرض تحت أقدامنا، وطار الغطاء الواهي الذي كنا نستتر به، وأصبح كل المحيطين بنا أصابع اتهام منذرة وعيون تقدح سخطاً وغضباً وألسنة حداد تسلقنا بأعنف وأحط الاتهامات.

في تلك اللحظة التي سقطتُ فيها في مستنقع آسن يموج بطحالبه العفنة، أغوص فيه وحدي، وبينما أصارع أمواجه العاتية ورائحته العطنة، برقت في ذهني مرة أخرى المسافة التاسعة التي كنت قد بدأت في التنبه إليها يوماً ولم أتثبت منها تماماً، إنها الكرامة، كرامتي وكرامة عائلتي، كرامة أبي ذلك الرجل المسكين الذي اكتشف فجأة أنه الضحية الأولى لما حدث، وأنني قد أجهزت عليه تماماً بقسوة باردة لم أعهدها في نفسه قط.

لم يفجر براكين غضبي وندمي نظرات زوجته المتعالية وهي تتكلم عني باعتباري «فتاة ليل» أحكمت حبائلها حول الفريسة، ولا بكاء أمي وعويلها على سمعتي المهدرة، وشبابي المسروق، ومستقبلي العاثر.

ولكن الطعنة الحقيقية جاءت منه هو «سعادة المدير» الذي وصف علاقتنا بأنها مجرد نزوة عابرة في حياته، وعرض بعض المال لتسوية الأمر، وفي تلك اللحظة نظر إليَّ أبي نظرة اخترقت قلبي الذي سيظل ينزف ما حييت، كانت نظرته تصرخ لماذا؟ لماذا يا ابنتي قطعت عنق أبيك ثم نكست رأسه.... و...

ولم أعد أعي شيئاً، فقد حجبت دموعي الرؤية، ولكن من الداخل انكشفت أمامي تماماً حقيقة الهاوية المغطاة ببعض أعشاب عطرة من معسول القول والتي انزلقنا فيها.

وحين أفقت لنفسي رأيت الحقيقة بسيطة وحادة وشديدة الوضوح، وتجلت أمامي المسافات والأبعاد الحقيقية، وأدركت أن مسافة واحدة كانت تكفي إذا احترمناها ولم نخدع أنفسنا ونصبح كالفراشات الهائمة التي يجذبها اللهب بنوره وناره فتظل تدور حوله حتى تحترق ●

الطفولة المبكرة...
أخطر مراحل النمو العقلي



يطلق بعضهم اسم مرحلة الطفولة المبكرة على مرحلة ما قبل المدرسة، حيث إنها تبدأ بنهاية العام الثاني من حياة الطفل، وتستمر حتى بداية العام السادس.



بقلم: احمد توفيق هلال

وتعد مرحلة الطفولة المبكرة مرحلة مهمة في حياة الطفل، حيث إن نموه فيها يكون سريعاً وبخاصة النمو العقلي، وتشهد هذه المرحلة مجموعة من التغيرات التي تطرأ على الطفل كالاتزان «الفسيولوجي» والتحكم في عملية الإخراج وزيادة الميل إلى الحرية، ومحاولة التعرف إلى البيئة المحيطة، والنمو السريع في اللغة، ونمو ما اكتسب من مهارات الوالدين، وتكوين المفاهيم الاجتماعية، وبزوغ الأنا الأعلى، والتفرقة بين الصواب والخطأ والخير والشر، وبداية نمو الذات وازدياد وضوح الفوارق في الشخصية حتى تصبح واضحة المعالم في نهاية المرحلة.

وفي هذه المرحلة ينمو وعي الطفل بالانفصال والاستقلالية، فلم يعد ذلك المخلوق الذي كان يحمل على الكتف، أو يحبو، إذا أراد أن ينتقل من مكان إلى آخر، بل صار الطفل الآن قادراً على الوقوف على قدميه والتحرك بوساطتهما ما يجعله يعتمد كثيراً على التجوال هنا وهناك، مستكشفاً ومنقباً في اهتمام واضح، بل إنه يخاطر في تنقله، والمخاطرة تفتح له آفاقاً جديدة للمعرفة، ويستطيع هنا استيعاب الظواهر الخارجية، وفيها يتعرف إلى خواص الأشياء وعلاقتها ببعضها بعضاً.

أي أن الطفل ينجذب إلى الاتصال بالعالم المحيط ومكوناته لاستكشافه والتعرف إليه، فهو في هذه المرحلة يكتسب معلوماته عن العالم الخارجي عن طريق حواسه، وقد أثبتت البحوث أن الحواس تولد شعوراً باللذة عند الطفل أكبر مما تولده عند البالغ.

والطفل في هذه المرحلة يستخدم الأسئلة والاستفسارات الموجهة للمحيطين به لمعرفة المزيد عن العالم الخارجي، حيث يكوِّن كل طفل لنفسه ما يُسمَّى ببنك المعلومات، فاللحاء المخي في هذه الفترة يكون في غاية الحساسية، وهذا يجعل من السهل تخزين المعلومات والخبرات ورموز الأشياء

لاستخدامها في اكتساب الخبرات في المستقبل وتفسيرها والتعامل معها.

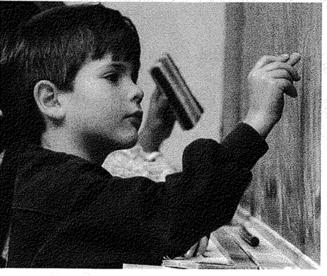
وتعتبر هذه المرحلة العمرية أسرع مراحل النمو اللغوي تحصيلاً وتعبيراً وفهماً، حيث ينزع التعبير اللغوي نحو الوضوح ودقة التعبير والفهم ويتحسن النطق ويختفي الكلام الطفولي مثل الجمل الناقصة والإبدال والثأثأة وغيرها.

فالطفل خلال هذه المرحلة يتمكن من اكتساب ما يقرب من خمسين مفهوماً جديداً كل شهر وبذلك يضيف هذه الثروة الهائلة إلى محصوله اللفظي بما يساعده على الاتصال بالآخرين وفهمهم والتجاوب مع متطلبات الحياة الاجتماعية، كما أنه يعمل كعنصر أساسي في النمو العقلي السليم للطفل.

ويتصف الطفل في هذه المرحلة بالخصوبة المفرطة في الخيال والقدرة على الربط بين الأسباب ونتائجها، إضافة إلى أن النمو العقلي في هذه المرحلة يكون في منتهى السرعة حيث أكد العالم النفسي «بلوم» أن ٥٠٪ من النمو العقلي للطفل يتم فيما بين الميلاد والعام الرابع من عمره، و٣٠٪ منه يتم فيما بين العام الرابع والثامن من حياة الطفل.

وفي هذه المرحلة يكتسب الطفل الكثير من المعلومات، وتتكون لديه المفاهيم المعرفية المختلفة التي تساعده على اللحاق بهذا الركب الهائل من المعلومات وخصوصاً أننا نعيش في عصر الانفجار المعرفي.

ويستمر النمو العقلي للطفل في هذه المرحلة بمعدلات سريعة، ففي هذه المرحلة ينمو لدى الأطفال نماذج من المهارات التي تسمى بالذكاء العام، وذلك إضافة إلى استقرار وثبات مهارات أخرى مثل الإدراك والذاكرة والتعلم وحل المشكلات، وفي هذه المرحلة يتلقى الطفل للمرة الأولى معلومات عن كل ما يحيط به كما أنه يبدأ في تكوين المفاهيم المعرفية المختلفة ما يوضح ضرورة تعريض الطفل في هذه المرحلة لأكبر قدر ممكن من



المعلومات والمفاهيم المعرفية المختلفة بطريقة مبسّطة وصحيحة لتسهل عليه عملية اكتسابها، ولتضمن له نمواً معرفياً سليماً، حيث إن تلقي الطفل في هذه المرحلة لأي معلومة خاطئة يصعب تغييرها لاحقاً ما يؤثر على ثقافة الطفل، كما أن حرمانه من التعرض لهذه المعلومات والمفاهيم في هذه المرحلة يؤثر سلباً على نموه المعرفي.

وتؤكد الاتجاهات المعاصرة في تربية أطفال ما قبل المدرسة، على أهمية تعريض الطفل للمثيرات الحسية المختلفة، وإكسابه المفاهيم المناسبة بما يساعده على اللحاق بهذا الركب الهائل من التطور التكنولوجي والعلمي المعاصر حتى لا نضيع عليه الوقت، وحتى لا نهدر الكثير من طاقاته وقدراته العقلية وحتى لا نفقده الكثير من الخبرات قبل أن يصبح في عمر اللحاق بالمدرسة.

ويبدأ الطفل بتكوين المفاهيم المعرفية في سن مبكرة فبعد مرور عامين من حياته يكون قد كوَّن مفاهيم بسيطة عن ذاته وعن الوجود المادي من حوله، ولأن المفاهيم تتكون من الخبرات التراكمية المكتسبة لأنها تبدأ بسيطة للغاية ومُحسَّةٌ من الواقع المادي للطفل.

ويحاول الطفل في هذه المرحلة أن يعيد بناء كل ما تم تنميته في السنوات الأولى من حياته سواء كان من النمو في اللغة أو في العمليات الرمزية، إلا أن إدراك الطفل للمفاهيم التي يبنيها مازال هشاً في الحدود التي تظل هذه المفاهيم في منتصف الطريق بين تعميم المفهوم وفردية العناصر التي تكون المفهوم من دون أن يصل الطفل إلى مستوى أحدهما بسبب تذبذب وعدم استقرار قدراته التصويرية، ولأن إدراك الطفل للمفهوم في هذه المرحلة من التعلم يرتبط بتكوين مهارات وممارسات يقوم بها الطفل، ويصحح منها شيئاً فشيئاً حتى يكتسب تعميمات وقواعد ترتبط بالمفهوم الذي يدركه في مرحلة لاحقة.

وعملية تكوين المفاهيم عند الطفل عملية لها مدخلات تتمثل في الخبرات التي يستمدها الطفل من الأسرة وجماعة الأقران والمدرسة ووسائل الإعلام وبيئته المحيطة به.

ويجري الطفل لهذه المفاهيم عمليات الإدراك والتصنيف ووضعها في فئات من المعلومات طبقاً للخصائص المشتركة والمتشابهة فيما بينهما، ويخرج من ذلك بعدد من المفاهيم والتوجهات الجديدة تجاه حياته، ويتبلور من خلالها سلوكه وتصرفاته، فكل فرد ينظم حياته على أساس المفاهيم التي تحويها ذاكرته والعلاقة بين هذه المفاهيم، والمتغيرات التي تحكم هذه العلاقات.

والمفاهيم عند الطفل تتضمن دائماً شيئاً أكثر من المعنى الخاص لشخص بعينه أو شيء بعينه، أو حادثة بعينها، أو موقف بعينه، وعلى سبيل المثال مفهوم «أم» ينمو عن طريق خبرة الطفل مع أمه هو وخبراته مع نساء أخريات يقمن بدور الأم معه ومع أطفال آخرين.

ونخلص مما سبق إلى أن تكوّن المفهوم عند الأطفال ما هو إلا عملية توصية اجتماعية تتطلب الالتقاء بالنماذج الكبرى لتمده بخبرات عوضية هادفة لأن الاقتصار على خبراته الشخصية المباشرة يؤدي إلى أن يصبح الطفل محدود الإمكانات، والنمو النفسي السليم يحتاج إلى الجمع بين الخبرات المباشرة والخبرات العوضية ●

المراجع:

١ - زكريا الشربيني، المفاهيم العلمية للأطفال - القاهرة - الأنجلو المصرية، ١٩٨٨م.

٢ - سعدية بهادر، المرجع في برامج تربية أطفال ما قبل المدرسة، القاهرة - المدني - ١٩٩٤م.

٣ - عواطف إبراهيم، نمو المفاهيم العلمية - القاهرة - الأنجلو المصرية - ١٩٨٧م.

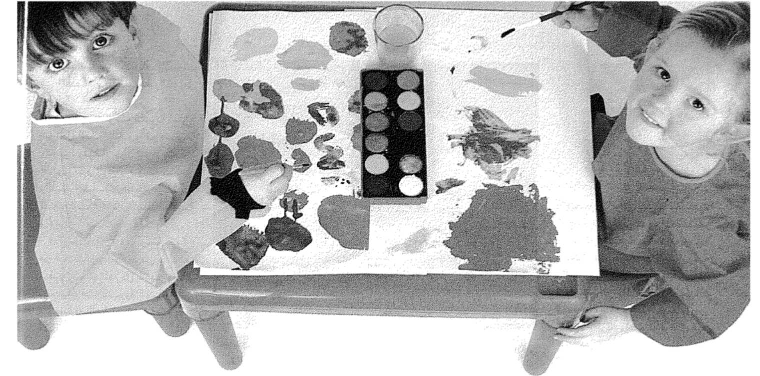
٤ - طلعت حسن، سيكولوجية النمو الإنساني - القاهرة - د، ن، ١٩٧٩م.

٥ - عادل عز الدين، علم نفس النمو - القاهرة - الأنجلو المصرية - ١٩٨٢م.

٦ - حامد زهران، علم نفس النمو والطفولة والمراهقة - القاهرة - عالم الكتب - ١٩٩٠م.

٧ - محمد عماد الدين، النمو النفسي والاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية - الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٦م.

٨ - كوثر حسين، تربية طفل ما قبل المدرسة - القاهرة - عالم الكتب، ١٩٩٢م.



أثر التنشئة الاستهلاكية على سلوكيات الأطفال

بقلم: د.زيد محمد الرماني

التربية السليمة تتطلب إكساب الطفل حقائق وقيماً ومهارات واتجاهات معينة، منها الاتجاه نحو ترشيد الاستهلاك.

وحيث إن كثيراً من المعلومات والنيات المتعلقة بترشيد الاستهلاك وتوجيه المستهلك وتكوين الاتجاهات السليمة لديه ليست فطرية وإنما هي مكتسبة.

فلابد إذاً من دراستها وممارستها وربطها بجوانب الحياة اليومية ومتطلباتها الأساسية.

وحيث إن الطفل فرد في أسرة، مستهلك للغذاء والملابس واللعب والمصروف وممتلكات الأسرة من أجهزة وأدوات.

لذا، فإن الاهتمام بمراقبة الطفل وتوجيه سلوكه التوجيه السليم أمر ضروري حتى يمكنه أن يشارك بنصيب من الجهد والعمل في تنظيم الاستهلاك.

وفي هذا التحقيق نحاول أن نسلط الضوء على مسألة مهمة هي التنشئة الاستهلاكية وأثرها على سلوكيات الطفل.

التطبيع الاجتماعي للطفل ونمط استهلاكه

تحدثنا الأخت عزيزة عاكف عن ذلك فتقول: لا شك أن التطبيع الاجتماعي للطفل له أثره في تحديد أنماط سلوكه الاستهلاكي، إذ إن ترشيد الاستهلاك من أهم أهداف المجتمعات بعامة، فالدول تعمل على ترشيد استهلاك المواطنين وتحضهم على تنظيم الاستهلاك الفردي والأسري.

لذا، فإن نمط استهلاك الفرد يتوقف على مدى وعيه بأهداف الدولة وسياستها الاقتصادية، كما يتوقف على نوعية «المعلومات والعادات والاتجاهات التي تكونت وتأصلت لديه منذ الصغر بالممارسة اليومية.

ماهية التنشئة الاستهلاكية

عن ذلك تحدثنا الدكتورة نوال رمضان فتقول: «إن العملية المستمرة والتي يتعلم من خلالها الطفل المعارف والمهارات والاتجاهات التي تتناسب مع السلوك الاستهلاكي المتعلق بالحصول على المنتجات أو الخدمات واستهلاكها، تُعرف بالتنشئة الاستهلاكية»!.

أما المجالات التي يتضح فيها سلوك الطفل الاستهلاكي، فتوضحها لنا الدكتورة فاطمة البكر بقولها: «من الحكمة تدريب الطفل في سن مبكرة من حياته وفي مستويات الدخل المختلفة على استعمال النقود، ومن الأفضل أن يأخذ الطفل قرار الشراء حسب النقود التي معه».

وينبغي مراعاة أن تكون المبالغ المعطاة للطفل مناسبة لسنّه، وأن تعطى له بانتظام.

وواجب الأسرة تشجيع الطفل على البدء في ممارسة عملية الشراء عن طريق اختيار شيء معين ثم دفع ثمنه.

كما يستحسن أن تتاح للطفل الفرص لشراء الملابس والألعاب والغذاء، حتى يدرك أن السلع المختلفة لها أسعار مختلفة.

ثم إن ذهاب الطفل إلى المتجر للشراء بنفسه يشعره بالارتياح والثقة في النفس والاستقلال، لتنمية قوة الشخصية لديها.

الملابس وسلوكيات الأطفال الاستهلاكية

تقول الدكتورة البكر: «إن الملابس تلعب دوراً مهماً في

الإنفاق الاستهلاكي، وفي تكوين شخصية الطفل، وتكوين صداقات جديدة، وزيادة شعوره بالثقة بالنفس. فعلى الأسرة أن تنمّي لدى الأطفال عادات وسلوكيات سليمة في اختيار الملابس من حيث الجودة والثمن».

الغذاء وسلوكيات الأطفال الاستهلاكية

تقول الدكتورة البكر: «يلعب الغذاء دوراً مهماً هو الآخر في جميع مراحل العمر. إذ ينبغي إكساب الطفل عادات غذائية صحية سليمة حتى يكون له أكبر الأثر في اتباع الطفل سلوكاً صحياً وغذائياً سليماً سوياً عند الكبر».

وتبيِّن الدكتورة رمضان دور الأسرة في التنشئة الاستهلاكية للطفل، فتقول: «إن الأطفال يتعلمون السلوك من خلال سلسلة من المواقف ومعاملة الآخرين لهم والأماكن التي يحدث فيها السلوك الاستهلاكي، هذه الأمور تقدم الفرصة للطفل لكي يتعلم السلوك الاستهلاكي».

وتستعرض الدكتورة رمضان الطرق التي تؤثر بها الأسرة على التنشئة الاستهلاكية للطفل فتقول:

١ ـ تؤثر الأسرة على القدرات المعرفية العامة، تلك التي تؤثر على نمو مهارات الطفل الاستهلاكية.

٢ ـ يمكن للأسرة أن تساعد على عملية تدريب قدرات الطفل المعرفية في المواقف الاستهلاكية.

٣ ـ يمكن للأسرة أن تؤثر بشكل مباشر على سلوك أطفالها الاستهلاكي أو تعليمهم مهارات استهلاكية مثل تشجيعهم على اختيار هدايا الأعياد ومناقشة ميزانية الأسرة أمامهم واصطحابهم إلى السوق.

إن نمط السلوك الاستهلاكي لدى الطفل يتأصل لديه منذ الصغر، ولذا فهو يتأثر بالكثير من العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية.

الطفل المستهلك والعوامل المؤثرة عليه

تقول الدكتورة البكر: «أهم العوامل تتمثل في: التقليد والمحاكاة والدخل النقدي ووسائل الإعلام وفنون الدعاية والإعلان.

وقد قام علماء وباحثون عديدون بتحليل عدد من العوامل مثل الدين والموقع الجغرافي والبيئة الاجتماعية والعوامل النفسية والاقتصادية. وأشاروا إلى أن الطبقة الاجتماعية تلعب دوراً أكبر من جميع العوامل في تحديد نمط الإنفاق الاستهلاكي والتعامل بالنقود».

وفي جولة مع المواطنين حول اصطحاب الأطفال للأسواق كوسيلة تربوية اقتصادية يعرض لنا الأخ عبدالله الحواس الانطباعات التالية:

أ ـ بعض الآباء يحرجون داخل الأسواق من بعض أطفالهم فيدفعون مبالغ خيالية لمشتريات أطفالهم.

ب ـ بعض الآباء يفضلون إتاحة الفرصة للطفل للتسوق لتكون له شخصية مستقلة.

جـ ـ بعض الآباء يحذِّر من الانسياق وراء رغبات الأطفال ومطالبهم، التي قد تؤدي إلى الإسراف.

وعن الطرق التي يتعلم من خلالها الطفل السلوك الاستهلاكي، تقول الدكتورة رمضان أموراً، أهمها: «تعليم الأم للطفل، وسلوك الأم الاستهلاكي، وتفاعل الأمهات مع الأطفال في أثناء اتخاذ القرارات الاستهلاكية، وقيام الأطفال بأنفسهم بالسلوك الاستهلاكي».

وقد أظهرت بعض الدراسات أن سلوك الأم الاستهلاكي والمعلومات الخاصة بهذا السلوك والتي تسعى الأم لتعليمها للطفل، لها تأثير في تقويم الطفل للسلعة.



يجب أن تشجع الأسرة الطفل على ممارسة شراء الشيء بنفسه ودفع ثمنه

القدوة الاستهلاكية في حياة الطفل

يحدثنا الدكتور زيد الرماني فيقول: «إن وجود القدوة السليمة وبخاصة في فترة الطفولة يساعد على سرعة التعلم وغرس العادات والقيم والاتجاهات الصحيحة نحو الاستهلاك والتركيز على المفاهيم الخاصة بترشيد الاستهلاك.

كما أن توافر الفرصة المناسبة للطفل من الصغر للمشاركة في عمليات الاختيار والشراء تنمِّي لديه القدرة على حسن الاختيار، مع تعويد الطفل على الاقتصاد والتوفير وتقليل الفاقد في كل نواحي الحياة الاستهلاكية.

في الختام نؤكد على مجموعة من الأمور المهمة:

أولاً: أهمية تقديم القدوة الصالحة في مجال الأنماط الاستهلاكية الرشيدة، وضرورة مشاركة الوالدين الطفل في عمليات الشراء.

ثانياً: أهمية دور وسائل الإعلام والإعلان في توعية الأطفال بأهمية السلوك الاستهلاكي المتزن، وتوجيه برامج إعلامية لتوعية الأطفال بأهمية وكيفية ترشيد استهلاكهم.

ثالثاً: حبذا لو عرضت أصول التربية الاقتصادية السليمة على أفراد المجتمع ودعتهم للأخذ بها وحضهم على التنشئة الاستهلاكية الصحيحة.

رابعاً: التأكيد على أنه إذا تصرف كل شخص كما يشاء في المدى القريب، فإننا جميعاً الخاسرون على المدى البعيد...●

ماذا يتعلم أطفالنا من الحيوانات المنزلية، وكيف نحميهم من مخاطرها؟

بقلم: د. ناصر أحمد سنة. أستاذ الجراحة البيطرية المساعد. جامعة القاهرة

كثُرت في الآونة الأخيرة اقتناء الحيوانات المنزلية - وبخاصة القطط الأليفة - حتى لا يكاد يخلو منزل منها، تعيش فيها كأنها أحد أفراده، ولا شك أن في اقتنائها فوائد تربوية لأطفالنا منها:

١ - القطط من أنظف الحيوانات، فهي تقضي ساعات طوال تنظِّف نفسها وهي بذلك تمثل أنموذجاً يُحتذى للنظافة العامة.

٢ - في مراقبة أطفالنا لشيء حي يتحرك وينمو معرفة بقدرة الله تعالى وعظمة خلقه، فيتعلمون احترام الحياة.

٣ - في عناية أطفالنا بتغذية حيواناتهم ورعايتها تعلُّم للرحمة والمسؤولية، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عُذبت امرأة في هرة، حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتها، إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خَشاش الأرض» (متفق عليه).

٤ - الرفقة الجيدة - من خلال التعامل مع شيء حي يتحرك - بعد قضاء أطفالنا لساعات طوال في المذاكرة والدرس أو أمام الكومبيوتر.

٥ - يحفز وجود القطط دوافع التعلم والإبداع لدى أطفالنا، فهم يتعلمون منهم السلوك الاستكشافي عندما يدخل القط مكاناً جديداً - للمرة الأولى - فيتعرف إليه ويستكشفه.

٦ - مازال القط صائداً ماهراً للفئران يتعلم منه أطفالنا مهارة الصيد والاستعداد له.



٧ - حتى حين يموت القط فهو يمهد نفسية الطفل لفقد عزيز عليه في قابل الأيام.

ولكن بالرغم من هذه الفوائد المهمة السابقة، تؤكد الدراسات الطبية المتخصصة أنه - أحياناً - توجد بعض المخاطر على أطفالنا من التعامل مع الحيوانات المنزلية وبخاصة أن الطفل - بطبيعته - لديه استعداد أكبر للعدوى سواء من الحيوان الأليف أو من غيره من أفراد الأسرة، فمتى يحدث ذلك وما طرق الوقاية من مثل هذه المشكلات.

١ - قد يخرج الحيوان من المنزل «لأسباب عدة»، ويعود وقد حمل أنواعاً من الجراثيم والحشرات «كالبراغيث والقراد وغيرها» أو تعرض للعض من حيوانات أخرى ضالة... فحذار من ذلك!!.

٢ - قد يكون الحيوان مصدراً للعدوى ببعض الأمراض حيث يوجد نحواً من ستة عشر مرضاً قد تنقلها القطط للإنسان أهمها مرض السعار، والحمى المالطية، والسل، والسالمونيلا، وداء المقوسات «التوكسوبلازموزس» وفطريات الشعر «القراع» والجرب وبعض الديدان الداخلية «التوكسوكارا والشيستوزوما».

٣ - قد يكون سبباً لبعض أنواع الحساسية لمن لديهم استعداداً لذلك.

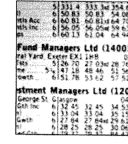
وللوقاية من مثل هذه المشكلات:

١ - عندما نفكر في اقتناء الحيوان الأليف يفضل أن يكون من مصدر موثوق به.

٢ - إعطاء الحيوان اللقاحات اللازمة للوقاية من الأمراض وأهمها مرض السعار.

٣ - النظافة العامة للأولاد وغسل أيديهم جيداً بعد اللعب مع الحيوان الأليف وقبل الأكل.

٤ - الرعاية الصحية الجيدة للحيوان وعدم إعطائه لحوماً غير معروفة المصدر والمسارعة باستشارة الطبيب البيطري متى ظهرت أعراض غير عادية على حيواننا الأليف ومتابعة الطبيب دورياً ●



ترجمات

إعداد : عبدالمنعم أحمد

ما يفعله الهندوس بالمسلمين يشبه ما فعله النازيون باليهود

خرجت الكاتبة الهندية «أرونداتي روي» من السجن مرفوعة الرأس، فقد قضت الروائية الحاصلة على جائزة «بوكر» البريطانية عن روايتها «سيد الأشياء الصغيرة» ٢٤ ساعة في زنزانة مزدحمة بعد أن أصدرت المحكمة العليا في الهند حكماً «رمزياً» بسجنها يوماً بتهمة الازدراء نتيجة لاحتجاج على سد «نارمادا» المثير للجدل وسط الهند.

وجلست «روي»، التي لم تشعر بالحرج من المناظرة المتقدة، مع مراسل «نيوزويك» «إيان ماكينون» في شقتها بدلهي، ودانت الروائية الفاتنة البالغة من العمر ٤٢ عاماً، حكومة حزب «بهاراتيا جاناتا» القومي المتطرف وإخفاقها في منع العنف الطائفي الذي حصد أرواح ٥٠٠ شخص في «غوجارات» خلال خمسة أيام، والأزمة المتجددة في «أيوديا»، حيث يريد الهندوس إقامة معبد على بقايا مسجد «أيوديا» التاريخي الذي دمروه قبل عقد من الزمان.

وإليكم مقتطفات من المقابلة:

● كيف كنت تشعرين وأنت ترين «غوجارات» تحترق؟

- كان الشيء الأسوأ هو أن حكومتي حزب «بهاراتيا جاناتا» في «نيودلهي» و«غوجارات» حاولت القول: إن المشكلة كانت إدارية: كيفية جلب قوات الشرطة والجيش إلى المكان، غير أنهم كانوا يعدون لهذه الأجواء بدأب، منذ سنوات، وهم يذكون نيران هذه المشاعر المروعة. وإذا كان الأمر جنوناً موقتاً لا يمكن السيطرة عليه، فلماذا لم يتكرر ذلك في ولايات أخرى؟

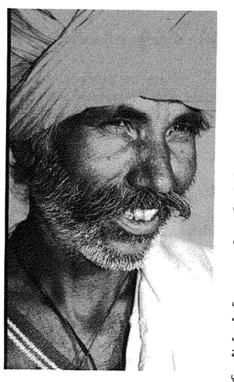
السبب الحقيقي يعود إلى أن «غوجارات» هي الولاية الوحيدة التي حكم فيها حزب «بهاراتيا جاناتا»، ويعرف كل مواطن هندي لديه نزاع مع الشرطة أو حكومة الولاية أنه إذا أرادت السلطات السيطرة على الوضع فبوسعها القيام بذلك خلال ساعة واحدة، ليس هناك مبرر لما حدث، وطرح الأمر باعتباره عنفاً بين الطوائف مسألة خاطئة تماماً، فقد نثرت بذور الكراهية.

● كيف؟

- لقد أطلقت الحكومة العنان لأهواء الناخبين السياسية، فالمرء يأتي إلى «أيوديا» يرفع يديه برعب ويقول: إنه يغلي، وفي «غوجارات» كانت الأجواء بين الطوائف ساخنة على الدوام - فالنزعة الفاشية ظلت تقبع تحت السطح مباشرة، وهي تبعث على الإحباط، وهناك رسالة وزعت على الناس تقول: إن عليهم أن يقاطعوا المشاريع التجارية والصناعية للمسلمين، وهذا يشبه ما فعله النازيون ضد اليهود... والمرعب أن يكون المرء مسلماً في هذه البلاد في الوقت الحالي. وكلما نزل المرء في السلم الاجتماعي، لابد أن يكون الأمر أكثر مدعاة للرعب. غير أن الأمر ليس طبقياً. فالمتعلمون من أبناء الطبقة الوسطى، والذين يديرون السلطة، يشاركون في ذلك.

● هل تسير الهند على منزلق انحدار؟

- كان حزب «بهاراتيا جاناتا»، قبل مجيئه إلى السلطة، أكثر عنفاً وتطرفاً، وكان بحاجة إلى بعض الاعتدال للفوز بالسلطة، لأن أغلبية أبناء الشعب الهندي ليسوا مجانين. وإذا كان هناك أمل اليوم، فهو يتمثل في أن جزءاً كبيراً من الشعب يشعر بالخيبة من العنف ويرفضه، ويتخذ موقف التراجع عن ذلك.



وآمل أن تكون هذه الأسابيع القليلة الماضية الناقوس الذي يقرع معلناً نهاية حزب «بهاراتيا جاناتا» اعتقد أن الناس يشعرون بالاشمئزاز من ردود أفعاله.

● ألا تؤدي التوترات عبر الحدود دوراً في ذلك؟

- الأمر بأسره يرتبط أيضاً بالخطاب حول باكستان، فقد استخدمت الهند وباكستان التوترات الحدودية لأغراضهما الخاصة.

والجنرال «برويز مشرف»، الدكتاتور العسكري يسيطر رسمياً على الأقل على أصوليي بلاده، بينما تقوم الهند بتشجيعهم، إنه أمر مروِّع، وبتحويل باكستان إلى شيطان تحقق الحكومة مشروعية عدائها للمسلمين. ويجب على الهند أن تفهم أن المسلمين في قلوبنا وأرواحنا، وأنهم جزء منَّا ويجب أن نشعر تجاههم بالحب.

مجلة «نيوزويك»

نافذة على العالم

المحجبات ممنوعات من جامعات أذربيجان

في الوقت الذي تخرج فيه الأصوات من ديار الغرب داعية فيه إلى الحشمة ومنع الاختلاط، أصدرت وزارة التعليم في أذربيجان قراراً بمنع الطالبات المحجبات من دخول الجامعات.

وبدأت إدارات الجامعات بتطبيق القرار الذي اعترضت عليه لجنة حماية حقوق الأديان.

وقال مسؤولو اللجنة: إنهم سيشكون الحكومة لدى لجنة حقوق الإنسان الأوروبية.

ودافع مساعد وزير التعليم «بايرام حسين زادة» عن قرار المنع وقال: إنهم يفكرون بمنع الفتيات اللواتي يرتدين التنورة القصيرة والطلاب ذوي اللحى الطويلة من دخول الجامعات أيضاً ●

٢٤٦ مليون طفل يعملون في العالم

أعلنت منظمة العمل الدولية أن عمالة الأطفال تشمل نحو ٢٤٦ مليون طفل تتراوح أعمارهم بين ٥ – ١٧ عاماً، أي واحد بين كل ستة أطفال في العامل، وأن ٧٥٪ منهم يشتغلون بأعمال تكتنفها المخاطر.

وأضافت المنظمة التابعة للأمم المتحدة: أن منطقة آسيا والمحيط الهادئ تستحوذ على أكبر عدد حيث يعمل فيها ١٢٧ مليون طفل تتراوح أعمارهم بين ٥ – ١٤ عاماً.

وقالت المنظمة إنها منزعجة بشكل خاص لحقيقة أن عدداً كبيراً يصل إلى ١٨٠ مليون طفلاً محاصرون فيما وصفته بأسوأ أشكال عمالة الأطفال حيث يمكن أن يتعرضوا لمخاطر صحية أو إصابات بدنية، وتتركز معظم هذه الأعمال في الزراعة أو التشييد، لكن يمكن أن تمتد لتشمل الرق والدعارة، وقدرت المنظمة أن ٨,٤ مليون طفل أوقعتهم ظروفهم في براثن أشكال بالغة السوء من العمل مثل الرق والتهريب والاسترقاق للوفاء بالديون ●

استنكار

شن علماء المسلمين هجوماً عنيفاً على القرارات التي أصدرها أخيراً المجلس الاستشاري الديني التركي، وأثارت هذه الفتاوى والاجتهادات ردود فعل غاضبة واستنكاراً واسعاً في الأوساط الدينية، واعتبروها فتاوى باطلة ومضللة وفيها تغيير للأحكام الشرعية وعبث وتلاعب بأحكام الدين.

وتضمنت القرارات التي أصدرها المجلس الديني التركي فتاوى وآراء لم يقل بها أحد من العلماء والفقهاء.

فقد اشتملت على السماح للموظفين بالجمع بين الصلوات - الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، تسهيلاً عليهم، وسمحت للمرأة أن تصلي إلى جانب الرجل في المسجد، وتختلط بالمصلين، وأجازت قراءة القرآن في الصلاة باللغة التركية، وأباحت للمرأة أن تصوم وتطوف حول الكعبة وهي حائض، كما ساوت بين شهادتها وشهادة الرجل ●

ثلثا الشعب الفلسطيني تحت خط الفقر

أعلن الدكتور حسن أبولبدة رئيس الجهاز المركزي الفلسطيني للإحصاء أن ثلثي الشعب الفلسطيني الآن في الأراضي الفلسطينية يعيش تحت خط الفقر.

وعزا الدكتور أبولبدة ذلك إلى إجراءات وممارسات الاحتلال الإسرائيلي من حصار وعمليات خنق للاقتصاد وتعطيل أعمال الفلسطينيين.

وحذَّر المسؤول الفلسطيني من خطورة تدهور الوضع الاقتصادي في الأراضي الفلسطينية ما يخلق اضطراباً كبيراً في الوضع الأمني والسياسي ●

أخبار قصيرة

● ذكر تقرير حكومي إن الدين الخارجي على مصر بلغ ٢٨,٢ مليار دولار في نهاية شهر سبتمبر من العام ٢٠٠١م.

● توصل تقرير أصدره مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية إلى أن حالات التمييز ضد المسلمين في أميركا ارتفعت بمعدل ثلاثة أضعاف عن العام الماضي، ما يشير إلى تردٍ واضح في أوضاع حقوق المسلمين المدنية في أميركا على أثر أحداث سبتمبر الماضي.

● ذكرت أرقام إحصائية أنه من المتوقع أن يرتفع التعداد السكاني لإنكلترا إلى نحو ٥٢ مليون نسمة مع حلول العام ٢٠١٠م.

● أكدت دراسة اجتماعية متخصصة أن نحو ٨٣٪ من تعداد سكان العالم العربي البالغ ٢٨٤ مليون نسمة حسب إحصائية العام ٢٠٠٠م يعيشون في مستوى دخل متدن جداً.

● قالت الأمينة العامة لمنظمة العفو الدولية: إن الجيش الإسرائيلي ارتكب في مخيم جنين انتهاكات خطيرة للقانون الإنساني.



ثمرات الفكر

إعداد : محمد هاني

رسالة ماجستير في الفقه المقارن
موقف الشريعة من توظيف المرأة الكويتية في الشرطة

قدم الطالب عبداللطيف العوضي في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية «جامعة الكويت»، دراسة بعنوان «توظيف المرأة الكويتية بسلك الشرطة في الشريعة الإسلامية»، وذلك لنيل درجة الماجستير في الفقه المقارن وأصول الفقه، وتمت مناقشة الدراسة من قبل لجنة مشكّلة من أ.د.مصطفى عرجاوي «مشرفاً»، وأ.د. محمد قنديل «عضواً» وأ.د.سيف قزامل «عضواً».

وأكد العوضي أن الشريعة الإسلامية بمبادئها وقواعدها تحتوي على كل المستجدات المعاصرة سواء ما تعلق منها بالشرطة أو غيرها من الأعمال الأمنية، وبين مدى حاجة وزارة الداخلية للعنصر النسائي لحماية أمن البلد.

وناقش الأساتذة أعضاء اللجنة الأطروحة المقدمة واستفسروا عن بعض المسائل العلمية التي وردت في أطروحته، وأبدت اللجنة تقديرها وإعجابها بما قام به الطالب، مشيدين بمستوى الأطروحة باعتبارها أول رسالة علمية متخصصة في مجال الشرطة، وختاماً اجتمعت اللجنة وأقرت قبول الرسالة بتقدير ناجح بدرجة امتياز، متمنين له الاستمرار في مسيرته العلمية وتحصيل النجاح والتوفيق في حياته العلمية والعملية ●

معجم تاريخي للغة العربية

أقر اتحاد المجامع اللغوية العربية وضع معجم تاريخي للغة العربية تشارك فيه مجامع اللغة العربية والمؤسسات اللغوية في الوطن العربي، وألف الاتحاد لهذه الغاية لجنة ستضع خطة مفصلة دقيقة لهذا المعجم وآلية نفاذه ومصادر تمويله. وقد تشكلت اللجنة من كل من: الدكتور أحمد الضبيب «السعودية»، الدكتور خالد عبدالكريم جمعة «الكويت، الدكتور شوقي ضيف «القاهرة»، رئيساً، والدكتور إحسان النص «سورية» مقرراً ●

إصدارات جديدة

عنوان الكتاب: نظام الحكم في الإسلام
اسم المؤلف: الشيخ منصور الرفاعي عبيد
دار النشر: الدار الثقافية للنشر

يشير المؤلف إلى أن صلاح المجتمع بصلاح أفراده، وأن صلاح الفرد لن يكون إلا من خلال الدين ومفاهيمه والإسلام وتشريعه والقرآن وتوجيهه والسنّة النبوية القولية والفصلية والتقريرية ثم لابد من القيادة الطبيعية التي تكون قدوة صالحة. قسم المؤلف كتابه إلى خمسة أبواب تناولت الموضوعات التالية: نظام إلهي من عهد آدم، الإسلام والتشريع، تشريع الله للإنسانية، نظرة الإسلام إلى الدولة، النظم والتنظيم.

عنوان الكتاب: القيم السياسية في الإسلام
اسم المؤلف: د.إسماعيل عبدالفتاح
دار النشر: الدار الثقافية للنشر

يُوضح الكتاب أن القيم السياسية هي من واقع الشريعة الإسلامية التي جاءت بالدين القيم والتي لابد وأن تتأصل في النفوس وتبنى عليها الدولة ويستلهم منها النهج السياسي للحكم. ويشير المؤلف إلى أن العدالة باعتبارها القيمة العليا في الإسلام ثم الحرية، الشورى، المساواة، الأمن، التكافل من دعائم الحكم التي تربط المواطن برباط متين مع من يُبايعون لتولي الأمر ●

أخبار ثقافية

- أعلنت جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنّة في جمهورية مصر العربية عن المسابقة العالمية الخامسة لعامي ١٤٢٢ ـ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، وستستقبل الجمعية البحوث في الفترة بين ١/١ ـ ٣١/ ٨ ـ ٢٠٠٢م، ولمزيد من التفصيلات والشروط يمكن الاتصال على تلفاكس (٧٤٤٠٧٠٣).
- عن دار الثقافة القاهرية صدرت الطبعة الثالثة من كتاب «دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية» للدكتور يحيى هويدي أستاذ الفلسفة في جامعة القاهرة.
- يصدر قريباً المخرج وفيق وجدي مسلسل «سيف اليقين» من تأليف طه حسين سالم، ويناقش العمل والمقرر أن يقع في ٣٠ حلقة، العدالة الاجتماعية كفكر وفلسفة ومنهج تطبيق موجود في الإسلام، وتدور هذه الأحداث في أثناء حكم الخلفاء العباسيين المعتضد، والمكتفي، والمقتدر، وما صاحب هذه الفترة من التآمر، وشهدت هذه الفترة ثورتي الزنج، والقرامطة، إلى جانب ظهور الحسين بن منصور الحلاج بفكره الصوفي.
- سينفذ مشروع الشبكة الذهبية لإبراز الحضارة العربية الإسلامية وتاريخها عبر شبكة الإنترنت حيث ستوضع مكتبة متكاملة على شبكة الإنترنت عن الحضارة الإسلامية والأدب والتاريخ والجغرافيا، وما تعرضه المتاحف العالمية من آثار المسلمين والحرف التقليدية، ويرعى المشروع الدكتورسلطان القاسمي حاكم الشارقة في دولة الإمارات ●



حديقة الوعي

إعداد : أحمد عبدالجبار

عمر بن الخطاب وأكثم بن صيفي

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً.

وقال أكثم بن صيفي:

الانقباض من الناس مكسبة للعداوة، وإفراط الأنس مكسبة للملال.

موعظة بليغة

قال الحسن البصري - يرحمه الله - لرجل حضر جنازة:

أترى لو رجع صاحبك إلى الدنيا لعمل صالحاً؟ فقال الرجل: نعم. فقال الحسن له: إن لم يكن هو فكن أنت.

أمران

قال عتبة بن أبي سفيان:

إذا اجتمع في قلبك أمران لا تدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب إلى هواك مخالفة، فإن الصواب أقرب إلى مخالفة الهوى.

الفرض ثقيل

اختلف أصحاب السهمي أيهما أَبرُّ: الوالد أم الولد إذا اجتمعا في البر تساويا فيه، فقالوا: إن الوالد ابر لأن برَّ الوالد طبيعة وبِرُّ الولد فرض، والفرض ثقيل.

الصمت

قال بعض البلغاء:

الزم الصمت فإنه يكسبك صفو المحبة، ويؤمنك سوء المغبه، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤونة الاعتذار.

وتكلم أربعة من حكماء الملوك بأربع كلمات كأنها رمية عن قوس:

فقال ملك الروم: أفضل علم العلماء السكوت

وقال ملك الفرس: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها.

وقال ملك الهند: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت.

وقال ملك الصين: ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت.

وليعلم أن الحاجة إلى الصمت أكثر من الحاجة إلى الكلام، لأن الحاجة إلى الصمت عامة، والحاجة إلى الكلام عارضة، فلذلك ما وجب أن يكون صمت العاقل في الأحوال أكثر من الكلام في كل حال.

حكي عن بعض الحكماء أنه قال وقد رأى رجلاً يكثر من الكلام ويقل السكوت فقال: إن الله تعالى إنما جعل لك أذنين، ولساناً واحداً ليكون ما تسمعه ضعف ما تتكلم به.

دعاء

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم
يا كاشف الضر والبلوى عن السقم
أدعوك ربي حزيناً هائماً قلقاً
فارحم بكائي بحق البيت والحرم
إن كان جودك لا يرجوه ذو سعة
فمن يجود على العاصين بالكرم

بين المهدي وعمارة

كان عمارة بن حمزة شهيراً بالكبرياء والاعتداد بالنفس، فدخل على الخليفة المهدي يوماً، ولما اطمأن به المقام، نهض رجل كان المهدي قد أوعز إليه بالتهكم على عمارة وقال: مظلوم يا أمير المؤمنين، قال المهدي: ومن ظلمك؟ قال الرجل: عمارة هذا غصبني ضيعتي، قال: قال المهدي: قم يا عمارة واجلس مع خصمك.

قال عمارة: يا أمير المؤمنين ليس هذا خصمي، فإن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين.

معاوية يصف نفسه

قال معاوية: إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبداً، فقيل له وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها.

خطأ لغوي شائع

يقولون: حديث شيق، والصواب: حديث شائق.

أي داع إلى الشوق وأنا مشوق إليه

أما كلمة شيق فمعناها «شتان» ولا يمكن أن يكون الحديث شقاقاً قال المتنبي:

ما لاح برق أو ترنم طائرٌ
إلا انثنيت ولي فؤاد شيق

من هدي كتاب الله

﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام وَنُزِّلَ الملائكة تنزيلاً. الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً. ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً. لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾ الفرقان: ٢٥ . ٢٩.

من هدي رسول الله ﷺ

سئل صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة فقال:

«تقوى الله وحسن الخلق»

وسئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار فقال:

«الأجوفان الفم والفرج»

رواه الترمذي وصححه.

امنع نفسك عن أربعة

من استطاع أن يمنع نفسه عن أربعة أشياء فهو خَليقٌ ألا ينزل به من المكروه ما ينزل بغيره:

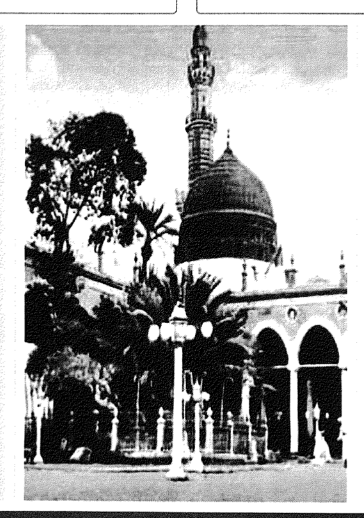
العجلة واللجاجة، والعجب، والتواني، فثمرة العجلة الندامة، وثمرة اللجاجة الجنون، وثمرة العجب البغضاء، وثمرة التواني الذلة.

هذه أرجوها وتلك أخافها

دعوتان أرجو إحداها وأخاف الأخرى: دعوة مظلوم أعنته، ودعوة ضعيف ظلمته ●

احتفظ بأدبك

احتفظ بأدبك في خمسة مواطن: في أماكن العبادة، وفي مجالس العلم، وفي مقابلة العظماء، وفي محادثة الرؤساء، وفي معاملة الغرباء ●



أم أيمن

عن عثمان بن القاسم قال: خرجت أم أيمن مهاجرة إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وهي ماشية معها زاد، وهي صائمة في يوم شديد الحر، فأصابها عطش شديد حتى كادت أن تموت من شدة العطش.

قال: وهي بالروحاء أو قريباً منها، قالت: فلما غابت الشمس إذا أنا بحفيف شيء فوق رأسي، فرفعت رأسي فإذا أنا بدلو من السماء مُدلى برشاء أبيض، قالت: فدنا مني حتى إذا كان بحيث أستمكن منه تناولته فشربت منه حتى رويت، قالت:

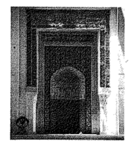
فلقد كنت بعد ذلك في اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش فما عطشت بعدها ●

مآثر الإمام علي رضي الله عنه

الاعتدال في الحب والكره

قال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه:

أحبب حبيبك هوناً ما
عسى أن يكون بغيضك يوماً ما
وابغض بغيضك هوناً ما
عسى أن يكون حبيبك يوماً ما



فاسألوا أهل الذكر

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت، والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها.

هاتف مباشر خدمة الفتوى

149

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء

بطاقة الائتمان التي تصدرها البنوك

تقدم بنك الكويت الوطني بعرض بقبول بطاقة «الداينرز كلوب» لدى الجمعية، بحيث يكون للزبون شراء بضائع بهذا الكارت من دون أن يقوم بدفع أي مبالغ نقدية عند الشراء، على أن تقوم الجمعية بتحصيل قيمة البضائع المباعة من البنك الوطني مقابل نسبة ١٪ لصالح البنك رسوم خدمات ومخاطر تحصيل المبالغ من العملاء، كما أن الجمعية باستطاعتها استلام المبالغ يومياً من البنك الوطني.

نرجو التكرم بإفادتنا عن قبول العرض باستخدام الزبائن لبطاقة «الداينرز كلوب»، شاكرين لكم حسن تعاونكم.

اطلعت اللجنة على النشرة التي تبين شروط العمل بالبطاقة المذكورة «داينرزكلوب».

ـ وأجابت اللجنة بما يلي:

إن التعامل ببطاقة الائتمان المسماة «الداينرزكلوب» يختلف حكمه بالنسبة للمتعاملين بها وهم الأطراف الثلاثة: البائع والزبون «المشتري» وشركة «الداينرز كلوب» مع وكيلها «وهو هنا البنك»:

أ ـ فأما بالنسبة للبائع وهو هنا الجمعية التعاونية، فإن دورها في ذلك هو قبولها من الزبائن استخدام البطاقات المذكورة لدفع ما عليهم من المستحقات وذلك جائز لها، لأن العميل بدل أن يدفع لها نقداً وكل الشركة المصدرة للبطاقة بدفع ما عليه من الدين.

ب ـ وأما الزبون «المشتري» فاستعمال البطاقة كذلك جائز بالنسبة له، ويكون قد وكّل شركة البطاقة بدفع أثمان السلع المترتبة عليه، ولكن يجب عليه اتخاذ الإجراءات الكافية التي تضمن عدم دفعه فوائد على المستحقات، وذلك بأن يجعل في حسابه لدى البنك أو الشركة المصدرة للبطاقة رصيداً يكفي لسداد ما يترتب عليه، فإن لم يكن في حسابه رصيد كاف فعليه أن يبادر بتسديد ما عليه في مدة المهلة التي لاتترتب فيها فوائد طبقاً لنظام البطاقة الائتمانية المذكورة، وهذا لأجل أن يتحاشى أن يطبق عليه هذا الشرط المحرم الذي ينص على دفع العملاء فوائد في حال التأخير عن السداد مدة معينة.

ج ـ وأما الشركات المصدرة للبطاقة والبنك الذي يكفل العملاء ويرتب عملية تسديد المستحقات فيجوز لهم هذا التعامل، وهو في حد ذاته أمر ييسر على الناس ناحية مهمة من أمور حياتهم، لكن يجب على الشركة والبنك إلغاء شرط دفع الفائدة الربوية في حال تأخر العميل عن السداد.

ومن باب السياسة الشرعية ينبغي أن تتولى هذه الخدمة بصورة مستكملة في شتى بلاد الإسلام مؤسسات إسلامية حتى لا تذهب العمولات إلى جهات غير إسلامية هي في الغالب ذات عداوة للمسلمين ●

إيداع أموال الجمعية التعاونية في البنوك الربوية

ـ تقوم جمعيتنا بإيداع أموالها في بنوك مختلفة من بنوك الكويت، ومنها البنك الذي يقع في مجمع الضاحية في منطقة الجمعية، حيث إن أمين الصندوق لا يمكنه الاحتفاظ بأموال كثيرة لديه أكثر من يوم واحد، ولسهولة قرب المسافة لايداع المبالغ في هذا البنك.

نود إفادتنا عن مدى شرعية هذا الايداع في البنك المذكور.

علماً بأن الجمعية لا تأخذ أي فوائد على هذا الإيداع، إنما هو تسهيل لمعاملاتها مع الموردين وسرعة إيداع المبالغ التي في حوزة أمين الصندوق.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

ترى اللجنة أنه لا حرج شرعاً من إيداع المبالغ في البنك لحفظها مادامت الحاجة تدعو إلى ذلك من دون أخذ فوائد عليها ●

تحويل العملات
مع فقدان شرط التقابض اليدوي

شخص يستلم المبلغ بالدينار الكويتي في الكويت على أن يسلمه للمشتري أو لمن عينه المشتري في باكستان بعد فترة من الزمن بالروبية الباكستانية، علماً بأن هذا التعامل يتم في السوق السوداء، وسعر شراء الروبية الباكستانية أرخص بالنسبة لسعر البنوك والشركات المصرفية الرسمية.

وتجدر الإشارة إلى أن الحكومة الباكستانية تحظر مثل هذا التعامل بحجة أنها تضر بالاقتصاد القومي، وتسمح بإجراء الحوالات عن طريق البنوك الرسمية فقط، أرجو التكرم بالإجابة على هذا السؤال، وجزاكم الله خيراً.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن هذه المعاملات تشتمل على صرف وحوالة، والحكم الأصلي في الصرف بين نقدين مختلفين جواز التفاضل مع وجوب التقابض في مجلس الصرف، ونظراً إلى أن العملات المتداولة في العالم لها ظروف مكانية تبعاً للدولة التي تتعامل بهذا النقد، بحيث وجدت مناطق لهذه العملات كمنطقة الدولار ومركزها نيويورك، ومنطقة الاسترليني ومركزها لندن... إلخ

وإن أصول التعامل المصرفي تقتضي بأن المبادلات التي تدخل فيها إحدى العملات لابد أن تأخذ زمناً، ولعموم البلوى في عدم إمكان التقابض في الحال، وذلك عند احتياج صاحب المال إلى نقل نقوده إلى بلد آخر ذي عملة أخرى له فيها مصلحة معينة، فإن اللجنة ترى أنه إذا وجدت حوالة مع صرف، ولم يشترط أجل خاص لتسليم الحوالة، ووقع تأجيل اضطراري بسبب اختلاف العملة بحيث تمت المصارفة بين العملتين دون تقابض، وتلتها الحوالة فوراً خالية عن أجل مشروط نرجو ألا يكون في ذلك بأس شرعاً، إن شاء الله، بسبب الحاجة العامة لذلك، على أنه إذا أمكن بلا حرج إجراء التقابض الفوري في الصرف أو ما يقوم مقام التقابض من تسليم شيك بالمبلغ فلا يجوز العدول عنه، لأن التقابض مشترط بالنص الشرعي في صرف الذهب بالفضة وعكسه، فيقاس صرف العملات الورقية على صرف الذهب بالفضة وعكسه، ويجب التقابض فيه، ويشترط في الشيك المأخوذ بعملة عن عملة أخرى أن يكون قابلاً للصرف في الحال ولا يصح أن يكون مؤجلاً، مع مراعاة ما جاء في السؤال من أن الحكومة الباكستانية تحظر مثل هذا التعامل لما فيه من الضرر، وعليه فإن طاعة ولي الأمر في مثل هذا واجبة، وعلى هذا فإن التحويل عن طريق السوق السوداء يكون ممنوعاً ●

مقايضة أرض بأرض هل هي ربا؟

بالنسبة للأراضي التي تمنحها الدولة في منطقة «القرين» وهي متساوية بالمساحة والسعر.

هل يجوز مبادلة قطعة أرض بمنطقة أخرى ذات موقع جيد؟ مع دفع مبلغ معين لصاحب الأرض الجيدة حتى يقبل بعملية المبادلة.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

لا مانع من ذلك شرعاً لأنها مقايضة جائزة، وليست من باب الربا في شيء، لأن الأرض ليست ربوية ●

حرمان بعض الورثة قبل الوفاة

رجل مسلم لديه زوجة وبنات عددهن ثلاثة، ولديه إخوة أشقاء عددهم اثنان هما عمان للبنات، والزوجة المسلمة لا تعلم عن الفرائض شيئاً وتلح في تسجيل العقار باسم البنات، وأخبرها الزوج بأن ذلك لا يجوز شرعاً، لأن الله سبحانه وتعالى فرض قواعد للميراث، ويجب على المسلمين التقيد بها وعدم تعدي حدود الدين، فالرجاء التكرم بالإجابة كتابة، وفيها بيان توضيح موقف الشريعة، الإسلامية من هذا الأمر مع ذكر العقوبات وغضب الله من هذا العمل المخالف للشريعة.

أجابت اللجنة بما يلي:

لا ينبغي لزوج له زوجة وثلاث بنات وأخوان شقيقان أن يسجل العقار الذي يملكه باسم البنات لأن في ذلك حرماناً لبعض الورثة إن مات عنهم.

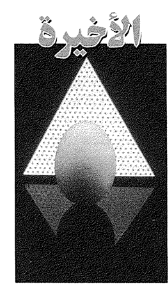
وعلى الزوجة عدم الإلحاح على الزوج في ذلك، مادام الله قد وضع نظاماً للميراث يعطي كل ذي حق حقه بمنتهى العدل والحكمة.

وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قضية مشابهة لما جاءته امرأة سعد بن الربيع بابنتيها تشكو إليه عمهما الذي أخذ مالهما، فقال صلى الله عليه وسلم: «يقضي الله في ذلك» فنزلت آية المواريث، فأرسل إلى عمها «أن أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن، وما بقي فهو لك» (رواه أحمد وأبوداود والترمذي وغيرهم) وكانت هذه أول تركة قسمت في الإسلام.

ولا يجوز حرمان الأشقاء لأنهم عصبة يستحقون الباقي من التركة بعد أصحاب الفروض، لقوله تعالى: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً) النساء:٧، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «الحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر» (رواه الشيخان عن ابن عباس)، ولذلك لا يجوز لمسلم يخاف الله أن يتصرف في أمواله تصرفاً ضاراً بورثته حتى لو كان تصرفاً خيرياً، كما لا يحل لقريب أن يحرم قريبه المستحق من الميراث، أو أن يلجأ إلى حيلة مصطنعة بقصد الحرمان، ويلاحظ أن الإخوة الأشقاء يسمون بالأعيان لأنهم كما يقول ابن عابدين: ولدوا من عين واحدة، أي من أب واحد وأم واحدة.

هذا الحرمان قطيعة للرحم وإثارة للأحقاد والعداوة والبغضاء وفيه عدوان على حدود الله تعالى، والله تعالى يتوعد من يخالف شرعه ويتعدى حدوده بقوله في ختام الآية الثانية من آيات الميراث: (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مُهين) النساء:١٤ ●

النافذة الأخيرة





بقلم: إبراهيم نويري

منطق أرعن!!

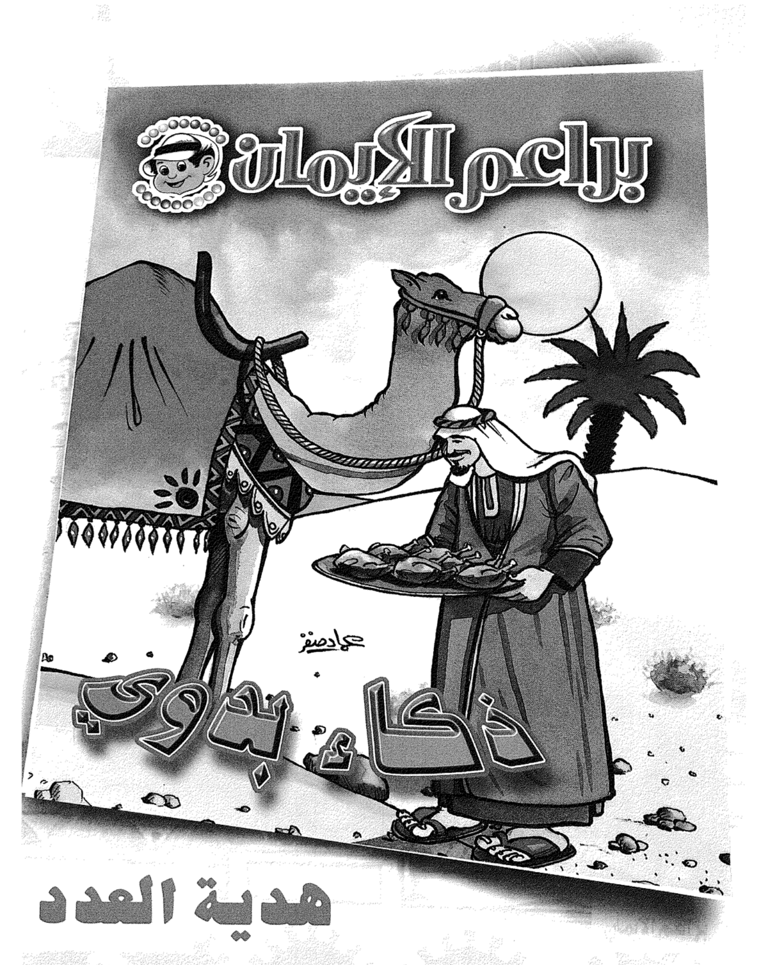
يتحدث علماء النفس والاجتماع عن التعصُّب، ويقولون: إنه صفة خطيرة ومذمومة... وذلك بالنظر لما يترتب عليه كصفة نفسية وحال شعورية ثابتة غائرة، من انعكاسات سلبية، قد تكون عواقبها شديدة الخطورة، بالغة السوء، سواء على مستوى الشخص المعصِّب نفسه، أو على مستوى محيطه الاجتماعي.

إن التعصب في حقيقته يعني الجمود على فكرة واحدة، أو على رأي واحد، سبق إلى النفس والضمير بطريقة أو بأخرى، فأحدث حالة من الاستغلاق، يصبح المتصعِّب حيالها لا يقبل الجدل أو لا يقبل وجهة نظر أخرى، مهما كانت وجاهتها أو مهما بلغت منزلتها العقلية والفكرية... والمتعصِّب لا يرفض عن اختيار وموازنة، بل يرفض تعبيراً عن حال الاستغلاق التي أصابت عقله، فجعلته مشلولاً عن النظر الحصيف، والتدبّر الذكي.

لذلك شَنَّ القرآن الكريم حملة على أصحاب الإيمان والموروث التقليدي، لأنه عملة غير صالحة للتداول، فهو لا يفيد صاحبه، ولا ينفع مَنْ يحيطون به، وهذه هي المسافة الحقيقية التي تفصل بين التعصّب الممقوت وبين العقيدة الصحيحة... فالتعصب للحق الذي ثبت باليقين فضيلة ومكرمة، أما الانغلاق على الموروث المتناهي للعقل من دون تمحيص، فهو بلا ريب عيب ومنقصة لا تليق بمنزلة العقل الذي كرَّم الله تعالى به بني البشر.

لكن هناك منطقاً آخر أو مظهراً آخر لهذا الاستغلاق البغيض، إنه منطق الفَرْعنة المقلِّبة للحقائق، ونحن نرى صورة دقيقة لهذا المنطق في الحوار الذي دار بين نبي الله موسى - عليه السلام - وبين فرعون!! إن موسى طلب طلباً محدَّداً: (فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذِّبهم قد جئناك بآية من ربك) طه:٤٧... لكن فرعون يرد على هذا الطلب المحدد بقوله: (أجئتنا لِتُخرجنا من أرضنا بسحرك) طه:٥٧... إن موسى - عليه السلام - يوضح: لا تخرج أنت من أرضك... لكنني أنا الذي أخرج من الأرض بقومي... لكن العناد له منطق آخر، إنه منطق تقليب الحقائق، منطق جعل البريء متهماً، والمتهم بريئاً!!

إن هذا المنطق الحقير هو عينه الذي تعتمد عليه دولة «إسرائيل» في هذا العصر، وهو نفسه الذي يعتمده السفاح «شارون» هذه الأيام، حين يجعل ممن يدافعون عن أرضهم وعزتهم وكرامتهم «إرهابيين» - حسب منطقه الأرعن - ويحاول إقناع العالم كله بأن ما يقوم به من مذابح وجرائم بشعة هو دفاع عن النفس... إن هذا المنطق التعصبي البغيض هو هو لا يتغيَّر لدى أصحابه من فراعنة الأرض، مهما تغير التاريخ، ومهما تبدَّلت الظروف المؤثرة في الحياة والعلاقات الإنسانية.. إنه منطق عجيب صوَّره القرآن الكريم خير تصوير ●



براعم الإيمان
ذكاء بدوي
هدية العدد

غزوات وسرايا الرسول الكريم ﷺ



غزوة بدر الكبرى ١٧ رمضان ٢هـ

غزوة بني قينقاع شوال ٢هـ

غزوة أحد شوال ٣هـ

غزوة بني النضير - ربيع الأول ٤هـ

غزوة الخندق (الأحزاب) ٥هـ

غزوة بني قريظة - ذو القعدة ٥هـ

صلح الحديبية - ذو القعدة ٦هـ

غزوة خيبر ذو القعدة ٧هـ

سرية مؤتة جمادى الأولى ٨هـ

فتح مكة - رمضان ٨هـ

غزوة حنين - شوال ٨هـ

غزوة الطائف - شوال ٨هـ

غزوة تبوك - رجب ٩هـ

هدية العدد